الجمهورية اليمنية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

الصراع العربي
مع العدو الإسرائيلي

الجيل الجديد ناشرون
صنعاء

الصراع العربي
مع العدو الإسرائيلي

بسم الله الرحمن الرحيم

الجيل الجديد ناشرون

اليمن - صنعاء
هاتف: ٠١-٢١٢١٦٤
فاكس: ٠١-٢١٢١٦٣

E-mail:
aag@aag.ye.com
Web site:
www.aag-ye.com

قسم التوزيع والجملة:
(٠١-٢٥٥٢٨٦) تحويله (١٠٤)

فرع الجامعة الجديدة :ت/ ٠١-٢٢٧٥٤٠
فرع الحي السياسي :ت/ ٠١-٤٧٢٩٤٠
فرع شارع تعز : ت/ ٠١-٦٠٨٤٦٩
فرع عدن :ت/ ٠٢-٢٥٧٢٩٠
فرع تعز :ت/ ٠٤-٢٦٣٧٢٤
فرع الحديدة :ت/ ٠٣-٢١٨١٤٦
فرع حضرموت :ت/ ٠٥-٣٨٤٠٥٢
فرع إب :ت/ ٠٤-٤٠٦٨٤٢

الطبعة الثانية
٢٠١٩م

رقم الإيداع بدار الكتب بصنعاء
(١٠١٣) لسنة ٢٠١٨م

حقوق الطبع محفوظة

الناشر
مكتبة الجيل الجديد

حقوق الطبع محفوظة (C) ٢٠١٩م لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يُمكّن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه. ولا يُسمح باقتباس أي جزء من الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر.

الجمهورية اليمنية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

الصراع العربي
مع العدو الإسرائيلي

إعداد

د. علي يحيى شرف الدين
د. عبد الله أحمد الخالد
د. إبراهيم غالب لقمان
د. علي عبد الكريم شيبان
د. محمد عبد الله القاسمي
د. محمد عبد الله شرف
أ. يحيى قاسم أبو عواضه
أ. عبده محمد سبيع
أ. محمد محمد غلاب

2019

يقول الله-سبحانه وتعالى-:

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا (٤٥)﴾

(النساء: ٤٥)

يقول بن غوريون- أول رئيس وزراء إسرائيلي-:

«قوتنا ليست في سلاحنا النووي، قوتنا في تفتيت ثلاث دول كبيرة من حولنا؛ العراق وسوريا ومصر إلى دويلات متناحرة على أسس دينية وطائفية ونجاحنا في هذا الأمر لا يعتمد على ذكائنا بقدر ما يعتمد على جهل وغباء الطرف الآخر».

ويقول هربرت سبنسر- عضو الكونجرس الأمريكي-:

«إنَّ اليهود في بلادنا يسيطرونٍ على كل ما يسيطر على المعدة والعقل والغرائز، ولم يعد باقيا لدينا في هذا البلد إلا أن نغيّر اسم نيويورك إلى جيويورك»[1].

(١) كلمة انجليزية تعني يهود وبالتالي ستصبح مستعمرة يهودية.

نعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين ورضي الله عن صحبه الأخيار المنتجبين.

أما بعد:

فالمتأمل لواقع الأمة يجد أنها فقدت العزة والمَنَعَة في مراحل حساسة تجاه أعدائها، وأصبحت مطمعاً ومسرحاً مفتوحاً تتداعى عليها الأمم من شتى الأقطار، وتحقق في واقعها ما قاله النبي – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – حينما قال: ((**يوشك أن تتداعى عليكم الأمم، كما تتداعى الأَكَلَةُ على قصعتها**))، تتداعى عليكم الأمم بدون خوف منكم ولا قلق، تتداعى عليكم الأمم باعتباركم أصبحتم مطمعاً ومغنماً ومأكلة وثروة، فتأتي الأمم من هنا وهناك، من أمريكا، من أوروبا، من سائر الأقطار متداعية، يدعو بعضها بعضاً، يتحالفون ويأتون إليكم مستعبدين لكم، مستعمرين لكم، محتلين لأرضكم، ناهبين لثرواتكم، آكلين لخيراتكم.

((**يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها**))، قالوا: أَمِنْ قِلَّة يا رسول الله نحن يومئذ؟ – يعني: سنكون قِلَّة قليلة، أمة صغيرة تطمع بها الأمم الأخرى، ويتداعى عليها الأعداء من كل حدَب وصوب؟ قال: ((**أنتم يومئذ كثير، ولكن غثاء كغثاء السيل، يُنزع الوَهَن من قلوب أعدائكم، ويلقى في قلوبكم**)) أمة أصيبت بالوهن، ولذلك فهذه الأمة التي هي اليوم أكثر من مليار وستمائة مليون حسب التقديرات، ولكنها لا تمثل شيئاً مقارنة بستة ملايين صهيوني يهودي على أرض فلسطين. هذه الأمة أصيبت بالوَهَنِ، أصيبَت بالحيرة، بانعدام الوعي، فحدث فيها ما حدث، وكيف أصيبت بالوهن؟ كيف انهدَّ رُكْنُ هذه الأمة وبنيانها الكبير؟.

هذه الأمة لم تكن هكذا من البداية أمة مفرقة، مقطعة الأوصال، مشتتة، لا وعي لديها، لا كيان مستحكِم وقوي لها، فلماذا صارت على هذا النحو؟ لم تكن هكذا، ليس هذا قدراً أعمى أصيبت به، ولا واقعاً صارت إليه بدون أسباب! لا.

هذه الأمة لها تاريخها الذي كانت فيه أكبر الأمم على الأرض، وكانت لها - على مدى أكثر من ألف عام - الفرصة لأن تكون هي الأمة الأكبر في الأرض، والأقدر في العالم، والأكثر فاعلية بين أوساط البشرية، أمة كان بإمكانها - بحكم منهجها، بحكم مبادئها، بحكم قِيَمها، بحكم المشروع الحقيقي الذي ينبثق من قرآنها لو انطلقت على أساسه، لو تحركت به، لو تمسكت به، لو استبصرت به - أن تكون هي أهدى الأمم، وأزكى الأمم، وأرقى الأمم، وأعظم الأمم، وأمنع الأمم، وأعز الأمم، وأكرم الأمم، وخير الأمم، وأن تكون هي الأمة المُصْلِحَة في الأرض، التي تصل - بِنُور القرآن، وبصلاحها، وخيرها - إلى شتى أقطار الأرض، أن تصل بعدها، بقِيَمها، بأخلاقها - لو تمسكت بها - إلى شتَّى أقطار الأرض.

لماذا انهدَّت هذه الأمة على هذا النحو؟ لماذا تفرقت إلى هذا المستوى؟ لماذا ضَعُفَت ووهنت إلى أن طمع بها كل الأعداء، وتكالبت عليها الأمم الأخرى؟ هذا سؤال كبير ومُهِم.

الأمة هذه تعاقبت فيها إمبراطوريات بأكملها، بنو أمية شكَّلوا إمبراطورية كبرى على أنقاض الخلافة الإسلامية، وبديلاً عن الخلافة الإسلامية - بعد الإمام علي - عليه السلام - ماذا عمل بنو أمية - بعد الخلافة الراشدة للإمام علي - عليه السلام -، والحكم الإسلامي القائم على العدل، وعلى الحق، وعلى الخير، وعلى تربية الأمة التربية الصالحة، تربية القِيَم، تربية الأخلاق، تربية المبادئ، تآمروا على الإمام علي - عليه السلام -، قتلوه، استشهد - عليه السلام - واغتالوا معه هذا المشروع العظيم، الذي يمثل البناء الحقيقي المتماسك الصلب للأمة. ولكن حينما فقدته الأمة فقدت قوتها وعزتها الحقيقية التي كان يمكن لها أن تُستدام، أن تدوم، وأن تستمر، تحوَّل الواقع إلى أن أتى بنو أمية فبنوا إمبراطورية، لكنهم لم يبنوا الأمة، بنوا إمبراطورية لأنفسهم هم، بنوا حكماً ودولة قوية، لكن قوتها لم تكن قوة للأمة، ولم تَبْنِ قوة ذاتية في الأمة، ولهذا قوَّضت وانهارت.

أتى بعدهم العباسيون، فعلوا نفس الشيء، ثم في الأخير تقوَّضت حكومتهم ودولتهم، وسقطت. أتى بعدهم المماليك، ودول أخرى، ثم أتى في النهاية العثمانيون (الأتراك).

في مراحل تاريخ الأمة؛ كانت هناك الكثير من الضربات التي تلقَّتها الأمة، ولم تستفد منها لمراجعة ذاتية واقعية هادفة؛ بغية معالجة هذه المشكلة في واقع الأمة، ضربات كبيرة على يد

التّتار والمغول، ثم على يد الصليبيين في الحروب الصليبية، ثم جاء الاحتلال البريطاني، والفرنسي، والإيطالي وغيرهم للأمة. - وفي نهاية المطاف - جاء الأمريكيون، والإسرائيليون، والأمة قد وصلت إلى وضعية بئيسة جداً، سيئة للغاية، تبعات وإرث ثقيل من الوَهَن، تراكمات كبيرة من المشاكل، خلل يتلوه خلل، يتضاعف عليه الكثير والكثير من الخلل المتتابع؛ أثّر على الأمة، ضُربت الأمة ضربات كبيرة جداً في وعيها، في مبادئها، في قِيَمها، في كينونتها، بما يقوِّمه بما يبنيه بما يجعله متماسكاً؛ فوصل الواقع إلى ما وصل إليه.

ضاعت قِيَم كبيرة؛ العزة، الكرامة، الوحدة، العدالة، فقدت الأمة فعاليتها وأصبح فريق كبير من داخل الأمة يتحرك بشكل مباشر إلى صف أعداء الأمة، يتآمر على الأمة من داخلها، يضرب الأمة من داخلها، يعمل لتنفيذ كل مؤامرات أعداء الأمة، ومن داخل الأمة.

وهناك دور محوري في كل ما سارت إليه الأمة، لمن حذرنا الله من شرهم وهم اليهود الذين يسعون في الأرض الفساد قال تعالى ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾ من الآية ٤٥ النساء؛ ولهذا يجب توعية الأمة بهذا العدو ومكره وخبثه؛ وفي هذا السياق نقدم هذا الكتاب لأبنائنا طلبة الجامعات وهو كلام الله في القرآن الكريم عن بني إسرائيل الذين كان لهم الدور الأبرز وراء ما حل بأمتنا وما تزال خطورتهم على هذه الأمة، وكيف هي طرق مواجهتهم، وكيف نشأ الكيان الإسرائيلي، وغير ذلك من المواضيع التي لها صلة بهم، كل ذلك من كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

والله الموفق

***

الفصل الأول:
التشخيص القرآني لأهل الكتاب

المبحث الأول: اليهود من خلال القرآن الكريم

عرض الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم كثيراً من أخبار اليهود، بما يكشف واقعهم وخصوصاً في سورة البقرة وآل عمران والمائدة والإسراء والحشر وغيرها، فهذه السور مليئة بالحديث عن اليهود.

مما يعني أنه قد ورد ذكر بني إسرائيل في القرآن بشكل واسع، وقدم القرآن عرضا شاملا لما آتاهم الله من نعم، وكيف كان تعاملهم معها وعرَض كثيراً من سلوكياتهم، ومواقفهم، ونفسياتهم، ومشاعرهم بشكل لم يحصل لأي أمة من الأمم، ومنهج القرآن الكريم يعطي أهمية كبيرة لمثل هذه القضايا الهامة.

وقد يتساءل الإنسان عن سبب الحديث الكثير والواسع عن بني إسرائيل بما فيه الحديث عن خطورتهم، وتحذير المؤمنين من مكائدهم، وتضليلهم، ومؤامرتهم.

لكن لما كان الذي نزَّل القرآن هو الله الذي يعلم الغيب والشهادة، فهو من يعلم بهم وبدورهم وأثرهم في المستقبل. وفي سياق حديث القرآن عنهم عرضهم كنموذج للناس الذين اصطفاهم الله وفضلهم على العالمين وآتاهم ما لم يؤتِ أحداً من العالمين والنعم التي أنعم الله بها على بني إسرائيل والرعاية التي منحهم إياها في أيام فرعون، ومن بعده، يلعن الكافرين والمتمردين منهم الذين لم يستجيبوا ولم يلتزموا بكتبه السماوية التي أنزلها إلى الأنبياء منهم، وكيف كانت العاقبة والنتيجة بالنسبة لهم عندما لم يذكروا نعم الله، ولم يشكروها ولم يتحملوا المسؤولية التي حمَّلهم الله إياها، وصل بهم الحال إلى أن ضرب عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله، لُعِنَ الكثير منهم في القرآن الكريم، وعلى لسان أنبيائهم السابقين.

كما تضمن القرآن الكريم دعوتهم في نفس الوقت إلى الإيمان برسول الله محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) بل من الواجب أن يكونوا أول من يؤمن بمحمد وبالقرآن الذي هو مصدق لما معهم من الكتب السماوية.

وقد دمج القرآن بين الحديث عن مساوئهم وعما منحهم من الرعاية الكبيرة، وبين الحديث

عما برز في تاريخهم من صفحات مشرقة، مما يؤكد أن الحديث عن بني إسرائيل في القرآن الكريم هو حديث موضوعي، ومنطقي، وليس للتحامل عليهم بل هو للعبرة ولأخذ الدروس؛ لأنه يتحدث أيضاً عن الجانب المشرق لفئة من بني إسرائيل كان واقعها واقعاً مختلفاً تماماً. يقول الله عن هذه الفئة: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١١٣-١١٥].

١- من هم أهل الكتاب؟

أهل الكتاب هم: اليهود والنصارى، وكان معظم من يواجه الناس في تلك الفترة، ويدخلون في صراع معهم - خاصة في بدايات فترة المدينة بعدما هاجر الرسول اصلوات الله عليه وعلى اله إلى المدينة. كان اليهود هم الذين يسكنون حول المدينة في (خيبر)، و (بني قريظة)، و (بني قينقاع)، و (بني النضير)، ومناطق أخرى.

فأهل الكتاب هو اسم يطلق على اليهود والنصارى، هم أهل الكتاب السماوي السابق، أهل التوراة وأهل الإنجيل.

٢. تنوّع حديث القرآن الكريم عن أهل الكتاب:

تحدث القرآن الكريم عن بني إسرائيل حديثاً متنوعاً، يذكر فيه أنه فضّلهم على العالمين، ويطلب منهم أن يذكروا نِعمه التي أنعم بها عليهم، ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧]. ويعرض كذلك النعم التي أنعم بها عليهم والرعاية التي منحهم إياها في أيام فرعون ومن بعده، وفي مختلف الأزمنة. ويلعن الكافرين والمتمردين منهم، يلعن الذين لم يستجيبوا له، ولم يلتزموا بكتبه السماوية، التي أنزلها إلى الأنبياء منهم، ويدعوهم في الوقت نفسه إلى الإيمان برسول الله اصلوات الله عليه وعلى اله، وأن يكونوا هم أول من يؤمن بالقرآن الكريم الذي هو مصدِّق لما معهم من الكتب السماوية، دمج الله في القرآن

الكريم بين الحديث عن مساوئهم وبين الحديث عما منحهم من الرعاية الكبيرة، وبين الحديث عما برز في تاريخهم من صفحات مشرقة، دعمه بضرورة أن يستجيبوا لهذا النبي الذي أرسله إلى العالمين جميعاً محمد (صلوات الله عليه وعلى آله)، وقال عنهم: ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾[البقرة:٤١]، ولا ينبغي لمثلكم أن يكونوا أول كافرٍ به.

إن الله سبحانه وتعالى فضل – فعلاً – بني إسرائيل، واصطفى آل إبراهيم جميعاً على العالمين ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ٣٤]، وفي نفس التفضيل دروس، ومنها أن هؤلاء الذين فضلهم على العالمين، إذا لم يلتزموا وإذا لم يتمسكوا وإذا لم يستجيبوا، سيلعنهم وسيمسخ منهم قردة وخنازير، وسيلعنهم على ألسن أنبيائه. وهذا ما حصل فعلاً بالنسبة لمن كفر وتمرد وعاند منهم ... إلى آخر ما قال عنهم، هذا الجانب شيء ملحوظ في القرآن الكريم فيما يتعلق بالتفضيل مع جانب ما حصل منهم فاستحقوا به اللعنة واستحقوا به أن يحكم عليهم بالكفر.

الشيء الآخر فيما يتعلق بعدم استجابتهم للنبي (صلوات الله عليه وعلى آله) كان من منطلق الحسد، أنه لماذا لم يأت الرسول الموعود به في آخر الزمان من بني إسرائيل، وهم كانوا قد هاجروا إلى قرب المدينة المنورة في تجمعات يهودية كبيرة: بني قريظة، وبني قينقاع، وبني النظير، ويهود خيبر، وفدك.. وغيرها من المناطق، كانت فيها تجمعات يهودية كبيرة، هاجروا إلى قرب المدينة المنورة لما يعرفونه في كتبهم من أن نبي آخر الزمان سيكون هذا مُهَاجَره، وكانوا من قبل يستفتحون به على الذين كفروا كما حكى الله عنهم، كانوا منتظرين لهذا النبي ليقفوا معه وينصروه، فلما جاء رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) من غير بني إسرائيل، وجاء من بني إسماعيل حسدوه بعد أن عرفوه كما يعرفون أبناءهم.. كما حكى الله عنهم.

حينئذٍ استحقوا اللعنة أيضاً من جديد، استحقوا اللعنة أن يكفروا بمحمد (صلوات الله عليه وعلى آله) وبالقرآن الذي أنزله الله إليه وهو كتاب مصدق لما بين أيديهم، ورسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) يعرفون أخباره في كتبهم المقدسة في التوراة والإنجيل، يعرفون صفته، يعرفون مهاجره يعرفون مولده، ثم يكفرون به. استحقوا أيضاً أن يلعنهم، واستحقوا أيضاً أن يغضب عليهم.

***

المبحث الثاني: بعض مواصفات بني إسرائيل في القرآن الكريم

قدم الله لنا في القرآن الكريم الكثير من صور عناد وكفر وفساد بني إسرائيل وتعاملهم مع أنبياء الله وكتبه، ومن ذلك:

١. الكفر بكتب الله وأنبيائه وقتلهم الأنبياء:

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: من الآية٨٧] فريقاً من الرسل تكذبونهم، وفريقاً تصل بكم الحال إلى أن تقتلوهم مثلما قال سابقاً: ﴿وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ [النساء: من الآية١٥٥] وصلت سخريتهم من منطق الهدى على ألسن الأنبياء منهم ، وعلى لسان رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) أن يقولوا في الأخير: نحن قلوبنا هذه مغطاة لا يدخل كلامك إليها، لا تتقبل.

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٨٩].

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة: من الآية٨٩] ألم يكن الموقف من هذا الكتاب المصدق لما معهم من هذا النبي الذي جاء بهذا الكتاب نفس الموقف الذي كان منهم مع أنبيائهم؟ هذا يعطيك أيضاً بأنه عندما تجدهم كافرين برسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) لم تكن القضية فقط مجرد ردة فعل، لماذا لم يكن هذا النبي من بني إسرائيل؟ لا، هذا هو امتداد لما كانوا عليه حتى مع أنبياء منهم، رسل منهم ﴿فَرِيقاً كَذَّبُوا وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة: من الآية٧٠].

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [البقرة: من الآية٦١] ليس هناك أي مبرر حتى ولو كان مبرراً دعائياً، ليس معناه أنه يمكن أن يكون هناك

قتل نبي بحق، ليس هناك نبي سيقتل بحق، إلا أن معناه أنه يبين لك كيف وصلوا هم في أن هذه الأشياء ليس لها قيمة عندهم، النعم هذه والآيات هذه والأنبياء الذين هم منهم يقودونهم إلى ما فيه شرف ورفعة لهم وأنبياء يعلمون أنهم أنبياء من عند الله، وليس أنهم مكذبون؛ لأنهم لم يعرفوا أنه نبي، قد عرفوا أنه نبي، ويتآمرون عليه ويقتلونه.

إن تعامل بني إسرائيل مع كتاب الله هو تعامل مزاجي يتميز بالنفعية يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء:١٥٠،١٥١]، كانوا يؤمنون ببعض الرسل ويكفرون ببعض، يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، ويقدمون هم من عندهم شيئاً على هواهم وعلى ما يحقق أهدافهم ومصالح معينة، وقد يتغير إيمانهم بتغير الزمن والأهداف والمصالح، فيؤمنون بما كانوا يكفرون به بالأمس، ويعيدون تفسير بعض الآيات بشكل آخر فيعطلون بعض الأحكام ويطبقون أخرى نظراً لما تقتضيه المصلحة، والكفر هنا ليس بالضرورة كفراً ظاهراً ولكن يخترعون المبررات والأسباب ويدّعون أن المفاهيم تغيرت وأن العصر والزمن والحداثة قد فرضت أفكارا جديدة وأنه قد ظهرت لنا أشياء جديدة والكثير الكثير.

إن الإيمان والهدى منظومة متكاملة من عند الله تعالى فالله يجب أن يعبد كما يريد هو وليست المسألة انتقائية وإن عدم الإيمان ببعض المسائل أو تعطيل بعض الأحكام والأخذ بأخرى من باب التخفيف أو الاجتهاد أو الحداثة أو غيره هو الكفر حقاً، ولنا في إبليس مثل: فإبليس لم يشرك ولم يعبد إلا الله بل ويصرح بأنه يخاف الله ولكنه استحق اللعن والخلود في النار لأنه رفض أمراً من أوامر الله وهو السجود لآدم، وآمن وسلم بكل شيء آخر. وبذلك أصبح كافراً قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة ٣٤].

٢. تحريف كلام الله:

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا

مِنْ عِندِ اللهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾[البقرة٧٩] ويقول: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ﴾[آل عمران: من الآية ٧٨] ليس الحق بالباطل وتحريف لكتب الله وتحريف متعدد الأنواع: يكتبون الكتاب بأيديهم ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله. ويلوون في إطار حديث أو كذا يدخلونها وكأنها من كلام الله ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ﴾ يقدمها على نمط تقديمه لشيء من الكتاب ﴿لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: الآية ٧٨].

لاحظ كم تكررت هذه المسألة عنهم: وهم يعلمون، وهم يعلمون، وهم يعلمون! أي: أن تعرف أن هذه نوعية يجب أن تكون حذراً جداً في التعامل معها ويجب أن تكون حريصاً على أن تواجهها فعلاً وليس أن تحاول أن تتأقلم معها، وتحاول أن تمهد قابلية لها في أوساط الأمة. وردت كثيراً كلمة: وهم يعلمون ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: الآية ٧٥] ﴿لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ [آل عمران: من الآية ٧٠] [لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ] [آل عمران: من الآية ٧١] ألبست هكذا ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: من الآية ٧٨].

هذه جرأة شديدة وغير طبيعية، ما هذه النفسية التي تجعل هؤلاء يتجرؤون ويكذبون على الله تعالى مع علمهم بذلك؟ ولذلك فقد أتى خطاب الله للمؤمنين: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ هؤلاء الذين ترونهم كيف كانوا يتعاملون مع الله تعالى وآياته ومع نعمه، وكيف أصبحوا في واقعهم، وكيف أصبحت تصرفاتهم، وكيف انتهوا إلى هذه النتيجة السيئة، أتطمعون أنهم يمكن أن يؤمنوا لكم ويقبلوا منكم ويؤمنوا بما أنتم تريدون أن يؤمن به؟ هل هناك أمل أن يؤمنوا فعلاً؟ لا... إن من يتجرأ على الله ويحرّف كلامه لن يؤمن لكم وليس هناك أمل في إيمانه، لقد طبع الله على قلوبهم بما اقترفوه فلن يؤمن أكثرهم ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا

بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٥٥] إذا كنا مدركين أن هؤلاء ليس هناك طمع أن يؤمنوا، أن بني إسرائيل لا يرجى أن يؤمنوا لنا وأن لا أمل فيهم فكيف إذا يأتي البعض ليبحث عن سلام مع بني إسرائيل؟ هل يطمعون أن بني إسرائيل سيقبلون؟ هل يرجون أن يلتزموا باتفاقيات معينة معهم؟ كيف وهم قد اجترؤوا على الله سبحانه وتعالى، إن القرآن يقطع بعكس ذلك.

٣- استحلال المحرمات باسم الدين:

يقول الله سبحانه و تعالى حاكياً عنهم: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ﴾ [الأعراف: ١٦٩] من بعد الأجيال السابقة من بني إسرائيل خلف ورثوا الكتاب، بطريقة التلقي لايزال الكتاب بينهم، لكن أصبح في مسيرتهم الثقافية أطروحات أخرى، وتقديرات وأقوال ووجوه أخرى، فالكتاب في جانب والعمل يقوم على أساس شيء آخر، إلى أن وصلوا إلى درجة ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ [آل عمران: ٧٥] يأكلون أموال الناس ويقولون: هؤلاء أميون لن نؤاخذ عليهم قدموها كمسألة فقهية.

﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى﴾ [الأعراف: ١٦٩] من مظاهر هذه الدنيا ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ [الأعراف: ١٦٩] تأويلات مثل قولهم: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠] ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ [الأعراف: ١٦٩] ﴿وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ﴾ [الأعراف: ١٦٩] يقولون: ﴿سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لا يَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [الأعراف: ١٦٩].

﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لا يَقُولُوا عَلَى اللهِ﴾ يهاجم رؤيتهم الثقافية في الموضوع فيذكر أنهم يأخذون باطلاً، يأكلون شيئاً حراماً، لكن هذا الحرام صار مفلسفاً بأنهم لم يعودوا معاقبين عليه، وأنه سيغفر لهم ذلك، ويقدمون هذا كدين وفي الأخير يكون افتراء على الله، وقولاً بغير علم، ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لا يَقُولُوا عَلَى اللهِ﴾ أن لا تنسب إليه بأنه سيغفر، أو أنه سيعذب ﴿إِلَّا الْحَقَّ﴾ وهو ما كان من عند الله.

﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾ [الأعراف: ١٦٩] درسوا ما في الكتاب: تلوه، قرأوه، وفي ظاهر الكتاب ما يؤكد على أن الإنسان يجب أن يكون منتبهاً ودقيقاً لا يحصل من جانبه ما يحسبه وينسبه إلى الله، فيكون قد قال على الله غير الحق.

٤-نقضهم للعهود والمواثيق:

القرآن الكريم تحدث عن اليهود كثيراً، ومما قاله عن اليهود، ومما وصفهم به: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٠٠] كلما عاهدوا عهداً، إذا ما عاهد [حزب العمل] عهداً نقضه (حزب الليكود) عندما يتسلم السلطة، إذا ما دخل (الليكود) في معاهدات ومواثيق مع الفلسطينيين ومع العرب نقضه [حزب العمل] عندما يتسلم السلطة، كم من المعاهدات قامت في ما بين إسرائيل وبين العرب، بين دول عربية وبين إسرائيل وبين الفلسطينيين، معاهدات (أوسلو) ومعاهدات كثيرة كثيرة، وفي لحظة من اللحظات تنكر إسرائيل لكل تلك المعاهدات، وما زال العرب وما زال الفلسطينيون أنفسهم يعلنون أمام كل نكث عهد من قبل إسرائيل أنهم متمسكون وملتزمون بمعاهدات السلام، أنهم محافظون على السلام!. بل بعبارات تثير الاستغراب.

فقد ظهرت هذه في تعاملهم مع الفلسطينيين، كم قد لعبوا على الفلسطينيين يَعِدُونهم بأنهم سيعطونهم حكماً ذاتياً ودولة مستقلة وسلطة فلسطينية، وهي كذب، إذاً ﴿لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً﴾ والنقير: كأنه الحبة التي تكون في طرف عجمه التمر (النواة)، تلك الحبة الصغيرة، أقل قليل لا يعطونه، وهذا واضح في تعاملهم مع الفلسطينيين، أليست قضيتهم الآن واضحة أمام الناس؟ كم مضى عليهم وهم متفاوضون معهم ومُتَوِّهون ومماطلون لهم؟ لقد مرَّت عليهم منذ سنين وهم موعودُون، ولم يعطوهم شيئاً، ولو أنهم يرجعون إلى القرآن الكريم لعرفوا بأن هؤلاء لا يمكن أن يعطونا شيئاً من جهة أنفسهم، إلا بأن نأخذ نحن حقنا بالقوة وأن نحرر أوطاننا منهم، فإذا لم تقم رؤية الناس على هذا الأساس فستحصل أشياء عملية سيئة، ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذاً لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً﴾ [النساء: ٥٣] فهم بخلاء دائماً، وعندما يكون لهم نصيب من الملك، وحصلت لديهم سيطرة، ودولة فلن يعطوا الآخرين شيئاً منها.

شواهد حية في تاريخنا المعاصر عن نقض اليهود للعهود والمواثيق:

يذكر أن إسرائيل ومنذ اللحظة الأولى لقيامها عام ١٩٤٨ وحتى يومنا هذا ما زالت ترتكب مجازر بشعة ضد الشعب الفلسطيني، وبذلك تكون قد خرقت بشكل متكرر قرارات مجلس الأمن بحق الشعب الفلسطيني.

ففي ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ صدر قرار الأمم المتحدة رقم ١٨١ بتقسيم فلسطين لدولة عربية ودولة يهودية ووضع القدس وبيت لحم والأراضي المجاورة تحت الوصاية الدولية. وبعد انتهاء الانتداب البريطاني قرر تسليم فلسطين للصهاينة حيث تم إعلان دولة إسرائيل في ١٤ مايو ١٩٤٨.

وفي عام ١٩٥٣م انتهكت إسرائيل القرار ١٠١ الصادر عن مجلس الأمن الذي استنكر بلهجة شديدة الهجوم على قرية قبية الفلسطينية وقتل وجرح ١٤١ من النساء والأطفال.

وفي عام ١٩٥٥ لم تلتزم إسرائيل بقرار مجلس الأمن رقم ١٠٦ الذي يدين إسرائيل بسبب غاراتها الوحشية على قطاع غزة، وكذلك القرار رقم ١٦٢ لعام ١٩٦١ الذي يحث إسرائيل على تنفيذ قرارات الأمم المتحدة.

وقد ضربت إسرائيل بالقرارين رقم ٢٤٢،٢٣٧ لعام ١٩٦٧ عرض الحائط حيث كانا يلزمانها بالانسحاب من الأراضي الفلسطينية المحتلة وعدم جواز الاستيلاء على الأراضي بالقوة، وإعادة اللاجئين.

وفي عام ١٩٦٩ استنكر مجلس الأمن ما تقوم به إسرائيل من تغيير الوضع في القدس فصدر القرار رقم ٢٧٦ الذي استنكر ما تقوم به إسرائيل، ونظراً لعدم امتثال إسرائيل لتلك القرارات صدر قراران آخران يدينان إسرائيل هما ٢٧١ لعام ١٩٦٩، ٢٩٨ لعام ١٩٧١.

كما انتهكت إسرائيل القرار رقم٤٧١ لعام ١٩٨٠، والقرار رقم ٦٠٧ لعام ١٩٨٨م اللذان يدينان إسرائيل لعدم التقيد باتفاقية جنيف الرابعة وقيامها بإبعاد الفلسطينيين عن أراضيهم.

إن هذه القرارات بالإضافة إلى اتفاقيات أخرى كاتفاقية لاهاي لعام ١٩٥٤م لحماية الممتلكات، واتفاقية عام ١٩٧٢ بشأن الأسلحة البيولوجية واتفاقية عام ١٩٩٣ بشأن الأسلحة

الكيميائية ومعاهدة أوتاوا لعام ١٩٩٧ بشأن تجنب المدنيين والأطفال وبلات الحرب لم تكترث بها إسرائيل وأخذت ترتكب أعمالاً وحشية رغم توقيعها عليها.

وفي ٨ ديسمبر ١٩٨٧ بدأت الانتفاضة الفلسطينية الأولى التي أطلق عليها "انتفاضة الحجارة" والتي استشهد فيها ١٣٠٠ فلسطيني وقتل فيها ١٦٠ إسرائيلياً، وكان من أهم أسباب اندلاعها قيام سائق شاحنة إسرائيلي بدهس مجموعة من العمّال الفلسطينيّين على حاجز "إريز" هدأت الانتفاضة في العام ١٩٩١، وتوقفت نهائياً مع توقيع اتفاقية أوسلو بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٩٣ م التي نقضتها إسرائيل بعد توقيعها مباشرة.

وفي ٢٦ أكتوبر ١٩٩٥ اغتال جهاز الموساد الإسرائيلي "فتحي الشقاقي" مؤسس حركة الجهاد الفلسطيني، في عملية مريبة بمالطا بعد قدومه من ليبيا حيث أُغتيل بواسطة شخصين يستقلان دراجة بخارية.

وفي ٢٨ سبتمبر ٢٠٠٠ اندلعت الانتفاضة الفلسطينية الثانية التي راح ضحيتها ٤٤١٢ شهيدًا فلسطينياً و٤٨٣٢٢ جريحًا، وقتل من الإسرائيليين ١٠٦٩ قتيلًا و٤٥٠٠ جريح، وكانت أسباب قيامها دخول رئيس الوزراء الإسرائيلي "الأسبق "آرئيل شارون إلى باحة المسجد الأقصى برفقة حراسه، الأمر الذي دفع جموع المصلين إلى التجمهر ومحاولة التصدي له. وفي اليوم الثاني من الانتفاضة استشهد "محمد الدرة" في أحضان والده محتمياً به خلف برميل إسمنتي، وبعدها امتدت التظاهرات والاحتجاجات ليس فقط في فلسطين بل في العالم تنديداً بالوحشية الإسرائيلية.

وفي يونيو عام ٢٠٠٣ تم إبرام اتفاق بين الفصائل الفلسطينية وإسرائيل لوقف إطلاق النار لمدة ٣ أشهر ولكن لم تلتزم إسرائيل بالهدنة، وارتكبت خروقات كثيرة، ورداً على تلك الخروقات، نفذت كتائب القسام، عملية تفجيرية داخل إسرائيل، أسفرت عن مقتل وجرح عشرات الإسرائيليين.

وردت إسرائيل على العملية، في نفس اليوم، باغتيال القيادي البارز في حركة "حماس"، إسماعيل أبوشنب، عن طريق قصف سيارته، وعقب هذا الاستهداف أعلنت حركة "حماس" عن أنها في حلّ من اتفاق الهدنة، وأنها سترد على عملية الاغتيال.

وفي ٢٢ مارس ٢٠٠٤ استشهد الشيخ "أحمد ياسين" أحد أعلام الدعوة الإسلامية بفلسطين والمؤسس ورئيس أكبر جامعة إسلامية بها المجمع الإسلامي في غزة، حيث تم اغتياله أثناء خروجه من صلاة الفجر بواسطة سلاح الجو الإسرائيلي.

وفي ٢٠٠٥ وبرعاية مصرية أعلنت الفصائل الفلسطينية وإسرائيل عن قبول تهدئة غير رسمية، تبدأ من فبراير ٢٠٠٥، وتم تمديدها في ١٧ مارس، على أن تستمر حتى نهاية العام.

وتعهدت إسرائيل في هذه التهدئة بعدم استهداف واغتيال القادة الفلسطينيين، والتوقف عن سياسة هدم المنازل والإفراج عن كافة الأسرى الفلسطينيين في سجون إسرائيل، وتلقت مصر تعهدًا من رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق آرئيل شارون بذلك، ولكنها لم تلتزم بأي بند من بنود هذه الاتفاقية بل استمرت في سجن الفلسطينيين وهدم منازلهم والتوسع الاستيطاني.

وفي ١٢ يوليو ٢٠٠٦ وقعت حرب تموز بين جيش الاحتلال الإسرائيلي وحزب الله اللبناني، وقد استمرت ٣٤ يومياً جنوب لبنان، وقعت هذه الحرب بعد أسر حزب الله لجنود إسرائيليين للإفراج عن المعتقلين في سجون الاحتلال.

ولقن حزب الله في هذه الحرب إسرائيل درساً لن تنساه، حيث أطلق وابلًا من الصواريخ التي سقطت على مدن إسرائيلية عدة بالإضافة إلى اعتماده على حرب العصابات.

وفي محاولة لاحتواء الأزمة صدر قرار مجلس الأمن (١٧٠١) الذي ينص على انسحاب كل من الجيش الإسرائيلي وقوات حزب الله من جنوب لبنان، انتشار قوات الجيش اللبناني في الجنوب وتوسيع قوة يونيفيل لمراقبة تطبيق القرار.

وفي عام ٢٠٠٨ أعلنت فصائل المقاومة الفلسطينية وإسرائيل، عن قبولهم لتهدئة ووقف إطلاق النار بوساطة مصرية، تبدأ في يونيو، وتستمر حتى ١٩ ديسمبر من العام ذاته، وفي ٤ نوفمبر خرقت إسرائيل التهدئة بتنفيذ غارة في قطاع غزة أدت إلى مقتل ٦ من عناصر كتائب الشهيد عز الدين القسام، لكن الفصائل الفلسطينية لم ترد على ذلك.

ومع إعلان آخر أيام التهدئة أطلقت الأذرع العسكرية لحركتي الجهاد الإسلامي وحماس نحو ١٣٠ صاروخًا وقذيفة على إسرائيل، ردت عليه إسرائيل بعد عدة أيام بشن حربها الأولى على القطاع في ٢٧ ديسمبر من العام ذاته، والتي أطلقت عليه اسم "الرصاص المصبوب"،

وأطلقت عليه حماس اسم "حرب الفرقان، استمرت ٢٣ يومًا، وأودت بحياة "١٤٣٦" فلسطينيًا، وإصابة نحو "٥٤٠٠" آخرين.

وهدم الاحتلال الإسرائيلي في هذه الحرب ما يزيد عن "٤١٠٠" بيت بشكل كلي، و"١٧٠٠٠" بيت بشكل جزئي، وبلغت جملة الخسائر الاقتصادية ما يزيد عن مليار دولار.

وأعلن رئيس الوزراء الإسرائيلي آنذاك، أيهود أولمرت عن وقف إطلاق النار من جانب واحد، دون الانسحاب من قطاع غزة، بعد ٢٣ يومًا من بدء العملية، تبعه في اليوم التالي إعلان الفصائل الفلسطينية هدنة لمدة أسبوع، كمهلة لانسحاب الجيش الإسرائيلي من القطاع.

وفي ١٥ مايو ٢٠١١م اندلعت الانتفاضة الفلسطينية الثالثة، بمناسبة الذكرى ٦٣ للنكبة، حيث قامت بعد اندلاع ثورات الربيع العربي وقد أطلق عليها اسم "مسيرة العودة إلى الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨"، التي هُجر الفلسطينيون منها قبل تأسيس الكيان الصهيوني على أنقاضها.

وفي ١٨ أكتوبر ٢٠١١ أبرمت حركة حماس صفقة تبادل أسرى مع إسرائيل برعاية مصرية، أطلقت عليها اسم "وفاء الأحرار"، أفرجت بموجبها عن الجندي الإسرائيلي "جلعاد شاليط" الذي أسرته في يونيو ٢٠٠٦ خلال عملية عسكرية جنوب قطاع غزة، مقابل إطلاق سراح ١٠٢٧ أسيراً فلسطينياً من السجون الإسرائيلية معظمهم من أصحاب الأحكام العالية، ولكن لم تلتزم إسرائيل بالصفقة في الإفراج عن كامل الفلسطينيين المتفق عليهم وعمدت مباشرة إلى إلقاء القبض على الفلسطينيين وإيداعهم السجون مرة أخرى.

وفي ٢٥ يونيو ٢٠٠٦ وقع شاليط في قبضة حركة حماس، بعد أن استهدفت قوة عسكرية مدرعة كانت ترابط ليلاً في موقع "كيريم شالوم"، على الحدود بين مدينة رفح الفلسطينية وإسرائيل، ونجح الفلسطينيون في التسلل إلى الموقع، عبر نفق أرضي كانوا قد حفروه سابقاً تحت الحدود إلى الموقع الإسرائيلي مما ساعدهم على مباغتة القوة الإسرائيلية وقتل جنديين، وإصابة ٥ آخرين بجروح، وأسر شاليط ونقله إلى مكان مجهول في غزة.

وفي ١٧ إبريل ٢٠١٢ وُقّع "اتفاق الكرامة" بين الأسرى الفلسطينيين وإدارة السجون الإسرائيلية، برعاية مصرية، بعد إضراب مفتوح عن الطعام خاضه الأسرى، استمر ٢٨ يومًا، احتجاجًا على تردي أوضاعهم، وعلى سياسية الاعتقال بدون محاكمة، لكن إسرائيل لم تلتزم

بالاتفاقية، وعادت لاستئناف سياسة الاعتقال الإداري، ومعاقبة الأسرى بالسجن الانفرادي.

وفي ١٤ نوفمبر ٢٠١٢ شنت إسرائيل حربًا على قطاع غزة أطلق عليها اسم "حرب عامود السحاب"، استمرت لمدة ٨ أيام، أسفرت عن مقتل ١٦٢ فلسطينيًا، وأصيب قرابة ١٢٠٠ آخرين وبواسطة مصرية أبرمت فصائل المقاومة الفلسطينية وإسرائيل اتفاق تهدئة يقضي بوقف إطلاق النار من قبل الجانبين.

وفي أغسطس ٢٠١٤م، اخترقت إسرائيل الهدنة التي تم الاتفاق عليها لمدة ٧٢ ساعة بقتلها ٣٥ فلسطينياً، كما شن سلاح الجو الإسرائيلي، منذ ٧ يوليو من نفس العام غارات مكثفة على أنحاء متفرقة في قطاع غزة، أعقبها اجتياحًا بريًا في عملية عسكرية أطلقوا عليها اسم "الجرف الصامد"، تسببت في استشهاد ما يزيد عن ١٧٥٠ فلسطينيًا وإصابة أكثر من ٩ آلاف جريح.

وما زالت إسرائيل إلى اليوم تنقض كل معاهدة واتفاق وقرار أممي لا يصب في مصلحتها، بل إن المتأمل في سياسة الكيان الصهيوني المحتل يجد أن هناك عمل منظم بينه وبين الأمم المتحدة في أن الأول ينفذ ما يريد ويكون دور الأمم المتحدة هو إصدار قرارات لا تبالي بها إسرائيل، وفي حال اشتدت الأمور على إسرائيل في مجلس الأمن تقوم أمريكا الحضن الدافئ لإسرائيل باستخدام حق الفيتو وإيقاف أي قرار حقيقي ضد إسرائيل.

***

المبحث الثالث: عرض القرآن الكريم للنفسية اليهودية

عندما تستعرض الآيات التي تحدثت عن بني إسرائيل، تجد أنها تعرض صفحات تاريخ طائفة بني إسرائيل السوداء والبيضاء عرضاً موضوعياً، بالإضافة إلى النعم والرعاية الإلهية التي حظيت بها، خلاصة ما يقول القرآن الكريم، هو إن النفسية اليهودية قد بلغت حداً كبيراً من الحقد والخبث والمكر والدهاء، مع أن هذه الطائفة حظيت طوال تاريخها برعاية إلهية عجيبة وبنعم عظيمة تثير التساؤلات، ولكن يجب أن نفهم بأن النفسية اليهودية هذا دأبها وهذه طبيعتها.

إذن القرآن الكريم يقول لنا نحن المسلمين: بأنه لا يمكن لليهود أن يعيشوا بصفاء معكم، مهما كانت أياديكم عليهم عظيمة، ومهما كانت أفضالكم عليهم جسيمة، ومهما كانت أخلاقكم إليهم حسنة، ولا يمكن أن تصنعوا لهم كمسلمين، كما صنع لهم الله، ولا يمكن أن ترعوا اليهود كما رعاهم الله؛ ولكن في الأخير لم تجد كل تلك الرعاية الإلهية سبيلاً إلى تحول من صياغة النفسية اليهودية عمّا هي عليه من حقدٍ وخبثٍ ومكرٍ ودهاء، حتى من معاصيهم الكبيرة إنهم كانوا يقتلون الأنبياء: ﴿وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [آل عمران:١١٢] وهم يعرفون الله، وهم يعرفون الرسالات أنها صحيحة، ويعرفون كل شيء، وعندما كان يأتيهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقاً يكذبونهم وفريقاً يقتلونهم من الأنبياء؛ فكانت هذه من المعاصي، وكان هذا هو السر الذي توحي به هذه الآيات التي تتحدث عن الرعاية الإلهية، وحتى نفهم نحن المسلمين أننا عندما نتعامل مع اليهود، وعندما ننفتح لهم، وعندما نفتح صدورنا أمامهم، فإن هذا لن يغير شيئاً من النفسية اليهودية إطلاقاً؛ وبالتالي عمد القرآن إلى خلق موقف صارم، لأننا نحن العرب وحتى شرارنا أقل دهاءً ومكراً، حتى من يحاول أن يجند نفسه للمكر والدهاء والخبث لن يستطيع أن يرقى إلى ما وصل إليه اليهود في هذا المجال، وهنا نستعرض بعض الصفات النفسية التي أتصف بها بني إسرائيل كما وضحها القرآن الكريم.

١. لا يودون الخير للمسلمين:

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أنتم أمام جهة خطورتها هكذا ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلاَ الْمُشْرِكِينَ﴾ يأتي بـ ﴿الْمُشْرِكِينَ﴾ بعد ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ فيما يتعلق بقلة خطورتهم فعلاً ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلاَ الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة:١٠٥] وما يودون أبداً، وليس عندهم ودٌّ أن ينزل عليكم أي خير من جهة الله، وأعظم خير هو هذا الهدى، فتتناول هذه العبارة أي خير من جانبهم هم أو من أي طرف آخر، فإذا كانوا لا يودون أن يُنزل على الناس أي خير من جهة الله فبالأولى من عندهم هم، هذه الآية كشفت لنا النفسية اليهودية.

فالآية هذه مهمة جداً جاءت بشكل قاطع وبشكل مطلق أمام النفسية اليهودية التي هي خطيرة جداً، وهذه سنة إلهية فيما يتعلق بهداه للناس، وهداه يقدَّم للإنسان المتفهم الذي يعرف عمق الأشياء، الذين ليس عندهم مثلاً ذكاء وليس عندهم فهم بالشكل المطلوب، وأقل ما يمكن أن يعرفوا أن أهل الكتاب لا يودون أي خير لنا، وهذه واحدة من الأشياء التي سيعرفها الواحد من الناس ولو لم يكن يقرأ ولا يكتب؟ وهذه قضية أساسية وثابتة من الثوابت تخصن الناس فالباري سبحانه وتعالى لم يجعل قضية وعي الأشياء وفهمها، أي الأشياء التي تعتبر من هدى الله سبحانه وتعالى بالشكل الذي تحتاج إلى مفكرين وفلاسفة وباحثين متعمقين ليكتشفوها، يعطي هدى على هذا النحو ويعطي هدى بشكل قواعد عامة وأسساً، ويعرفها الناس كلهم، أيّ إنسان سيفهم من هذه الآية: بأن الذين كفروا من أهل الكتاب – ولا يوجد الآن في زماننا مؤمنون من أهل الكتاب وطيبون من أهل الكتاب، هم أولئك وأسوأ ربما من السابقين – أنهم لا يودون أن ينزل علينا أي خير من أي جهة.

كراهتهم أن يروا المسلمين في خير، في تقدم، في رخاء، فذلك شيء يعملون بجدٍّ على أن يحُولُوا بين الأمة وبين الوصول إليه ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة:١٠٥] وفعلاً نحن هنا في اليمن كمثال، ناهيك عن بقية الدول العربية، والمسألة واحدة طعامنا، ولباسنا، وأدْوِيَتُنا، ومختلف الكماليات التي

نستخدمها، والصابون، والشامبو، ومختلف المشروبات، ومختلف العطور، والأشياء الكثيرة جداً جداً التي نستهلكها، معظمها من شركات أجنبية مصنوعة بأيدي اليهود، هم لا يريدون أن يصل الناس إلى مستوى أن يصنعوا لأنفسهم، أن يكتفوا بأنفسهم في مجال الزراعة، وفي مختلف شؤون الحياة، لا يودون لنا أي خير، ويريدون منا أن نظل سوقاً استهلاكية نستهلك منتجاتهم، وليضعوا مصنعاً هنا في هذا البلد العربي، أو في ذلك البلد العربي المصنع لنفس الشركة واسم المنتج ويحمل نفس اسم الشركة، كلها الأسماء نفسها، للشركات نفسها والمنتج الرئيسي لها نفسه، والشركة يكون مقرُّها في بريطانيا أو في أي مكان في دول الغرب أو في أمريكا، وهنا مصنع يوفر عليهم كثيراً من الأموال عندما يكون مصنع هنا، وليخدعونا نحن بأن هذا هو منتج وطني، واقرأ على كثير من المنتجات "بترخيص من شركة كذا" التي مقرها في نيويورك أو مقرها في لندن أو في أي دولة من الدول الأخرى، فكل ما نستهلكه يصب معظمه إلى جيوب اليهود.

هذا بالنسبة لـ (الخير) في هذا الجانب الاقتصادي وفي جانب ما نستهلكه في مجال الغذاء. والدواء كذلك ومعظم الأدوية من شركات أجنبية، واليهود معلوم بأنهم هم أصحاب رؤوس الأموال الكبيرة المسيطرة على قطاعات واسعة من الاقتصاد في أمريكا وفي دول الغرب وفي أوروبا وغيرها، يحملون عداوةً شديدةً لكم؛ فهم لا يودون لكم أي خير، وهم دائماً مستشعرون لهذه العداوة؛ لأن أناساً لا تعرفهم ولا بينك وبينهم معرفة، أنت لا تَوَدُّهم، ولا تبغضهم، ولا تعاديهم، ولا تواليهم، أليس هذا قد يحصل؟ لكن اليهود بالنسبة لنا عندهم مشاعر داخلية، توجه داخلي، لديهم حالة نفسية: أنهم لا يريدون لنا أي خير، ويعملون على ألا نصل إلى أيِّ خير، لأنهم أعداء، ويريد الله أن يقول لنا إنهم أعداء، ويجب أن تتعاملوا معهم كأعداء، وأن تحملوا لهم عقدة العداء.

الفلسطينيون وهم يواجهون إسرائيل منذُ فترة طويلة لم يأخذوا دروساً، لم يأخذوا عبراً، لم يرجعوا إلى القرآن الكريم ليستوحوا منه كيف يواجهون هذا العدو اللدود.. لو رجعوا إلى آية واحدة لأعطتهم درساً، إن كل ما يؤملونه في ظل الدولة الإسرائيلية غير ممكن أن يتحقق، الله قال عن اليهود: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذاً لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً﴾ [النساء:٥٣] والنقير ما هو؟ الحبة البيضاء الصغيرة في ظهر نواة التمر (العَجَمة). عندما يكون لليهود سلطة لا

يمكن أن يعطوا الآخرين منها ما يعادل نقيراً، فكيف يطمح الفلسطينيون إلى أن بإمكانهم أن يتهيأ لهم إقامة دولة داخل إسرائيل في فلسطين نفسها يقيمون دولة؟! كيف يمكن أن تسمح لهم إسرائيل بذلك؟ وفعلاً لم يحصل هذا، لم تستقر هذه الدولة إطلاقاً.

٢. عداوتهم للمؤمنين:

نفهم من خلال الآيات القرآنية التي تتحدث عن شدة عداوتهم لنا بأنهم ما يودون لنا أي خير، بأنهم يودون أن نكون كفاراً، بأنهم يودون أن نكون ضالين، أليس هذا يعني عداء؟ هي الصفة نفسها الشيطانية التي حكاها الله عن الشيطان، الشيطان هو معادي، ألم يذكر الله في كتابه الكريم عن الشيطان أنه عدو مبين لبني آدم؟ وفي ماذا تجلت عداوته؟ أليست في الإضلال؟ فهم عندما يتجهون لإضلالنا إنما لأنهم أعداء أيِّدَاء شديدو العداء لنا. ويُصرِّح القرآن الكريم أيضاً في آية بهذه العداوة فيقول سبحانه وتعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة:٨٢] وهنا يقول إن اليهود هم أشد الناس عداوةً للمؤمنين، والمؤمنون هنا في هذا التعبير هو بمعناه اللُّغوي، المؤمنون المنتمون إلى هذا الدين، والمحسوبون على هذا الدين، والذين يدينون بالإسلام، ويقرون بالله وبرسوله وبالقرآن، والإيمان بالمعنى اللغوي ورد استعماله كثيراً في القرآن الكريم، ناهيك عن عداوتهم الشديدة للمؤمنين الحقيقيين؟.

ومن مظاهر عداوتهم للمؤمنين:

أ) شدة غيضهم وحقدهم على المؤمنين:

يوضح القرآن الكريم بأنهم لا يحبوننا وأنهم يعملون على مسح العداء من نفوس المؤمنين والتضليل عليهم باسم السلام والتعايش وتجريدهم من أسلحتهم مع تحركهم بشدة وغيظ وعداوة للمؤمنين فيقول الله سبحانه ﴿هَاأَنتُمْ أُولاء تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [آل عمران:١١٩] فهم لا يحبونكم، هم حاقدون عليكم حتى ولو أنتم تحبونهم، ها أنتم هؤلاء تحبونهم وهم في نفس الوقت لا يحبونكم، ويعضون عليكم الأنامل من الغيظ، هذا من قمة الحقد، من الغيظ.

نستخدمها، والصابون، والشامبو، ومختلف المشروبات، ومختلف العطور، والأشياء الكثيرة جداً جداً التي نستهلكها، معظمها من شركات أجنبية مصنوعة بأيدي اليهود، هم لا يريدون أن يصل الناس إلى مستوى أن يصنعوا لأنفسهم، أن يكتفوا بأنفسهم في مجال الزراعة، وفي مختلف شؤون الحياة، لا يودون لنا أي خير، ويريدون منا أن نظل سوقاً استهلاكية نستهلك منتجاتهم، وليضعوا مصنعاً هنا في هذا البلد العربي، أو في ذلك البلد العربي للصنع لنفس الشركة واسم المنتج ويحمل نفس اسم الشركة، كلها الأسماء نفسها، للشركات نفسها والمنتج الرئيسي لها نفسه، والشركة يكون مقرُّها في بريطانيا أو في أي مكان في دول الغرب أو في أمريكا، وهنا مصنع يوفر عليهم كثيراً من الأموال عندما يكون مصنع هنا، وليخدعونا نحن بأن هذا هو منتج وطني، واقرأ على كثير من المنتجات "بترخيص من شركة كذا" التي مقرها في نيويورك أو مقرها في لندن أو في أي دولة من الدول الأخرى، فكل ما نستهلكه يصب معظمه إلى جيوب اليهود.

هذا بالنسبة لـ (الخير) في هذا الجانب الاقتصادي وفي جانب ما نستهلكه في مجال الغذاء، والدواء كذلك ومعظم الأدوية من شركات أجنبية، واليهود معلوم بأنهم هم أصحاب رؤوس الأموال الكبيرة المسيطرة على قطاعات واسعة من الاقتصاد في أمريكا وفي دول الغرب وفي أوروبا وغيرها، يحملون عداوةً شديدةً لكم؛ فهم لا يودون لكم أي خير، وهم دائماً مستشعرون لهذه العداوة؛ لأن أناساً لا تعرفهم ولا بينك وبينهم معرفة، أنت لا تَوَدُّهم، ولا تبغضهم، ولا تعاديهم، ولا تواليهم. أليس هذا قد يحصل؟ لكن اليهود بالنسبة لنا عندهم مشاعر داخلية، توجه داخلي، لديهم حالة نفسية: أنهم لا يريدون لنا أي خير، ويعملون على ألا نصل إلى أيِّ خير، لأنهم أعداء، ويريد الله أن يقول لنا إنهم أعداء، ويجب أن تتعاملوا معهم كأعداء، وأن تحملوا لهم عقدة العداء.

الفلسطينيون وهم يواجهون إسرائيل منذُ فترة طويلة لم يأخذوا دروساً، لم يأخذوا عبراً، لم يرجعوا إلى القرآن الكريم ليستوحوا منه كيف يواجهون هذا العدو اللدود.. لو رجعوا إلى آية واحدة لأعطتهم درساً، إن كل ما يؤملونه في ظل الدولة الإسرائيلية غير ممكن أن يتحقق، الله قال عن اليهود: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذاً لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً﴾ [النساء:٥٣] والنقير ما هو؟ الحبة البيضاء الصغيرة في ظهر نواة التمر (العَجَمة). عندما يكون لليهود سلطة لا

يمكن أن يعطوا الآخرين منها ما يعادل نقيراً، فكيف يطمح الفلسطينيون إلى أن بإمكانهم أن يتهيأ لهم إقامة دولة داخل إسرائيل في فلسطين نفسها يقيمون دولة؟! كيف يمكن أن تسمح لهم إسرائيل بذلك؟ وفعلاً لم يحصل هذا، لم تستقر هذه الدولة إطلاقاً.

٢. عداوتهم للمؤمنين:

نفهم من خلال الآيات القرآنية التي تتحدث عن شدة عداوتهم لنا بأنهم ما يودون لنا أي خير، بأنهم يودون أن نكون كفاراً، بأنهم يودون أن نكون ضالين، أليس هذا يعني عداء؟ هي الصفة نفسها الشيطانية التي حكاها الله عن الشيطان، الشيطان هو معادي، ألم يذكر الله في كتابه الكريم عن الشيطان أنه عدو مبين لبني آدم؟ وفي ماذا تجلت عداوته؟ أليست في الإضلال؟ فهم عندما يتجهون لإضلالنا إنما لأنهم أعداء ألِدَّاء شديدو العداء لنا. ويُصرِّح القرآن الكريم أيضاً في آية بهذه العداوة فيقول سبحانه وتعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة:٨٢] وهنا يقول إن اليهود هم أشد الناس عداوةً للمؤمنين، والمؤمنون هنا في هذا التعبير هو بمعناه اللُّغوي، المؤمنون المنتمون إلى هذا الدين، والمحسوبون على هذا الدين، والذين يدينون بالإسلام، ويقرون بالله وبرسوله وبالقرآن، والإيمان بالمعنى اللغوي ورد استعماله كثيراً في القرآن الكريم، ناهيك عن عداوتهم الشديدة للمؤمنين الحقيقيين؟.

ومن مظاهر عداوتهم للمؤمنين:

أ) شدة غيضهم وحقدهم على المؤمنين:

يوضح القرآن الكريم بأنهم لا يحبوننا وأنهم يعملون على مسح العداء من نفوس المؤمنين والتضليل عليهم باسم السلام والتعايش وتجريدهم من أسلحتهم مع تحركهم بشدة وغيظ وعداوة للمؤمنين فيقول الله سبحانه ﴿هَاأَنتُمْ أُولاء تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [آل عمران:١١٩] فهم لا يحبونكم، هم حاقدون عليكم حتى ولو أنتم تحبونهم، ها أنتم هؤلاء تحبونهم وهم في نفس الوقت لا يحبونكم، ويعضون عليكم الأنامل من الغيظ، هذا من قمة الحقد، من الغيظ.

وبالمناسبة كان يوجد في (شيام كوكيان) يهود حصلت هناك قصة يقول أحد أبناء شيام: إنه كان لديه صديق يهودي، وكانوا يبيعون ويشترون مع بعض ويسافرون مع بعض، وكان معروفاً هكذا بـ (أنه متى ما مشى مسلم وخلفه يهودي فإن اليهودي من شدة غيظه يَهُمّ بقتله لو يجرؤ)، هم أصدقاء ويسيران معاً، وكان المسلم يسير أمامه فالتفت إليه (وهو يعض أنامله)، فأقسم عليه بالله: هل هو صحيح بأنه متى ما كان اليهودي يمشي خلف مسلم أنه يَهُمّ بقتله؟ فقال اليهودي: والله ما نمشي خلفكم إلا ويَهُمّ الواحد منا بقتلكم لو كان سيجرؤ. وهم أصدقاء تجارة يسافرون جميعاً ويبيعون ويشترون جميعاً، من مدينة واحدة.

هم عندما يقدمون لنا كلمة سلام، وعالم مسالم، وأشياء من هذه، إنما هدفهم أن يجمدوا نفسياتنا، أن يميتوا كل مشاعر العداوة التي ركز القرآن الكريم على خلقها في نفوسنا بالنسبة لهم؛ لأن هذه حالة نفسية مهمة؛ فإذا برزت نفسيتك وهي لا تحمل عداوة لن تبذل نفسك، لن تبذل مالك، لن تعد أي عدة، ولن تبني حتى بلدك، وهم هناك يعدون ويتحركون وفي الأخير لا تدري إلا وإذا بك في الأسفل وهم الأعلى، أنت مجرد من كل إمكانياتك وأسلحتك، لم تعدّ شيئاً! وهم يظهرون لك في وقت معين أعداءً شرسين في وقت أنت لا تتمكن أن تعمل شيئاً، كما قال مرة (كوفي أنان)[٢] وهو يعظ زعماء المسلمين: لا نريد أن يكون الطفل اليهودي يتصارع مع الطفل المسلم، ويبكي الطفل اليهودي والطفل المسلم! إذَن يتعايشون جميعاً في حالة من الإخاء والاحترام المتبادل، والسلام يسود الجميع!!.

هذا كذب كله، هم يريدون أن يقتلوا فينا كل مشاعر العداوة بالتثقيف، ثم بالإرهاب، ﴿يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ لا تتكلم في أمريكا سيقولون أنت إرهابي وتثيرهم علينا، اسكت، ما لم فسنسلّمك! أليست هذه واحدة منها؟ هذا نقطة وصلوا إليها، لم يكتفوا بالتأثير الإعلامي، على أن عناوين كثيرة تغيب من الساحة هي ضدهم، مشاعر معينة تغيب من النفوس هي ضدهم، تمسح كلها، وتنتهي كلها، ثم لم يقفوا عند هذا الحد، بل وصلوا إلى درجة أن يستخدموا جانب الترهيب لمن لا ينفع فيه جانب التثقيف فيكلفوا الدولة في كل بلد عربي بأن تضرب المسلمين فتقوم بالدور بدلاً عنهم!.

---

(٢) كوفي أنان: أمين عام الأمم المتحدة خلال الفترة: ١ يناير ١٩٩٧م – ٣١ ديسمبر ٢٠٠٦م.

فهم لا يريدون أن يظلموك ويسحبوك هم ثم تعتبر نفسك مظلوماً؛ لأن هذه مشاعر خطيرة عليهم، عندما تعتقد نفسك مظلوماً. تعتقد نفسك مسحوقاً، تعتقد نفسك مهاناً من قبلهم؛ لأن هذا حالة نفسية في يوم من الأيام في ظرف من الظروف ستنفجر ويكون لتفجرها أثر كبير ضدهم، لا.. نريد أن نظلم الناس وليصلوا إلى أحط مستوى وهم لا زالوا يشعرون بأن الموقف الذي هم عليه منا هو الموقف الإيجابي للحفاظ على الوطن، أو تحت أي عنوان آخر، لهذا حكى الله عمّن يتولى اليهود والنصارى أنهم يطلقون عناوين تشعر بأن المسألة إنما هي تدارك لخطورات معينة ﴿نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ أي حفاظ على مصلحة الوطن أو نحو ذلك.

مثال ما كان يحدث للرئيس الفلسطيني السابق ياسر عرفات: ألم يحاولوا قتل عرفات بعدما ضربت فلسطين، وبعدما ضربت طائرته، والدبابات حول بيته؟ إنه لماذا لا يمسك الناشطون - كما يسمونهم - الناشطون من حركة حماس ومن منظمة الجهاد وغيرها؟ هم يريدون أن يصلوا بأي زعيم عربي إلى أن يصبح جندياً صراحة يخدمهم، كانوا يضربون دوائر الأمن الفلسطينية، يضربون مراكز الدولة الفلسطينية التي ما زالت دولة وهمية، يقولون: لماذا؟ لأن واجبك أنت بأنك تمنع الناشطين؛ حتى لا أحد يزعج إسرائيل!!. تتحول أنت إلى شرطي تخدم إسرائيل، وتحافظ على أمن إسرائيل، وإلا سنضربك، فيقول: حاضر! ويعلن بأن تتوقف العمليات، يتوقف إطلاق النار، يتوقف استخدام أسلحة ضد إسرائيل، أعلن هكذا عرفات! لا يعد أحد يعمل شيئاً!!. بعد ما حصل ضرب من جانب إسرائيل داخل فلسطين يتجه عرفات لأخذ الشباب الناشطين من حماس والجهاد وغيرها إلى السجون بأعداد كبيرة وفي الأخير ألم يضربوه هو. وحصل لغير ياسر عرفات زعماء عرب خدموا أمريكا وإسرائيل وفي الأخير ضربتهم هي، والنظام السعودي العميل والنظام الإماراتي العميل والخونة المتحالفون معهم لخدمة المشروع الأمريكي الإسرائيلي ليسوا حالة استثنائية، ولن يكون مصيرهم إلا كمصير من سبقهم من الخونة والعملاء بل أسوأ من ذلك.

هذا يعني بأن هؤلاء لا يتوقفون عند حد إطلاقاً، بل سيصلون بالناس - وهي طريقة شيطانية ذكر الله بأنها أسلوب من أساليب الشيطان في القرآن الكريم - أن يصلوا بالناس إلى درجة أن يظلمونا ويهينونا ويسحقونا ومع ذلك نتولاهم ونحبهم ونؤيدهم ونصفق لهم!.

ب. عدم رضاهم عن المؤمنين:

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠] هذه آية، أي هذه حقيقة لا تتخلف ﴿لَنْ تَرْضَى عَنْكَ﴾ بـ(لن) النافية، لن يرضوا عنك أبداً مهما عملت لهم، مهما قدمت لهم، مهما أظهرت من حسن نوايا معهم، مهما أظهرت من تعاون معهم، إنهم لن يرضوا عنك أبداً، ولن ترضى عنك اليهود، ولن ترضى عنك أيضاً النصارى حتى تتبع ملتهم، فتكون كواحد منهم صريحاً، تتّبع ملّتهم، وهم لن يعترفوا بك أنك قد أصبحت متبعاً لملتهم إلا بعد أن يتأكدوا منك أنك قد تخليت عما أنت عليه، عن ملتك التي أنت عليها، وعن أمتك التي أنت منها، اليهودي هنا في اليمن يرى أن أمته التي هو مرتبط بها هم أولئك اليهود المنتشرون في أقطار الدنيا، نفسه مشدودة إلى إسرائيل وإن كان هنا في اليمن، وولد في اليمن، ونشأ في اليمن، ويتحدث بلغة اليمنيين، وله صداقات مع بعضهم، لكنه يرى هو أنه مرتبط بأولئك، هؤلاء ليسوا هم أهل ملته؛ وبالتالي فليسوا هم الأمة التي يعتبر نفسه واحداً منها. فعندما يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ معناها أيضاً - فيما نفهم - أنه أيضاً هم لن يقبلوا منك إلا أن تتخلى عن ملتك التي أنت عليها، وعن أمتك التي أنت منها.

تجلت أحداث هي مصاديق لهذه الحقيقة الإلهية بأن اليهود والنصارى لن يرضوا عن أي شخص مهما كان صديقاً لهم وإن ملأت العهود والاتفاقيات والمواثيق معهم أدراج مكتبه، وإن قدموا له في ماضيه ما قدموا، وإن قدم لهم من الخدمات ما قدم فإنهم لن يرضوا عنه.

هناك أنظمة عربية لها علاقة قوية جداً مع أمريكا وهي صديقة لأمريكا، وعلى الرغم من ذلك هم ما زالوا أعداءً، والعدو لا يمكن أن ينصح، أو يخلص لك، إنه عدو تاريخي، عداوة مستقرة ثابتة، فكل ما تقدمه له فإنه لن يرضى عنك أبداً حتى تكون على النحو الذي يريد. وهو ما قال الله عنه: ﴿حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ واتباع ملتهم هو أن تتخلى عن ملتك، وأمتك وشخصيتك وهويتك، وإلا فأنت ما تزال غير مرغوب فيه، وغير مرضي عنه مهما حاولت ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠] وهو النبي الذي يعلمون أنه نبي فكيف سيرضون عن أمته.

﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠] عندما يقول: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ سمى ملتهم بأنها أهواء ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾.

وهذه الآية تحصن المؤمن من أن يقبل أي ترويج دعائي لتقبل أمريكا وإسرائيل ومن يدور في فلكهم على الإطلاق لأن معناها تهديد إلهي ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ إذا كان الله يهدد النبي، فالتهديد للأمة هو بالأولى فهم لا يمتلكون إلا أهواء، لا يمتلكون ديناً حقاً وبالتأكيد لا يوجد مقابل الدين الحق، ومقابل الحق إلا أهواء، إذن ستضرب الأمة عندما تتبع أهواء هؤلاء.

٣. قسوة القلوب:

إن الإنسان بعدما يشاهد آية من آيات الله أو يسمع شيئاً من هدى الله يتأثر قلبه ويلين ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦] هذا هو الشيء الطبيعي لكن إذا لم يكن هناك استجابة لله سبحانه وتعالى، وعمل بهديه، وتفاعل مع ما يُهْدَوْنَ إليه، فيكون البديل قسوة في القلوب، تقسوا متى ما قسا القلب فإنه لا يعد يتأثر بالمواعظ، ولا يستجيب، وتكون قسوة القلب ينتج عنها هذه التصرفات الخاطئة، وتلاحظ كيف هي في الأخير أشياء رهيبة جداً، قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤] هناك من الحجارة بعضها ينفع، القلب القاسي لم يعد يقدم شيئاً، ولم يعد ينفع بشيء، ولم يعد كله إلا خلل، ولم يعد ينتج عنه إلا ضرر، ويقول سبحانه وتعالى ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: ٧٤] أيضا جعل الحجارة أفضل من تلك القلوب القاسية؛ لأن الحجارة بعضها تسقط وتهبط من خشية الله، ويمكن إن الصخرة الصماء الصلبة القاسية أن تلين وتخشع لله وتهبط من خشية الله، وأيضاً يتفجر من بعضها الماء، لكن القلوب القاسية لم تعد تنفع بشيء أبداً، ولم تعد إلا ضارة، فهي ليست بالشكل الذي تقبل شيئاً فيخشع أصحابها ولا تكون تصرفاتهم وما يأتي من جانبهم بالشكل الذي ينفع الأمة.

ومن الأمثلة على قسوة قلوبهم:

مذبحة صبرا وشاتيلا :

في صباح السابع عشر من سبتمبر عام ١٩٨٢م استيقظ لاجؤو مخيمي صبرا وشاتيلا على واحدة من أكثر الفصول الدموية في تاريخ الشعب الفلسطيني الصامد، بل من أبشع ما كتب تاريخ العالم بأسره في حق حركات المقاومة والتحرير.

صدر قرار تلك المذبحة برئاسة آرييل شارون وزير الدفاع الإسرائيلي آنذاك ورافايل إيتان رئيس أركان الحرب الإسرائيلي في حكومة مناحيم بيجن، فقام الجيش الإسرائيلي ترافقه عدد من المجموعات بإطباق الحصار على مخيمي صبرا وشاتيلا ودخلت ثلاث فرق إلى المخيم، وأطبقت تلك الفرق على سكان المخيم وأخذوا يقتلون المدنيين قتلاً بلا هوادة، أطفال في سن الثالثة والرابعة وجدوا غرقى في دمائهم، حوامل بقرت بطونهن ونساء تم اغتصابهن قبل قتلهن، رجال وشيوخ ذبحوا وقتلوا، وكل من حاول الهرب كان القتل مصيره! نشروا الرعب في ربوع المخيم وتركوا ذكرى سوداء مأساوية وألماً لا يمحوه مرور الأيام في نفوس من نجا من أبناء المخيمين.

٤٨ ساعة من القتل المستمر وسماء المخيم مغطاة بنيران القنابل المضيئة، أحكمت الآليات الإسرائيلية إغلاق كل مداخل النجاة إلى المخيم فلم يسمح للصحفيين ولا وكالات الأنباء بالدخول إلا بعد انتهاء المجزرة في الثامن عشر من سبتمبر حين استفاق العالم على مذبحة من أبشع المذابح في تاريخ البشرية ليجد جثثاً مذبوحة بلا رؤوس ورؤوساً بلا أعين ورؤوساً أخرى محطمة ! ليجد قرابة ٣٠٠٠ جثة ما بين طفل وامرأة وشيخ ورجل من أبناء الشعب الفلسطيني والمئات من أبناء الشعب اللبناني.

وحاصرت مجزرة صبرا وشاتيلا الكيان الإسرائيلي أمام الرأي العام العالمي وفي ١٦ ديسمبر ١٩٨٢ دان المجلس العمومي للأمم المتحدة المجزرة ووصفها بالإبادة الجماعية، لكن المجرم شارون لم يعاقب بل تم انتخابه رئيساً لحكومة الاحتلال عام ٢٠٠١.

الجدير بالذكر أن العدو الإسرائيلي ارتكب بواسطة المجرم أرييل شارون جرائم عديدة منها مجزرة قبية ١٩٥٣م، وقتل وتعذيب الأسرى المصريين ١٩٦٧م، واجتياح بيروت ومجزرة

صبرا وشاتيلا، واستفزاز مشاعر المسلمين بتدنيسه لحرمة المسجد الأقصى سنة ٢٠٠٠م، وكذلك ارتكابه مذبحة جنين ٢٠٠٢م، والكثير من عمليات الاغتيال ضدَّ أفراد المقاومة الفلسطينية وعلى رأسهم الشيخ أحمد ياسين.

مجزرة صبرا وشاتيلا لم تكن الجريمة الصهيونية الأخيرة بحق الأبرياء من أبناء الشعب الفلسطيني، فمسلسل المجازر اليومية لم ينته، والكيان الصهيوني لم يتوان عن ارتكاب مزيد من المجازر في حق الشعب الفلسطيني على مرأى ومسمع من العالم بأسره، وكأن يديه القذرتين اعتادتا أن تكونا ملطختين بالدم الفلسطيني أينما كان.

يذكر أن الصور التي أخذها مصورا صحيفة التايم آنذاك (رابين موير - يل فولي) تمكنت من فضح حجم جريمة الاحتلال النكراء، وحقيقة ما حصل وهذه بعض تلك الصور التي هزت العالم.

٤. الحسد:

يقول الله سبحانه وتعالى ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً﴾ [النساء:٥٤] يعني: هذه النفسية السابقة التي قال عنها: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾[النساء:٥١] و﴿يَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ﴾ [النساء:٤٤] ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً﴾ [النساء:٥١]، هؤلاء هم هكذا: لو أنَّ المُلْكَ لهم لن يؤتوا الناس نقيراً، لأنهم يحسدوننا على الآتي:

أ. نعمة القرآن والرسول:

هم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ بمعنى: بل هم يحسدون الناس ﴿عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ لأن هذا الدين، القرآن الكريم والرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) يعتبر نعمة كبيرة جداً، ولهذا الله يذكّر الناس بالقرآن بأنه نعمة كبيرة ويذكّرهم بالنبي (صلوات الله عليه وعلى آله) وبأنه نعمة كبيرة ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ

وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران:١٦٤]. وأهل الكتاب هم يعرفون في تاريخهم قيمة الدين، وقيمة الحق، وكيف أنه يبني أمة تكون على أرقى مستوى تكون أقوى أمة، أصبحوا حاسدين، فهم ما أصبحوا حاسدين إلاَّ لأن الناس أوتوا شيئاً صحيحاً وأوتوا شيئاً يعتبر بالنسبة لهم نعمة كبيرة، وفي الوقت نفسه يقولون لماذا لم يكن النبي منهم - كما يقولون - لماذا لم يأتِ النبي منهم، هذه المقولة هم يقولونها، لكن قد جاء أنبياء منهم ﴿فَرِيقاً كَذَّبُوا وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة:٧٠].

وهنا يقدم الله المسألة: المُلْك، الفضل بيد الله وقد أعطاهم من قبل، وهم الذين تخلوا، وهم الذين أصبحوا يتعاملون مع أنبياء الله بالتكذيب والقتل، ويتعاملون مع كتب الله بالتحريف، ويشترون بها الضلالة، ويشترون بها ثمناً قليلاً، فالفضل هو لله هو بيد الله والملك هو لله والأمر والحكم هو لله سبحانه وتعالى يؤتيه من يشاء ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً * فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً﴾ [النساء:٥٤،٥٥] عندما يقول: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا﴾ يعني: أن الملك له والأمر والنهي والحكم له.

ب. نعمة الإسلام:

يقول سبحانه وتعالى ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ [البقرة:١٠٩] هنا يذكِّر بخطورة أخرى من مخاطر بني إسرائيل بالنسبة للأمة وبالنسبة للمسلمين: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ﴾ الود معناه: الرغبة والميل إلى هذا الشيء رغبة بميل ﴿لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً﴾ قد صرتم مؤمنين ولا يزال لديهم رغبة شديدة وميلٌ إلى أن يردوكم كفاراً ﴿حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ يعرفون قيمة الدين وأهمية الدين وما يقدمه للناس فحسدوا الناس على هذا حسداً من عند أنفسهم ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ يعني: أنهم في حركتهم لا ينطلقون على أساس أن هناك باطلاً يريدون أن يحاربوه وأن يقدموا حقاً من لديهم بل هم يفضحون أنفسهم في هذا الموضوع، أليسوا هم يقدمون

أشياء باطلة في محاربة هذا الشيء، هي باطلة في كتبهم، وهي باطلة في شريعتهم؟ أليسوا يعملون على نشر الفساد الأخلاقي؟ هل هذا عمل أناس يسعون لإزاحة باطل والإتيان بحق، أبداً عمل أناس حاسدين وحاقدين ويعتبرون ما أمامهم هو حق، ما لديهم أبداً أي وسيلة ليحاربوا إلا وهي وسيلة باطلة، فيستخدمون وسائل هم يعرفون بأنها باطلة حتى في شريعتهم: كالمخدرات، ونشرها الفساد في الأرض بنشر الأمراض، الفساد بمختلف الوسائل الفساد الأخلاقي بإفساد الإنسان إبعاده عن الله أن يصلوا به إلى الشرك أن يصبح مشرك أو يصبح ملحد بل قالوا: هم كانوا وراء الشيوعية هي الفلسفة التي تجعل الإنسان ملحداً منكراً لله منبعها من عندهم هم، هل هذا من شريعتهم؟ هل هذا هو من الحق الذي لديهم في مقاومة الباطل الآخر؟! لا.

ولو ركزنا في قولة سبحانه وتعالى ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً﴾ [البقرة: ١٠٩]. اليهود يعرفون، يعرفون أثر الإيمان عندما يكون هناك في الأمة إيمان، وهم يعرفون أنهم إذا استطاعوا أن يمسخونا كفاراً هم لا يريدون أن نكون يهوداً. وقالوا هم في وثائقهم المسماة (بروتوكولات حكماء صهيون) أنهم لا يريدون أن يكون المسلمون أو النصارى يهوداً، أنهم لا يستحقون أن يكونوا يهوداً ولكن يكونوا كفاراً يكونوا ضالين، يكونوا كذا إلى آخره ليفقدوا النصر الإلهي والتأييد الإلهي وما يمكن أن يعطيه الإيمان. يودوا أن نكون كُفَّاراً ولم يقل (يودوا أن نكون يهوداً)، هم ليسو مشغولين بأن يدعونا إلى أن نكون يهوداً، لماذا لا يودون أن نكون يهوداً ويودون أن نكون كفاراً؟ هم هَمّهم الرئيسي أن لا نحمل إيماناً نُمنح به تأييد الله ورعايته فيصعب عليهم مواجهتنا، ويصعب عليهم ضربنا، فليفسدونا فليحولونا إلى كفار، هذا هو الذي يريدون، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ يعني (عندما تصبح كافراً) يصبح من السهل على اليهود أن يضربوك؛ لأنهم قد فصلوك عن الله، وستكون في الوقت نفسه بدلاً من أن تكون محط عناية الله وتأييده تصبح محط ومحل غضب الله – ونعوذ بالله من غضبه – وإذلاله وتعذيبه.

قد نكون نحن المسلمين من أجهل الناس بديننا، ولكن الغريب في الموضوع أن أعداءنا هم من يفهمون عظمة ما لدينا من هذا الدين، لهذا تجد أنهم وهم أعداء لنا يتجهون إلى ضرب ديننا، أليس هذا ما نشاهده؟ حملات ضد القرآن الكريم، وحملات تشويهية ضد الرسول (صلوات

الله عليه وعلى آله)، وضد الإسلام، بصورة عامة، وعمل متواصل بكل الوسائل على إقصاء هذا الدين عن واقع الحياة، وعلى الفصل بيننا وبينه حسدًا من عند أنفسهم، كل الحرب القائمة ضدنا تتوجه رأساً من جانبهم إلى الدين نفسه؛ لأنهم يعرفون لو اتجهوا إلى حربنا نحن كأشخاص، ولم يحاربوا ديننا فإنهم سيخسرون، ولن ينتصروا إطلاقاً، وأن كل موقف مهما بدا من جانبهم قوياً وحاداً وجاداً سيكون الرد من جانبنا أكثر وأكثر، وسنستفيد من الصراع معهم أكثر وأكثر، إذا ما ظل ديننا سالماً لنا فلن يستطيعوا أبداً أن يقهرونا.

٥. يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل:

يقول الله سبحانه وتعالى عن بني إسرائيل إنهم يشترون الضلالة بالهدى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ [النساء:٤٤] أوتوا نصيباً وافراً من الكتاب، أورثوا الكتاب، لكن أصبح الكتاب لا قيمة له لديهم، وأصبحوا هم يشترون الضلالة، يبحثون عن الضلالة. الضلالة في أنفسهم، والضلالة ليصدروها للآخرين ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ يريدون أن تضلوا السبيل، والذي يريد أن أضل أليس أنه عندما يتمكن أو يحصل على الإمكانيات التي يستطيع بها أن يضلني ألن يعمل على إضلالي؟. لأنه يريد أن يضلني، أليس كذلك؟ هم يريدون أن نضل، وقد أصبحوا يمتلكون إمكانيات هائلة جداً من الآليات والماديات، ألم يسعوا بجد؟ أليس هناك ما يدفعهم إلى أن يتحركوا لتصدير الضلالة إلينا وإلى أن يضلونا؟.

فعلاً هم يمتلكون مليارات، ويمتلكون شركات السينما، ويمتلكون القنوات الفضائية الكثيرة، يمتلكون الآليات بمختلف أنواعها. ألسنا نرى أنها كلها تُجَنَّد لإضلال الآخرين؟ لإضلال الشعوب؟ ألسنا نعاني من تضليل كبير يأتي من مختلف وسائل الإعلام؟ ومن مختلف وسائل النشر؟ ومن الأقلام الكثيرة التي تكتب؟ وفي كل بلد، وبكل وسيلة؟. أولسنا نرى أنه هنا في اليمن كل سنة ينتشر فيها الفساد والضلال أكثر من السنة السابقة؟ لأن الله قال عنهم أن أولئك من أهل الكتاب، من اليهود والنصارى اشتروا الضلالة، نبذوا الكتاب وراء ظهورهم ليستبدلوا به الضلالة، وأنهم في نفس الوقت يريدون من الآخرين أن يضلوا ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ

تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾. فلنرجع لنتلمس آثار إضلالهم في واقع حياتنا، قضية بيع الدين بالدنيا أليست هي السائدة داخل أوساط المسلمين؟. هناك فيما يتعلق أيضاً بجوانب كثيرة لأن عبارة ﴿الضَّلالَةَ﴾ تعني أنهم عندما يكونوا يريدون أن نضل السبيل كل وسيلة سيسلكونها؛ لأنهم لن يتحرجوا، وما الذي سيدفعهم إلى أن يتحرجوا من أن يستخدموا كل وسيلة فيها إضلال لنا؟ هل دينهم سيمنعهم؟ لقد نبذوا الدين وراء ظهورهم، لقد نبذوا الكتاب وراء ظهورهم، فما الذي سيجعلهم يتحرجون من أن يستخدموا أي وسيلة للإضلال؟ إنهم يستخدمون حتى بناتهم ونسائهم لإضلال الآخرين، إنهم يستخدمون اليهوديات المصابات بمرض (الإيدز) ليتنشرن داخل مصر من أجل أن ينتشر ذلك المرض الفتاك، ومن أجل أن يفسدوا شباب المصريين زيادة على ما قد حصل، هم من يعملون على نشر الفساد الأخلاقي في مختلف البلاد العربية.

﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ وهم عندما يريدون أن نضل السبيل، هم كالشيطان يعرفون سبيل عزتنا ليصرفونا عنه، هم لا يغلطون، يعرفون سبيل الحق فيصرفونا عنه، يعرفون سبيل تنميتنا الحقيقية فيصرفونا عنها، يعرفون سبيل زكاء نفوسنا، وسُمُو أرواحنا. فيصرفونا عنه، يعرفون سبيل قوتنا أنه في توحدنا فيصرفوننا عنها ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء:٥١] لاحظ هذه الآية، مثلما قلنا سابقاً عندما يقول: ﴿الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ﴾ وتعرف كتب الله من خلال معرفتك بالقرآن نفسه؛ لأن كتب الله تكون هدىً ورحمةً وبياناً وموعظةً ونوراً وشفاءً، ومع هذا تجد كيف أصبحوا؛ لأنهم ابتعدوا عنها، وحرفوها، وسلكوا طريقة أخرى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ أليست كتب الله مما يهدي الناس ليبتعدوا عن الجبت والطاغوت؟ وبدلاً من أن يؤمنوا بكتاب الله ويؤمنوا برسوله يؤمنون بالجبت والطاغوت؛ لأن طريقتهم هكذا: ﴿يَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ﴾ [النساء:٤٤].

ما عندهم إيمان فيما يسمى بالعدل وقيم عدالة وأشياء من هذه التي يرفعونها شعارات، تجد

أنهم يرفعون هذه الشعارات وهم في الوقت نفسه يتدخلون في شؤون هذه الشعوب، ويضعون عليها حكاماً طواغيت، مؤمنون بالجبت والطاغوت ويعمل "طواغيت"، من أجل أن تتحقق له أهدافه، فمنهم مؤمنون بالجبت والطاغوت لا يمكن أن يبحثوا عن عدلٍ للناس وأنظمةٍ عادلةٍ للناس ونظامٍ عادلٍ للناس على الإطلاق، ولا أشخاص عادلين، هذه قضية مثلما قال عنهم سابقاً: ﴿يَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ [النساء:٤٤] فمن هو مُشْتَرٍ للضلالة لا يمكن أن يريد للناس الحق والصواب وهو نفسه يبحث عن الضلال بحثاً، هو فقط سيقدم ضلالاً، وهنا سيقدم جبتاً وطاغوتاً سواء داخلي أم خارجي.

٦- التستر والتغطية على كفرهم:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٩١)﴾ [البقرة: ٩١] مقولة جديدة ظهرت وهي نتيجة حالة هم عليها بحسب ثقافتهم السائدة ورؤيتهم، ونفسياتهم، لم يعد يوجد لديهم تقبل لهذا الدين، في آية أخرى يبين: أن هذا من التفريق بين الله ورسله ومن الإيمان ببعض الرسل والكفر ببعض، وقال عنهم: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء: ١٥١]. أي: أن من يكونون معرضين عن هدي الله، يقدمون دائما مقولات متعددة ما بين دعاية مضادة، وعقيدة سيئة، وبين ما يعتبر في الصورة مبرراً لهم في انزوائهم وبقائهم على ما هم عليه، وهذه واحدة منها ليكون في الصورة مبرراً داخلياً وأمام المجتمعات يستخدمونها كمبرر حتى لا يلومهم الآخرون بل ويعذرونهم، فعمموا هذه المقولة بل وترسخت في أوساط المسلمين مع أنها مجرد مقولة تبريرية.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ لكنهم يتشبثون بهذه ﴿نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ حتى ولو كان الشيء الآخر أنزل من عند الله ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ﴾. الشيء الذي يكفرون به وهو القرآن الكريم ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَهُمْ﴾. أي: يكشف الواقع الذي لديهم، الأشياء التي تعتبر مؤشرات على ما هو حق، تجلت هنا أي: صدقت على هذا وهو يصدقها إضافة إلى أنه يصدق ما كان هناك من حق لأنه دين واحد، والدين الواحد يوجد أشياء تكون أساسية فيه يصدق الدين فيها بعضه بعضاً.

﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ وهذا تعريف في كيفية فضحهم فيما يظن بأنه مبرر ﴿نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ لكنهم مع أنبياء منهم يكفرون بهم ويقتلونهم ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩١]. إذن هذا مظهر من مظاهر كفرهم، بمعنى أنها دعاية اختلقوها أو مبرراً اختلقوه وهو يمثل مظهراً من مظاهر كفرهم عندما يقولون: ﴿نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾. فهم غير صادقين، فهم لا يؤمنون حتى بما أنزل عليهم، بل ويقتلون أنبياء الله.

٧- الجرأة على الله:

يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ [المائدة: ٦٤] تبين لواقعهم، وضلالهم وخبث نفوسهم وجرأتهم على كتب الله ورسله وعباده وأيضاً جرأتهم في منطقهم على الله، وافترائهم على الله ﴿يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ﴾ اتهموا الله بالبخل في اللغة العربية معناها: التعبير عن البخل، مجمل عبارة ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ تعني: هو بخيل، كما قالوا ﴿إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١] بنوا إسرائيل أصبحت نفوسهم سيئة حصل لديهم خبث، ونظرة سيئة لباقي البشر، ونظرة سيئة لله لهذا حكى الله عنهم الجرأة على الله فهم يقولون: ﴿يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤] ﴿إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١].

المبحث الرابع: نقاط الضعف عند اليهود

لا يمكن في عدل الله سبحانه وتعالى أن يذكر لنا في كتابه الكريم خطورة بني إسرائيل، خطورة اليهود ثم لا يكون قد هدانا في كتابه الكريم أيضاً إلى ما يجعل الأمة بمستوى المواجهة لهذه الطائفة، وإحباط كل كيدها ومؤامراتها؟ وإلى ما يجعلها صاغرة ذليلةً تحت وطأة وأقدام هذه الطائفة؟! لا بد، لا بد.

ولو رجع المسلمون إلى القرآن الكريم لعرفوا أن لله سبحانه وتعالى قد هداهم إلى هذا الشيء ولكنهم أعرضوا عنه فأصبحت هذه الحالة سائدة، وأصبحوا يعانون من هزيمةٍ نفسية ثابتة مستقرة لا يرون منها مفراً ولا مخرجاً.

لقد تناول القرآن الكريم نقاط ضعف اليهود بتركيز شديد ويمكن أن نعرض بعضها في الآتي:

أ. الذلة والمسكنة:

ذكر القرآن الكريم فيما يتعلق بواقعهم أن الله قد ضرب عليهم الذلة والمسكنة: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ﴾ [البقرة:٦١]، ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ﴾ [آل عمران:١١٢] وهذا من الأشياء العجيبة أن هذه الطائفة التي قد ضُرِبَتْ عليها الذلة، وضُرِبَتْ عليها المسكنة، وباءت بالغضب من الله أصبحت في هذا المستوى الذي هي عليه اليوم، وفي هذا التاريخ الحديث، وعلى مدى قرنين من الزمن على أقل تقدير، أصبحت إلى هذا المستوى الذي هي عليه من أن تَحْكُمَ العالم، وبالفعل فإن اليهود اليوم هم الذين يحكمون العالم.

ونتساءل من أين جاء هذا؟ على الرغم مما هم عليه في واقعهم؟ ولماذا أصبح المسلمون - وبين أظهرهم كتاب الله سبحانه وتعالى - أذلّاء لمن قد ضُرِبَتْ عليهم الذلة، ومستكينين لمن قد ضُرِبَتْ عليهم المسكنة، وتحت رحمة من قد باؤوا بغضب من الله؟! كيف وصل الأمر إلى هذه

الدرجة؟! هذا شيء غريبٌ جداً، وهذا شيء يجب أن يهتم كل مسلم بالفعل بفهمه، وبمحاولة أن يتعرف لماذا وصل الحال إلى هذه الدرجة؟.

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ﴾ لاحظ هنا في الآية الكريمة قضية، أعني في تشخيص نفسية بني إسرائيل أنهم - فيما يتعلق بالمواجهة بعد أن ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة - (متخوِّفون) جداً من موضوع القتال، ولهذا نقول أكثر من مرة: يجب أن نتلمس ما يعملون ونعرف أن بإمكاننا أن نعمل أشياء كثيرة في مواجهتهم؛ لأنهم في المقابل يركزون على الحرب النفسية والحرب الثقافية والاقتصادية، وأشياء كثيرة، والحرب الإعلامية ويركزون على وسائل أخرى بحيث لا يظهرون على أمة من الأمم إلا وقد صارت منهارة؛ لأنهم (متخوِّفون) جداً من موضوع القتال.

ولهذا نحن نقول: أن هناك أشياء كثيرة في متناول الناس يعملونها إضافة إلى إعداد أنفسهم للمواجهة المسلحة؛ لأن هذه قضية أساسية لا يأمن هذا العدو طرفك بأنك لا تواجهه، معنى هذا يتجرأ عليك، ويعرف أنك مستعد بأن تواجهه بما لديك من سلاح مهما كان بسيطاً، وفي الوقت نفسه يجب أن تشتغل بالطرق الأخرى: الموضوع الثقافي وموضوع الحرب النفسية، والحرب النفسية وهي حرب واسعة، وهم يركزون عليها بشكل كبير، نحن نقول: مثل موضوع شعار ومقاطعة اقتصادية وتوجيه للناس على هذا النحو يعتبر حرباً، ويعتبر تحصيناً للأمة من حربهم الحقيقية.

ب. يُوَلُّونكُمُ الْأَدْبَارَ عند القتال:

يقول سبحانه وتعالى فيما يتعلق بواقعهم في ميدان المواجهة أنهم ضِعَاف ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذىً وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لاَ يُنْصَرُونَ﴾ [آل عمران:١١١] ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران:١٢٠]؟

وهذا مما يثير الاستغراب أيضاً أن طائفة ضعيفة في ميدان المواجهة، ضُربت عليها الذلة والمسكنة، وباءت بغضب من الله استطاعت أن تقهر هذه الأمة، وأن تقهر العرب أولئك الذين لم يكونوا يسمحون لأنفسهم أن يُقهروا أمام بعضهم بعض وهم ما زالوا قبائل أعراباً في

نفوسهم الإباء، وفيها النجدة، وفيها الشجاعة، ويموتون من أجل كلمة واحدة، ويُقتل ولا يبالي، أقوياء في ميدان القتال، والعرب معروفون بفوتهم في ميدان القتال، يبرز فيهم أبطال كثيرون جداً، ولكنهم قُهروا أمام من حكى الله عنهم أنهم ضعاف، وأنهم لو اتجهوا لقتالنا لما صمدوا، ولضعفوا، ولتفرقوا.

الله سبحانه وتعالى يخبر عبادة المؤمنين بأن أولئك الأعداء على هذا النحو: ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ﴾ [آل عمران:١١١]. هل يستطيع أحد من ضباط المخابرات الأمريكية، أو مخابرات أي دولة مهما كانت تمتلك أدق الأجهزة، وأكبر الخبرات في هذا المجال، هل أحد منها يستطيع أن يرفع تقريراً إلى البيت الأبيض بأنه في حالة المواجهة مع طرفٍ ما (فإنهم لن يضروكم إلا أذى، إن أولئك المسلمين لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون). هل أحد يستطيع؟.

كلها احتمالات (نحاول أن نعمل كذا، ربما من أجل أن يحصل كذا) لكن الله هو من يقطع، لأنك ارتبطت بمن هو عالم الغيب والشهادة، بمن هو عالم بذات الصدور، بمن هو عالم بالإنسان بخصائص نفسه، بمن بيده ملك السموات والأرض، يهيئ ويغير، كل ما في السموات والأرض بيده، أنفس الناس بيده، هو من استطاع أن يملأ قلوب المشركين رعباً في بدر.. أليس كذلك؟ هل أحد يستطيع أن يرفع تقريراً كهذا؟ لكننا نحن متى ما جهلنا عظمة إلهنا، متى ما جهلنا ماذا يعني ملك الله، أنه الملك، ماذا يعني أنه عالم الغيب والشهادة، متى ما جهلنا معاني أسمائه الحسنى حينئذ سنبقى ضعافاً.

فنحن نقول: إن أهم مصدر لمعرفة الله لمن يريد أن يعرف الله وأشرف العلوم الذي يجب أن تهتم به في مجال معرفة الله بالذات هو القرآن الكريم، هل تستطيع أمريكا بمخابراتها بأقمارها بأجهزتها الدقيقة؟ لا تستطيع إطلاقاً. لكن الله لأنه عالم الغيب والشهادة هو من استطاع أن يكشف لأوليائه كيف ستكون نفسية أعدائه.

جـ. لا يقاتلون إلا من وراء جدر:

يتجلى وبشكل عجيب في هذه الأيام ما قال الله عن اليهود بأنهم ﴿لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً

إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ [الحشر: ١٤] تجلت هذه في إسرائيل أمام مقاومة الفلسطينيين، مقاومة بسيطة لا تمتلك شيئاً يذكر بما تمتلكه إسرائيل، نجد الآية هذه يظهر مصداقها واضحاً فتبني إسرائيل الأسوار، وتشاهدوا أنتم عندما تعرض في التلفزيون الأسوار جُدُر، ونفس المستوطنات قرى محصنة، المستوطنات التي تقام لليهود هي قرى محصنة، فهم هكذا على الرغم من أنها دولة قوية تُرعِب بقية الدول الأخرى في المنطقة، لكنها في ميدان المواجهة، وإذا ما كانت مواجهة لها جذور تمتد إلى الولاء لله ولرسوله وللذين آمنوا، وتراهم يبنون الجُدُر وقرى محصنة، أليس هذا الشيء الذي لا يمكن لأي طرف آخر أن يعطيه للمسلمين؟ لا يمكن لأي طرف مهما بلغت قوته أن يكتشف أعداءه على هذا النحو، فيكشف واقعهم.. لا يمكن أبداً إلا الله؛ ولهذا هو عندما يقول في القرآن الكريم بأنه ﴿قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ هو يقول للناس بأنه بالمستوى الذي ينبغي أن يتولوه، فهو قوي هو عزيز، وهو غالب على أمره، وهو قاهر فوق عباده، وهو يعلم السر والنجوى، ويعلم الغيب والشهادة، يستطيع أن يكشف لك واقع عدوك، يستطيع أن يملأ قلبَ عدوك رعباً، فتكون إمكانياتك البسيطة هي من ترعبه، ويرى أن ما لديه من إمكانيات، ما لديه من قوى لا تحقق له الأمن.

صور أرضية وجوية لجدار الفصل العنصري:

د. خوفهم الشديد من الموت:

يقول سبحانه وتعالى ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة ٩٤-٩٦] يتمنى أن يتعمر ألف سنة لأنه يعرف أن المستقبل بالنسبة له مُظلم، مُظلم لأن الطريقة التي هو عليها هي طريقة ظلام مهما حاول أن يُصبغ عليها مبررات، وأشياء من هذه. ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: قل لهم: ﴿إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾؛ لأن معنى هذا أنتم تعرفون ونحن نعرف جميعاً أن الدار الآخرة أفضل من الدار الدنيا هذه، فعندما تدعون أنه قد صار لديكم ضمانة عليها وأنكم تسيرون إليها، إذن فالوجود في الحياة الدنيا هذه يُعد خسارة بالنسبة لكم، والموت يعتبر مفتاح الدخول إلى ذلك العالم الراقي، إلى عالم الجنة التي تدعون اختصاصكم بها.

يقول سبحانه وتعالى ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:٩٥]. عليم بالظالمين بالشكل الذي يفضح ما هم عليه ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً﴾ هذه فضيحة مؤكدة من البداية لأن الله سبحانه وتعالى هو يعلم، ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ

كَانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾ [الفرقان: ٦]، ويعلم أن هؤلاء هم بهذا الشكل ﴿لَنْ يَتَمَنَّوْهُ﴾ ألم يكن باستطاعتهم أن يتمنوه ليفضحوه، أبداً لن يتمنوه، وهم يتمنون أن يكون لديهم ماذا؟ ما يفضحون هذا الذي يعتبرون أنه غير صحيح، أو يدعون أنه ليس حقاً، القرآن مثلاً ونبوة محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) وهذه قضية خطيرة لولا أنها من عند الله، لن يستطيع أحد أن يقول هذا أبداً، لن يجرؤ محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) هو أن يقول: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدا﴾ لماذا؟ لأن معناه أنك تعطي الطرف الأخر تعلق مصداقيتك كلها بشيء خطير ربما يعملونه فتفتضح، أليست قضية سهلة؟ أنه يمكن أي طرف يتمنى الموت، لكن لما كان من عند الله، هو يعلم. إذن، فهذه من المؤكدات أن هذا القرآن هو من عند الله سبحانه وتعالى لا يوجد أي ريب على الإطلاق مثلما قال في أول السورة ﴿لا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢]. لاحظ كيف أنه من مظاهر ﴿لا رَيْبَ فِيهِ﴾ أنه من عند الله، هذه النقطة الحساسة والتي لن يجرؤ أحد على الإطلاق أن يقولها أن يتحدى الطرف الأخر بها، ترتب كل مصداقيتك على شيء ربما يقولونه ! فينهار كل ما لديك من شيء، أبداً ﴿وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة:٧]. عليم بنفسياتهم وشخّص للناس نفسياتهم، عليم بكيف تفضحهم، عليم بكيف تبطل كثيراً من ادعاءاتهم ومقولاتهم.

هـ حرصهم الشديد على الحياة:

يقول سبحانه وتعالى ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [البقرة: ٩٦] كلمة: تجدنهم، تظهر من سلوكياتهم وليس فقط قضية غيبية سترى، وستجد أنت أثناء الصراع معهم وتعاملهم في الحياة هذه ما يبين لك أنهم أحرص الناس، كل الناس حتى من المشركين، أحرص من المشركين على حياة ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [البقرة: ٩٦]. معنى هذا: أنها ليست قضية نفسية فقط، بل تظهر في واقعهم، تظهر في صراعهم، ظهر لنا أيام احتلالهم للعراق. عندما ظهر قتل يومي لهم كيف انهارت معنوياتهم، كيف بدت أمريكا هناك منزعجة جداً، يطالبون بإعادة الجنود، والجنود صاروا يهربون عن طريق تركيا، وعن طريق سوريا.

﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾ [البقرة: ٩٦] العاقبة السيئة مرصودة لو يتعمر ألف سنة ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ [البقرة: ٩٦] لأنه لا يتوقع شيئاً بعد الحياة هذه، هو يريد يبقى هنا في الدنيا ﴿أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ أي : جزءاً من الحياة، ينشبث بحياة حتى لو قد صار يهودياً على عصاه، ولو قد صار في وضع مُزْرٍ، لا يحب أبداً أن يموت، وأحرص من الذين أشركوا، أحرص منهم على الحياة. ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [البقرة: ٩٦]. إذن هذه هي تمثل نقطة ضعف بالنسبة لهم كبيرة جداً؛ ولذلك يتزعجون جداً من شعار (الموت لإسرائيل).

فمن نعم الله تعالى على الناس أنه يسمي أعداءهم : كافرين، وضالين، ولا يفقهون، وطبع على قلوبهم، ولعنهم، وغضب عليهم، وضرب عليهم ذلة، ومسكنة، ويخبر عنهم بأنهم حريصون جداً جداً على الحياة. ماذا يعني هذا ؟ نقاط ضعف لديهم؛ لأن هذه كلها في الأخير تقوم عليها تصرفاتهم، قريبون جداً إلى الانهيار في معنوياتهم، خوَّافون جداً، جبناء جداً.

نحن لا نقيمهم على أساس هذا الشيء الذي عرض القرآن الكريم! هو كلام من عند الله سبحانه وتعالى، وهو بالشكل الذي فعلاً يبين لك نقاط ضعف، ورغم هذا ما يزال المسلمون يرونهم أقوياء، ويرونهم كباراً،ويرونهم كتلاً من الصلب.

و. ألقى الله بينهم العداوة والبغضاء :

يقول سبحانه وتعالى ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ أليس هو هنا يبين لنا نقطة ضعف فيهم كبيرة، إذن فكيف تنطلق إلى توليهم، أو تفكر إلى درجة أنك تنفذ مخططاتهم، وأنت ما زلت تقول: هم فعلاً أعداء الله، وشياطين، ومجرمين، لكن نحن نريد أن نسلم شرهم.

يقول سبحانه وتعالى ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤] هذا أسلوب قرآني واضح، وتجلى في هذا العصر أهمية أن يعرف الناس واقع هذا العدو حتى يكونوا بعيدين عن التولي له، وحتى يكون الناس في نفس الوقت أقوياء عليه، وحتى يكونوا مستبصرين فيعودوا إلى من

توليه يعطيهم غلبة على هذا العدو، وأنه دائماً يبين هذا الطرف، أليس هو يبينه دائماً؟ يبين واقعه بأنه في واقع يعتبر ضعيفاً، واقع ضعف لما هو عليه من خبث ولهذا قال: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ والقرآن عندما يركز على موضوع فعلا تجد أن تذكره هام جداً جداً، واستشعاره في نفوس الناس، فدائماً كلما يذكر توليا للكافرين، أو ما قد يدفع الناس إلى توليهم، يبين واقعهم؛ لتعرف أنهم ضعاف، أنهم ليسوا بالشكل الذي تفكر بأن تتولاهم، وهم إلى درجة أن تتولاهم وتنفذ مخططاتهم، فأول شيء هم جريؤون على الله، أليست هذه قضية.

فعلاً انظر ماذا قال الله بالنسبة لهم: أنه ألقى بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة، وأنه كما لو تكفل بإحباط مؤامراتهم أن ينجحوا بالشكل الذي يريدون ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ ماذا يريد الناس بعد هذا؟ كيف يفكرون في توليهم وقد قال: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ ثم يأتي بعض الناس ليقول: (نحن حاولنا ننفذ مطالبهم حتى نقي البلد ضربة محتملة) أليس هكذا؟! لا، لا تعتبر أنك وقيت بلادك على الإطلاق وأنت ما زلت تنظر إليهم هذه النظرة أبدًا، سيسلطهم الباري عليك حتى لو لم يكن في بالهم هذا. لكن الله تعالى سيسلطهم عليك.

ومن العجيب أنه قال عن اليهود والنصارى أنه قد ضرب بينهم العداوة والبغضاء، أي أن الله سبحانه وتعالى قد خفف كثيراً كثيراً فاليهود والنصارى الذين نصارعهم الآن هم من بعد التخفيف، بعد التخفيض، ومع هذا يغلبوننا!. كيف لو كان اليهود لا يزالون غير مضروب عليهم ذلة ولا مسكنة؟ كيف لو كانوا لا يزالون غير محكوم عليهم بغضب الله؟. كيف لو كانوا لايزالون لم يزرع بينهم العداوة والبغضاء. الآن من العجيب أن يهزم المسلمون أمام اليهود بعد التخفيض، بعد التخفيف، أي أنت الآن لا تواجه اليهودي الحقيقي المركّز. بعد التخفيف، تخفيف. تخفيف. ضُربَ بذلة ثم مسكنة وباؤوا بغضب، ثم ضرب بينهم عداوة وبغضاء، ثم.. ثم. ومع هذا يقهروننا، مع هذا يتغلبون علينا، هذا شيء يثير العجب، يثير الاستغراب، وهم على الرغم مما هم عليه من تفرق وعداوة وبغضاء يقول للأمة لا بد أن تعتصم بالله، لا بد أن تتحد كلمتها بالاعتصام بالله. فيقول بعد هذه الآيات عن اليهود: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢] أليس في سياق الحديث عن اليهود ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا

اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢]. هذا من معاني الاعتصام بحبله والرجوع إليه وتحقيق العبودية له ﴿اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا﴾ اعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا لتكونوا بمستوى مواجهة هذه الطائفة التي تصد عن سبيل الله، وتبغي العوج لدين الله، هذه الطائفة التي تريد أن تكونوا كفاراً ضالين، هذه الطائفة التي لا تود لكم أي خير.

ز. والله مخرج ما كنتم تكتمون:

بنوا إسرائيل وصلوا إلى حالة بالنسبة لنفسياتهم، أصبحت نفوسهم سيئة فعلاً، حصل لديهم خبث، حصل لديهم نظرة سيئة بالنسبة لباقي البشر، ونظرة سيئة حتى بالنسبة لله سبحانه وتعالى! وهم في واقعهم لا يزال لديهم نوع ذكاء، وخبث وجرأة في التخطيط، هم عندما يجتمع لهم عداوة للناس، للبشر، كراهية، قلة خوف من الله، ينظرون إلى الله وكأنه واحدٌ منهم لا بد أن يتأقلم معهم، وينفذ الخطط التي يعملونها! وقدرة على التخطيط هذا معناه: أنهم سيضرون بالبشر بشكل رهيب، فكأنها سنة إلهية بالنسبة لهم: لا يتوفر لهم التخطيط بالشكل المحكم تماماً بحيث لا ينكشف ﴿وَاللهُ مُخْرِجٌ﴾ بعبارة اسم الفاعل التي تعني وكأنه سنة لديهم: أن يخرج ما تكتمونه ﴿وَاللهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾.

بعض العقوبات التي عاقب الله بها بني إسرائيل بسبب عصيانهم:

بسبب نقضهم للعهود والمواثيق وصدهم عن سبيل الله عاقبهم الله بعقوبات كثيرة أتت لهم في الدنيا وعقوبات وُعِدُوا بها في الآخرة نذكر منها الآتي:

أ.جعل الله قلوبهم قاسية:

يقول سبحانه وتعالى ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ﴾ لاحظ أن الأشياء يكون لها أسباب من عندك ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ فأصبحوا هكذا: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ بسبب ماذا؟ قلوبهم أصبحت قاسية، أصبحت عندهم جرأة على الباطل؛ لأنهم من البداية لم يقبلوا أن يهتدوا نهائياً.

ب. حرمهم الله من بعض الطيبات:

يقول الله سبحانه وتعالى ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ كَثِيراً﴾ [النساء: ١٦٠] هذه الآية هي عائدة على الكلام الأول ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٥] ثم ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ هذا الظلم الذي ذكر تفصيلاته بسبب نقضهم ميثاقهم وكفرهم وأشياء كثيرة ذكر ما وقع عليهم من العقوبات: ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ كَثِيراً﴾.

﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ كَثِيراً وَأَخْذِهِمُ الرِّبا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ [النساء: ١٦١] لاحظ كم يحكي عنهم من أشياء سيئة؟! ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ [النساء: ١٦١] لصدهم عن سبيل الله يعني: معناه أنهم يعملون دائماً في هذا الموضوع: صد عن سبيل الله أيام الأنبياء منهم وأيام نبوة محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) في عصره ومن بعده إلى اليوم الصد عن سبيل الله مثلما قال هناك: ﴿تَبْغُونَهَا عِوَجاً﴾ [آل عمران: ٩٩] صَدّ، أي: دفع الناس وإبعادهم عن سبيل الله يوقعهم في سبل ضلال أخرى.

***

الفصل الثاني:
طرق اليهود وأساليبهم في استهداف الأمة

المبحث الأول : الخداع والتضليل والتلبيس

اليهود خطيرون جداً إذا ما اتجهوا إلى جانب الشر، وهذه أصبحت هي الصفة الغالبة عليهم، خاصة بعد الإسلام وهي الصفة الغالبة عليهم الآن في كل بقاع الدنيا، وهي الاتجاه إلى الشر وإلى المكر، وإلى الخداع، وإلى التضليل، وإلى لَبْس الحق بالباطل، أي أن لهم قدرة رهيبة جداً في هذا الموضوع، ولذلك يعملون على مخادعة الناس من خلال:

١- سياسة التطويع:

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ أليست هذه حالة رهيبة؟ يقلب الناس من إيمان إلى كفر، ولن يكون فقط مجرد التضليل الذي يصل بك إلى درجة الكفر من حيث لا تشعر، أو التضليل الذي يأتي من قبلهم وأنت لا تشعر أنه من قبلهم، ولو شعرت أنه من قِبَلهم لتمردت عليه، بل اليهود يستطيعون أن يصلوا بالأمة إلى درجة أن تلمس أن هذا هو من قِبَلهم، وستنطلق في طاعتهم، وهم يستطيعون أن يصلوا بالأمة إلى أن تطيعهم هم، وهم بكامل مشاعرهم يعرفون أن هذا من قِبَل اليهود، أو أن هذا يهودي ويطيعونهم؛ ولهذا جاء بالضمير ﴿إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً﴾ تطيعوا فريقاً ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾.

توحي الآية: بأن اليهود وهم دائماً في كل أعمالهم يلحظون جانب التكلفة؛ لأن المال لديهم عزيز، ينظرون إلى المال كسلاح مهم جداً، لكنه لديهم له مكانة كبيرة أيضاً، فهم معروفون بالبخل والحرص؛ لشدة تَهَمِهم بالمال وجَشَعِهم عليه، فهم يلحظون أيضاً التكلفة في جانب التضليل، أن يضل الأمة وبتكلفة أقل، لا يريد أن يخسر كثيراً في تحويل الأمة إلى ضالة، لا يريد أن يخسر كثيراً. وهو أيضاً يتحرك لضرب الأمة حتى عسكرياً وهذا من الدهاء الشديد، فما هي أقرب الوسائل لأن يجعلوا الناس كافرين بعد إيمانهم، وضالين بعد هداهم، ونفوسهم مسالمة

بعد إيمانهم؟ هو أن يصلوا بالمجتمع إلى درجة الطاعة، من يتأمل في أعمال اليهود هم كانوا يلحظون هذا الجانب، يلحظ وبخطوات متأنية وخطط دقيقة، تدريجيا إلى أن يصل بالأمة إلى أن تطيعهم، بل أن يتحول الناس إلى دعاة لطاعتهم، وحينئذٍ لا يخسرون شيئاً، يردون الأمة بعد إيمانها كافرة، وبعد عزتها ذليلة، وبعد مَنَعَتِها مقهورة وبتكلفة أقل.

٢- الخداع للناس بالمساعدات:

القرآن الكريم يعطي رؤية فيما يتعلق بكل ما يأتي من جانبهم، عندما نراهم يقدمون مساعداتٍ، ويعملون مشاريع خدمية يجب أن نرجع إلى هذه كقاعدة لنعرف كيف نتعامل مع ما يقدمونه، وكيف نتمسك بالشيء الذي يريدون من خلال تقديم هذه الخدمات وأن ينسفوه من نفسيتك أن تكون هذه قاعدة ثابتة لديك: بأنهم لا يريدون لنا أي خير، وأنهم لا يودون لنا أي خير على الإطلاق، ولكن هناك مشاريع بملايين الدولارات، يجب على الإنسان البسيط أن يفهم وسيرى بأم عينيه حقيقة ما يقدمونه، إنما هو عبارة عن طُعْم لتدجين الناس وصرف أنظارهم عن الحذر واليقظة أمامهم، من أجل أن يحتلوهم، ويجتاحوا بلدانهم، وسيستعيد بالأضعاف المضاعفة من ثرواتك أنت من جيبك أنت بأكثر مما قدم لك، أما إذا أنت تراه قدَّم مدارس - مثلاً - ألا يلحقها بالمنهج الدراسي الذي يريده؟ فهو الذي يتحكم بمنهجها، ونحن في الأخير نقدم له الشكر ونصفق له ونعتبره محسناً إلينا، وفي الواقع نقدم له ولاءنا ونعطيه أيضاً أبناءنا يعلمونهم ما يريدون، ويمكن أن يعطونا - مثلاً - مستشفيات، ويعطون لنا مراكز صحية، ويعطون لنا مستوصفات، ولكن الله أعلم كم سيعملون من خلالها من أشياء تضر بالناس عملياً، إضافة إلى أنهم من خلالها يصنعون نظرة إيجابية عند الناس بالنسبة لهم، وهذه النظرة الإيجابية تجعل الناس يُغمضون أعينهم أمام ما يحيكونه من مؤامرات، وما يسيرون من أجل الوصول إليه، وهو أن يهيمنوا، وهذه القضية أصبحت ملموسة الآن؟ هم لا يعملون شيئاً إلاَّ وهم واثقون من حصولهم على ثمنه أضعافاً مضاعفة.

أليسوا يقولون: نريد أن نرتقي بالشعوب؟ اعتبرها قضية بديهية في عملية الخداع والتضليل، ففي (سورة البقرة): ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ٨-٩] ويقول بعد: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ

قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة:١١] يجب أن تفهم بأن الخداع والتضليل لا يتم إلا بأن يقدم على أساس يتقمص ثوباً يشكل جاذبية عندك خير لك نصيحة لك أليس هو يقدم بهذا الغطاء: أنه خير لك ونصيحة لك وحق واهتمام بك؟ لكن هذه هي مترتبة على إيمان الإنسان بالله وثقته بالله، إذا كان واثقاً بالله ومؤمناً بالله مصدقاً بالله أنه أعلم منه بالآخرين، أليس الله قال في آية أخرى: ﴿وَاللهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾ [النساء:٤٥] إذن فليمسك كل إنسان على أن الله قال: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة:١٠٥].

فليعمل مشاريع فليعمل ما يريد لكن موقفي منه هو الموقف القرآني بأن يكون موقفك منه الموقف القرآني. وهو بالتأكيد أن ما قدموه عبارة عن طعم كما يقدم الصياد للسمكة قطعة لحم وإلا فسيكون الناس أغبى من السمكة في البحر التي عندها أن الصياد ذلك فاعل خير نزل لها قطعة لحم أنه جاء من البيت قاصداً وقد ترك عمله ليقدم للسمكة قطعة لحم وهي لا تدري أنه يريد أن يأكلها هي بكلها بواسطة قطعة اللحم تلك، إذن ألم يستفد الصياد أكثر مما قدم؟ كل أعمالهم لا تخرج عن هذا المثل، قطعة لحم يستفيد بدلاًعنها كيلو أو اثنين أو أكثر على حسب حجم السمكة وغبائها.

٤. لبس الحق بالباطل:

القران الكريم تحدث عن قدرة اليهود الرهيبة على لبس الحق بالباطل، وهذه قضية ليست سهلة ﴿وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُواْ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٤٢] ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:٧١] ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٧٥]، هذه واحدة من خصالهم الخطيرة والسيئة: قدرتهم الرهيبة على لبس الحق بالباطل، وهذا ما تعاني منه الأمة، وهذه نقطة واحدة من الأشياء التي يشتغل بها اليهود داخل هذه الأمة: لبس الحق بالباطل، والتزييف للثقافة، التزييف للفكر، التزييف للأعلام، التزييف للحياة كلها.

نسير بسيرة اليهود ووفق ما يريدون، ونحسب أننا مهتدون، أننا أحرار، أننا وطنيون، أننا متحضرون، أننا متقدمون، هذه القدرة الرهيبة التي يُجيدها اليهود: لبس الحق بالباطل؛ الله حكاها عنهم كصفة سيئة، وعندما يحكيها كما قلت: إنه يجب أن نتساءل هل عندما يصف الله اليهود بأنهم قديرون على لبس الحق بالباطل سيترك المسألة بدون حل أم أنه سيهدي الأمة إلى ما يمكن أن يجعلها قديرة، وبمنأى عن تلبيس بني إسرائيل، لا بد أن يكون قد وضع حلاً، وقد وضع فعلاً.

قال الله عن اليهود في أنهم يلبسون الحق بالباطل، يقدمونه في ثوب الحق ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء:٤٦] ﴿يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـذَا مِنْ عِندِ اللهِ﴾ [البقرة٧٩] وليس من عند الله؛ لأن هناك في الساحة كثيراً من الناس ممن يسمع الكلام ويتعامل مع ما سمع؛ لأنه يكون لديه خلفية مسبقة يستطيع من خلالها أن يعرف بطلان ما سمع وإن نسب إلى الله، أو نسب إلى نبي من أنبيائه؛ لأنه قال عن أولئك أنهم كانوا يكتبون الكتاب بأيديهم ويقولون هو من عند الله، ألم يقدموه باسم الله وأنه من عنده، يقولون للناس هذا من عند الله وما هو من عند الله ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥].

الإنسان المؤمن إذا لم يربِّ نفسه من خلال تلاوة القرآن الكريم أن يتأمل كتاب الله، ويتدبر الأحداث في هذه الدنيا فهو من سينطلي عليه الباطل، سواء باطل قدم ونسب إلى الله، أو قدم ونسب إلى رسوله، أو قدم بشكل براق.

- قدرتهم على التأثير:

عندما يتحدث الله في كتابه العزيز عن أنهم كانوا قديرين جداً في مجال لبس الحق بالباطل، وقديرين جداً في التحريف، وقديرين جداً في التأثير إلى درجة أنه عرض أن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) لولا فضل الله عليه ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوه ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ﴾ [النساء: ١١٣]، وقال في آية أخرى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٧٣] ورسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) هو الكامل في عقله، وهو الكامل في دهائه، وفي فطنته، وفي ذكائه لكنه هنا يعرض درساً للمسلمين

من بعد أنه إذا كان اليهود إلى هذه الدرجة العالية من القدرة، إلى درجة أنه لولا فضل الله على رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) لهموا أن يضلوه، ولكادوا أن يفتنوه عن الذي أوحى الله به إليه، فكيف سيكون شأنكم أنتم يا أبناء هذه الأمة أمام هذه الطائفة إذا ما اتجهت لمحاربتكم، كيف سيكون شأنكم؟!.

ولشدة حرصهم كانوا يطمعون أن يضلوا حتى النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) الذي يعرفون أنه نبيٌ من الله يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، ثم مع ذلك يطمعون في أن يضلوه! فكيف لا يطمعون أن يضلوا هذه الأمة؟ أليس هذا هو ما يمكن أن نفهم؟ أنهم إذا كانوا من شدة حرصهم يحاولون أن يضلوا حتى النبي الذي يعرفون أنه نبي من عند الله فكيف لا يعملون في مجال إضلالنا، فعلاً الآن تجلت الأشياء بشكل عجيب، برز العرب أمام اليهود مستسلمين عاجزين، استطاع اليهود ليس فقط أن يقهرونا عسكرياً بل أن يقهرونا اقتصادياً وثقافياً وإعلامياً، وفي مختلف المجالات، قهروا هذه الأمة وهم مجموعة بسيطة، مجموعة بسيطة استطاعوا أن يقهروا هذه الأمة، استطاعوا حتى أن يصنعوا ثقافتنا، وأن يصنعوا حتى الرأي العام داخل هذه البلدان العربية. استطاعوا أن يجعلونا نسكت عن كلمات هي مؤثرة عليهم، فتسكت عنها كل وسائلنا الإعلامية، استطاعوا بأساليب رهيبة جداً.

وهم في الوقت نفسه يقولون إن اليهود هم الذين يصنعون الرأي العالمي داخل بلدان أوروبا وأمريكا وآسيا وغيرها، هم الذين يصنعون الرأي العام العالمي داخل تلك البلدان. أين جاءت أموال العرب؟ أين جاءت محطاتهم التلفزيونية؟ أين جاءت قنواتهم الفضائية؟ أين صحفهم؟ أين الصحفيون؟ المئات من الصحفيين منهم؟ أين مراكزهم الإسلامية؟ أين وأين؟. كلهم عجزوا أمام اليهود، لقد أضلونا من قمة رأسنا إلى أخمص أقدامنا فعلاً ثقافياً، اعتقادياً، سياسياً، اقتصادياً! لم يكتفوا بالتأثير الإعلامي، على أن عناوين كثيرة تغيب من الساحة هي ضدهم، مشاعر معينه تغيب من النفوس هي ضدهم، تمسح كلها، وتنتهي كلها، ثم لم يقفوا عند حد، لم يقفوا عند حد إلى درجة أن يستخدموا جانب الترهيب لمن هو قد لا ينفع فيه جانب التثقيف، يمسحون نفسيتك بالترهيب، ويكلفوا الدولة في كل بلد عربي بأن تضرب المسلمين، وتقوم هي بالدور بدلاً عنهم!.

ثم تتحول أنت إلى شرطي تخدم إسرائيل، وتحافظ على أمن إسرائيل، وإلا سنضربك.

فيقول: حاضر! هذا يعني أن هؤلاء لا يتوقفون عند حد إطلاقاً، بل سيصلون بالناس - وهي طريقة شيطانية ذكر الله بأنها أسلوب من أساليب الشيطان في القرآن الكريم - أن يصلوا بالناس إلى درجة أن يظلمونا ويهينونا ويسحقونا ومع ذلك نتولاهم ونحبهم ونؤيدهم ونصفق لهم!.

يعني ما يريدون أنهم يظلمونك ويسحبونك ثم تعتبر نفسك مظلوماً؛ لأن هذه مشاعر خطيرة عليهم، عندما تعتقد نفسك مظلوماً تعتقد نفسك مسحوقاً، وتعتقد نفسك مهاناً أن هذه حالة نفسية في يوم من الأيام تنفجر في ظرف من الظروف يكون لتفجرها أثر كبير ضدهم، لا، نريد أن نظلم الناس وليصلوا إلى أحط مستوى وهم لا زالوا يشعرون بأن الموقف الذي هم عليه هو الموقف الإيجابي للحفاظ على الوطن، أو تحت أي عنوان آخر.

هكذا يريدون أن يحققوا أهدافهم ولا يخسروا دولاراً واحداً إلا مثلما يخسر الآخرون، يذكر أحد الفلسطينيين قال: قال لهم أحد الإسرائيليين وهم في السجن: هل تظنون بأننا نخسر على أي سجين منكم؟ لو أننا نخسر على أي سجين منكم لما اعتقلنا أحداً، لكننا نربح أيضاً من ورائكم، لأن كل سجين يُعطى من هيئة مختصة في منظمة الأمم المتحدة مبالغ نصرف عليه منها ونوفر أيضاً.

يريدون أن يضربوا بأقل تكلفة مادية، أو بشرية سيجعلون الأفغاني يضرب الأفغاني واليمني يضرب اليمني والمصري يضرب المصري والسوري يضرب السوري والسعودي يضرب السعودي، والعربي يضرب العربي... وهكذا.

شواهد واقعية: الآن تجلت الأشياء بشكل عجيب، برز العرب أمام اليهود مستسلمين عاجزين، استطاع اليهود أنه ليس فقط أن يقهرونا عسكرياً بل أن يقهرونا اقتصادياً وثقافياً وإعلامياً، وفي مختلف المجالات، قهروا هذه الأمة وهم مجموعة بسيطة، استطاعوا أن يقهروا هذه الأمة، استطاعوا حتى أن يصنعوا ثقافتنا، أن يصنعوا حتى الرأي العام داخل هذه البلدان العربية. استطاعوا أن يجعلونا نسكت عن كلمات هي مؤثرة عليهم، فتسكت عنها كل وسائلنا الإعلامية، استطاعوا بأساليب رهيبة جداً.

واليهود يفهمون جداً أنهم قد قضوا على هذه الأمة، وحطموا هيكل هذه الأمة، تراهم

يضربون كما يشاؤون في أي موقع في البلاد العربية، يضربون داخل فلسطين كما يريدون، حتى وإن كان زعماء العرب مجتمعين في أي عاصمة من عواصمهم، على مرأى ومسمع من جامعة الدول العربية، وعلى مرأى من مجلس الأمن، وعلى مرأى ومسمع من منظمة الأمم المتحدة، خلِّ عنك أولئك، وعلى مرأى ومسمع من زعماء العرب وشعوبها.

لا يخافون العرب حتى أثناء اجتماع زعماء العرب، لا يخافون المسلمين جميعاً حتى أثناء اجتماع زعماء المسلمين، يضربون الفلسطينيين والاجتماع قائم، لا تسمع بأن إسرائيل أعلنت حالة الطوارئ أو أنهم رفعوا الرشاشات المضادة للطائرات فوق أسطح المنازل أو.. أو.. تحسباً لأي شيء من قبل العرب عند اجتماع زعمائهم في الدوحة أو في أي منطقة أخرى.. لماذا؟ لأنهم قد عرفوا وفهموا أن هذه الأمة قد قضوا عليها، وفعلاً قضوا عليها، لكن بواسطة من؟ بواسطة زعماء دولها الأغبياء.

ونقول ونؤكد أنهم أغبياء فعلا وعاجزون فعلاً عن مواجهة اليهود حتى في المجال الإعلامي وحده، كم يملك العرب من محطات التلفزيون والقنوات الفضائية؟ هل استطاعوا أن يخلقوا رأياً عالمياً مضاداً لإسرائيل؟ الواقع أنهم لا يسعون حتى إلى ذلك.

٥. الصد عن سبيل الله:

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجاً﴾ [آل عمران: ٩٩] تبغونها: أي تطلبون أنتم، كلمة بغى أي: هو يطلب الشيء: يبغيه، أي: يطلبه، يعمل ليجعلها عوجاء وليس فقط بأنه لن يتدخل (من أراد يؤمن فليؤمن ومن لم يرد فهو حر) ليست بهذا الشكل ﴿تَبْغُونَهَا﴾ أي تبغون سبيل الله عوجاً أن يكون العوج بدلا عن سبيله المستقيم ﴿وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ﴾ [آل عمران: ٩٩] وكانتم أنتم من يجب أن يؤمنوا بالله وتسيروا على صراطه المستقيم وأن تدعوا إلى سبيله بدل أن تصدوا عنها؛ لأنكم ممن أوكل إليهم أن تكونوا شهداء يعني ماذا؟ أن يعملوا ليتجلى من خلال سلوكياتهم ومواقفهم عظمة الدين عظمة دين الله، هنا يذكر بالشكل الذي يدل على أنه فيما يعود إلى مسيرتهم بشكل عام من زمان هم يصدون عن سبيل الله من آمن ويبغونها عوجاً وهم في نفس الوقت شهداء يعني: من

مهمتهم عندما كانوا ورثة للكتاب وكانوا هم يمثلون الدائرة التي تعتبر شاهدة على الناس وأن يحرصوا هم على الإيمان بالله وبرسله وبآياته ويدعوا إلى دينه ويمثلوا دينه في معاملاتهم ومواقفهم وسلوكهم ليكونوا شهداء على الناس ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ٩٩] فما كان يظهر في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) من صد عن سبيل الله ومحاولة أن تكون الطرق التي يسير الناس عليها عوجاء إنما هو امتداد لما هو سنة لديهم على طول تاريخهم.

٦- فصل الأمة عن هويتها الإيمانية:

الاستهداف في الهوية أخطر أشكال الاستهداف، والهدف والغاية منه هو السيطرة على الإنسان أصلاً، السيطرة المباشرة والتحكم التام بهذا الإنسان يتم من خلال تجريده من هويته وتفريغه من محتواه المهم، من محتواه المبدئي، ومن محتواه الأخلاقي، ومحتواه القيمي.

الإنسان إذا فُرِّغ تماماً من هذا المحتوى لم يبق له مبادئ، لم يبق له أخلاق، لم يبق له مفاهيم صحيحة وسليمة، يصبح مجرد دمية بكل ما تعنيه الكلمة، وإنساناً أشبه بالإنسان الآلي الذي يتحكم الآخرون فيه بما يسمى بالريموت، يتحكم فيه الآخرون تماماً.

الإنسان قيمته الإنسانية بهذا المحتوى، محتواه من الوعي، من المبادئ، من المفاهيم الصحيحة، من القيم الراسخة، من القيم العظيمة، لو فُرِّغ منها يوصِّف القرآن الكريم هذه الحالة من التفريغ أن الإنسان يصبح كالأنعام ﴿أولئك كالأنعام بل هم أضل﴾ بل أسوأ من الأنعام، ينحط الإنسان عن كرامته الإنسانية، وعن مؤهلاته الإنسانية، وعن قدراته الإنسانية، وعن كل ما زوده الله به وفطره عليه كإنسان.

يميزه عن سائر الحيوانات، مداركه أوسع، دوره في الحياة أهم، ما يمتلكه وما زود به من تلك الطاقات والقدرات والمواهب تعطيه إمكانية لأن يكون في هذه الحياة على نحو أعظم في سلوكه في مواقفه في حياته، وفي نهوضه بمسؤوليته، في طبيعة دوره في هذه الحياة.

كل هذا يضربه ضربة قاضية إذا فُرِّغ هذا الإنسان من هذا المحتوى الذي يتشكل من الوعي والمفاهيم والمبادئ والقيم والأخلاق.

فلذلك المعركة معنا من جانب أعدائنا سواء على مستوى واقع شعبنا اليمني، أو على

مستوى الأمة بكلها التي نحن جزء منها، المعركة معنا هي معركة سيطرة أي يهدف أعداؤنا إلى السيطرة علينا، هذا عنوان جامع ومانع لهدف معركة العدو معنا،لأن الهدف الرئيسي هو السيطرة علينا، إذا سيطر علينا عدونا بشكل تام معناه أنه أنهى مشكلته معنا واستفاد من كل شيء، أرضك، ثروتك، مقدراتك.

بل أنت، أنت بنفسك يستفيد منك. يستغلك، يحوّلك في هذه الحياة أنت وما لديك، أنت وما معك، أنت وما تملك، يستغلك في تحقيق مصالحه التي هي تشكل خطورة عليك، بالنسبة لك، يعني القوم يريدون ـ كما يقال في التعبير المحلي والمثل المشهور ـ الجمل وما حمل، الإنسان وما معه.

فيستغلون الجميع، يستغلون الكل، استغلالا للإنسان في نفسه، استغلالا للإنسان في مقدراته، استغلالا للإنسان في ثرواته، استغلالا للإنسان في كل ما يملكه، وفي كل ما بين يديه.

هذه كارثة، ومسألة خطيرة جداً، فيها امتهان لهذا الإنسان في كرامته، فيها استعباد لهذا الإنسان، فيها احتقار لهذا الإنسان؛ ولذلك يجب أن ننظر إلى مسألة الهوية كمسألة في غاية الأهمية، وعلى صلة وعلاقة بالصراع، وعلى علاقة وثيقة جداً بالحرب، وبالمشكلة، إنها تمثل ركيزة أساسية لتماسكنا وثباتنا، وتمثل منعة حقيقية في الحفاظ علينا، وفي الدفاع عنا.

نحن إذا فقدنا هويتنا فقدنا كل شيء، إذا بتنا وصرنا أمة لا هوية لها أو شعباً انسلخ عن هويته اعتبرنا انتهينا، اعتبرنا قضي علينا، لا يبقى لنا كيان، لا يبقى لنا منعة، لا يبقى ارتباط، لا يبقى لنا عوامل قوة، لا يبقى لنا أي شيء، نهائياً.

خطورة الانسلاخ عن الهوية

يتحول الناس الذين انسلخوا عن هويتهم، يتحولون إلى حيوانات مسخرة عاجزة مستسلمة، مستغلة، لا تفكير لها، ولا إرادة لها، ولا استقلال لها، ولا حرية لها، ولا كرامة لها، مطوّعُون، ويصبح الإنسان في هذه الحياة حاله حال أي حمار، أو جمل، أو أي حيوان آخر، أو كبش، تتوزع الأدوار بحسب طبيعة الاستغلال، البعض يُستغل كما يُستغل الحمار، البعض يستغل كما يستغل الجمل، البعض يستغل كما يستغل الكبش، وهكذا بقية الحيوانات.

أهمية التمسك بالهوية الإيمانية:

وهوية شعبنا هوية إيمانية، يمكن أن نعبر عن هذه الهوية بما تحدث عنه الرسول صلوات الله عليه وعلى آله وروي عنه حينما قال: (الإيمان يمان) هذه أعظم هوية، وأقدس هوية، وأشرف هوية، ما هناك على الإطلاق هوية أعظم من هذه الهوية.

كل أمة على وجه هذه الأرض، كل فئة، كل كيان، كل طائفة، كل مجتمع مترابط له هوية واحدة، هذه الهوية هي نمط حياة، نمط حياة تعتمد على عقائد، تعتمد على مفاهيم، تعتمد على أعراف، على عادات، على تقاليد، على ـ كذلك ـ أفكار معينة، ثقافات معينة، وتمثل عاملاً مهما جداً في اجتماع أمة، في ترابط أمة، لتتجه في هذه الحياة اتجاهاً واحداً، تجمعها تلك المنظومة من العقائد والأعراف والتقاليد والسلوكيات، والاهتمامات والعادات...الخ.

وما من أمة في هذه الأرض إلاولها هوية، إما هوية صحيحة، وإما هوية خاطئة، أو هوية مختلطة، فيها شيء من الأشياء الصحيحة، ومزيج من الأشياء الخاطئة، حتى أحياناً مزيج من الخرافة، بعض الأمم، بعض الشعوب، بعض الكيانات يوجد في قسم كبير من عقائدها ومفاهيمها وعادتها وأعرافها جانب كبير يعتمد على الخرافة، ولكن تبقى متشبثة، مقتنعة، الذي يجمعها، الذي يجمع ذلك الشعب، أو يجمع تلك الأمة، أو يجمع سكان ذلك البلد هي تلك العادات والتقاليد والأعراف، والعقائد، ذلك النمط من الحياة الذي يستند إليها ويعتمد عليها.

من نعم الله علينا وهي نعمة عظيمة، أن تكون هويتنا كشعب يمني وكأمة مسلمة هي الهوية الإيمانية، هذه الهوية التي إن حافظنا عليها في الانتماء، حافظنا عليها في الالتزام، حافظنا عليها من خلال الوعي بها، حافظنا عليها في تنقيتها من الشوائب الدخيلة التي تدخل إليها وليست منها، سواء ما كان منها بشكل عقائد أو أفكار أو سلوكيات أو عادات، وهي دخيلة، ليست منها، ليست في أصلها، إنما دخلت من هنا أو هناك، وهذا سأتحدث عنه في سياق حديثنا.

إن حافظنا على هذه الهوية حافظنا على أعظم هوية تمثل أهم وأعظم ما يمكن أن نتماسك به، ما يمكن أن يحافظ على وجودنا، ما يمكن أن يمثل أهم عامل قوة بالنسبة لنا، أهم ضمانة لفلاحنا ونجاحنا وصلاحنا وقوتنا وعزتنا وكرامتنا ومنعتنا، وأهم ما يمكن وأعظم ما يمكن أن نعتمد عليه ونستند إليه في مواجهة كل التحديات، وكل الأخطار، مهما كانت، فلا تتمكن

من أن تهدّ كياننا، ولا أن تسقط كياننا، ولا أن تقضي على وجودنا كأمة عظيمة، وشعب عظيم.

وهذا الموضوع موضوع في غاية الأهمية، هناك شعوب أخرى لديها في هويتها في معتقداتها في أفكارها في ثقافاتها قسم كبير من الخرافة، ومع ما وصل البشر إليه في هذا العصر من تقدم ومن تطور حتى في العلوم وغير ذلك لا تزال تتشبث بتلك الخرافات وهي خرافات، لم تتنصل منها ولم تتنازل عنها، شعب هنا أو هناك.

بل هناك دول من الدول الكبرى، في مصاف الدول الكبرى تعتمد في هويتها الثقافية والفكرية وفي عاداتها وأعرافها على قسم كبير من الخرافات، هي متشبثة بها بكل قوة، لا تفرط فيها أبداً، لأنها تعي ماذا يعني أن تفرط فيها، كيف يمكن لها أن تسقط كأمة، أو كشعب، أو كدولة، أو كبلد معين له اليوم حضوره في الساحة العالمية.

إذا فقدت خصوصيتها الثقافية، خصوصيتها الفكرية، خصوصياتها في الحياة التي تستند إلى عقائد معينة، إلى أعراف معينة إلى عادات معينة، إذا فقدتها تتفكك، تتبعثر، تسقط، تنمحي، تذوب، تتلاشى، تبتلعها الكيانات الأخرى، الدول الأخرى، وتسيطر عليها وتستحوذ عليها، وهي تتشبث بهويتها المعتمدة على قسم كبير من الخرافة.

ولربما يعرف الكثير من مفكريهم، من كبارهم، من قادتهم، يعرفون أنه عبارة عن خرافات، ولكن يقدسون تلك الخرافات ويتشبثون بها، للحفاظ عليها ككيان، كأمة، كبلد، كدولة، كشعب، حتى لا يتفكك، يتبعثر، يتلاشى، ويتمكن الآخرون من السيطرة عليه، يرون في التشبث بها حفاظا على كيانهم ككيان.

ما بالك حينما تكون هذه الهوية هوية عظيمة في أصلها، وإن شابها شيء ما من الخلل والدخيل ولكن في أصلها، في ما هي عليه، فيما فيها من عقائد، من أفكار، من ثقافات، من سلوكيات، الأصل هذا أصل عظيم، والذي دخل يمكن أن ينقى، لأنه لم يصل بعد إلى القضاء على الأصالة هذه، الأصالة ممتدة حاضرة، موجودة، قائمة اليوم.

والدخيل واضح، لا يزال إلى حدٍّ ما يعاني من الضعف، يعاني من الهشاشة، يعاني من الغرابة، نشعر به كدخيل على هويتنا وعلى ثقافتنا، على حياتنا، على عاداتنا، على أعرافنا وسلوكياتنا، التي توارثناها جيلا بعد جيل، منذ صدر الإسلام الأول.

اليهود يعرفون أثر الهوية الإيمانية

اليهود يعرفون أثر الإيمان عندما يكون هناك في الأمة إيمان، وهم يعرفون أنهم إذا استطاعوا أن يمسخونا كفاراً، هم لا يريدون أن نكون يهوداً، وقالوا في وثائقهم المسماة (بروتوكولات حكماء صهيون): إنهم لا يريدون أن يكون المسلمون أو النصارى يهوداً، لأنهم لا يستحقون أن يكونوا يهوداً ولكن يكونون كفاراً يكونون ضالين، يكونون كذا... إلخ؛ ليفقدوا النصر الإلهي والتأييد الإلهي وما يمكن أن يعطيه الإيمان. يودون أن نكون كُفَّاراً ولم يقل: (يودون أن نكون يهوداً)، هم ليسوا مشغولين بأن يدعونا إلى أن نكون يهوداً، لماذا لا يودون أن نكون يهوداً ويودون أن نكون كفاراً؟ هم هَمُّهم الرئيس ألَّا نحمل إيماناً نُمنح به تأييد الله ورعايته فيصعب عليهم مواجهتنا، ويصعب عليهم ضربنا؛ فليفسدونا، فليحولونا إلى كفار، هذا هو الذي يريدون.

لقد جعلوا الرِّبا يصل كل بيت من بيوتنا، والبنوك في البلدان العربية تتعامل بالربا، والبنوك المركزية التي تنطلق منها عملات أيَّة دولة عربية تتعامل بالربا، وكل عملة في جيبك مصبوغةٌ بالربا، وكل لقمة تأكلها الآن، وكل حاجةٍ تستخدمها من إنتاج شركة معينة، أو تمويل تاجر معين مصبوغة بالربا. والمعروف عن اليهود أنهم في تاريخهم التجاري والاقتصادي معروفون بالربا وبالتعامل بالربا، لقد استطاعوا أن يوصلوا الربا إلى كل بيت، ناهيك عن كل قُطْرٍ من الأقطار العربية.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجاً وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران:٩٩] ويصدون أيضاً عن سبيل الله. الصد عن سبيل الله بعد أن عرفوا أن هذا الإسلام هو من دين الله فعلاً، وأن النبي محمداً (صلوات الله عليه وعلى آله) هو نبيٌّ مرسلٌ من الله، فهم يعرفون بأن هذا الدين هو دين الله، وهو سبيله؛ فلا بد أن يصدوا عنه! وفعلاً عملوا على أن يصدوا عنه وبمختلف الوسائل والأساليب.

لكنه هنا قال: ﴿وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ليس بغافل عن عملهم لا بد أن يكون قد وضع ما يمكن أن يحول بين المسلمين وبين ما يجعلهم متأثرين بالصَّدِّ عن سبيل الله الذي يصل من جانب اليهود، لكنا نغفل عن مثل هذه الأشياء ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا

فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ [آل عمران:١٠٠] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أليس يخاطب المؤمنين أنفسهم؟ ﴿إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ يعني أنهم يعملون بجد على أن يجعلونا كافرين بالله، وكافرين بدينه، سواء كافرين قولاً وجحوداً أو واقعاً.

فهم كانوا وراء الشيوعية كما عُرِفَ ذلك، وتقريباً كل من تحدث عن الشيوعية، وكل من كتب عن الشيوعية، كلهم يؤكدون بأن الشيوعية كان وراءها اليهود. ألم يعملوا من خلال الشيوعية على أن يجعلوا البشر كافرين ملحدين بالله سبحانه وتعالى؟ وانتشر هذا الكفر داخل البلاد الإسلامية، فكانت الأحزاب الشيوعية في كل بلد حتى في اليمن ووصلت الشيوعية إلى مناطق وبلدان كثيرة ﴿يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾.

هذا فيما يتعلق بتوجههم نحو الإضلال، ونحو الفساد، ونحو تلبيس الحق بالباطل كما قال عنهم: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً﴾ [المائدة:٦٤] نحو عملهم الجاد على أن يحولوا المسلمين إلى كافرين، هذا شيء مما حكاه الله سبحانه وتعالى عنهم.

هم من يعملون على نشر الفساد الأخلاقي في مختلف البلاد العربية، هم من دفعوا المرأة المسلمة، المرأة المحتشمة، والمرأة التي يُلزمها دينها وقيمها العربية أن تكون متأدبة ومحتشمة، وهي من أصبحت الآن تتبرج، وهي من أصبحت الآن تكشف شعرها وبدنها.

وهم عندما يريدون أن تضل السبيل، هم كالشيطان يعرفون سبيل عزتنا ليصرفونا عنه، هم لا يغلطون، يعرفون سبيل الحق فيصرفوننا عنه، ويعرفون سبيل تنميتنا الحقيقية فيصرفوننا عنها، ويعرفون سبيل زكاء نفوسنا وسمو أرواحنا فيصرفوننا عنه، ويعرفون سبيل قوتنا في توحدنا فيصرفوننا عنها ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾.

دور الهوية في بناء الأمة

وهم عندما يعملون على مسخ هويتنا التي تعني قيمنا وأخلاقنا وتقاليدنا وننشد إلى قيمهم وأخلاقهم وتقاليدهم المنحطة سواء في هويتنا الإيمانية التي شهد لنا الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) بها، واستبدالها بثقافة قرن الشيطان، أو ما يتعلق بعاداتنا وتقاليدنا كشعب

يمني مسلم وملتزم يعملون على أن نقلدهم حتى في لبسهم وعاداتهم وتقاليدهم وحتى في حلاقتهم وحفلاتهم وفي كل شيء حتى في تسمية أبنائنا وبناتنا فلأنهم يعرفون بأننا متى فقدنا هويتنا هو الكفيل بأن نفقد أيضاً حضارتنا؛ لأننا لن نصل إلى مستوى أن نكون أمة تنتج وتصنّع وتزرع وتعلم كل شيء وقد فقدنا هويتنا ولم نعد نعرف من نحن ومن هم، والواقع يشهد بهذا.

قد تأتي طفرة أحياناً نريد أن نعمل شيئاً فنرسل طلاباً إلى الخارج، نرسلهم قبل أن نعرِّفهم من نحن ومن أولئك الذين سيذهبون إليهم، فيعودون بنظرة عكسية، حتى ولو أصبح لديه خبرة لم يعد يطمح إلى أن يخدم هذه الأمة؛ لأنها عنده ليست شيئاً، أصبح معتزاً بأولئك، منبهراً بأولئك، يعظّم أولئك، ويحتقر هذه الأمة، ويمتهنها، هي أمة ليست جديرة بأي شيء من قبله، فيعود ساخطاً على هذه الأمة، لماذا ساخطاً لأنها لم تبنِ نفسها، أصبح يزدريها هكذا. ولو كان لا يزال في قلبه ذرة من احترام لهذا المجتمع، أو اهتمام بشأنه لانطلق هو أن يفيد بخبرته هذا المجتمع.

نستقدم الخبراء من هناك لكن أولئك يعرفون من هم ومن نحن، لاحظ الفارق يأتي خبراء وهم يعرفون من نحن، نحن أمة لو ننهض، لو يخلصون لنا، لو يخلصون معنا فبين أيدينا كتاب عظيم، بين أيدينا دين عظيم قد نشكل خطورة على حضارتهم، هم يخرجون إلينا وهم يحتقروننا وحريصون على أن لا نعلم شيئاً إلا فضلات معرفتهم التي تؤهلنا- فقط- لأن نكون سوقاً استهلاكية لمنتجاتهم، هي مجرد أن نعرف كيف تشغل منتجاتهم فقط لا كيف تصنع مثلها، أو كيف تنافسهم في التصنيع على نحوها.

عندما نرسل طلاباً إلى الخارج بمنح دراسية أيضاً وهم جاهلون، ولا نشرح لهم أي مجتمع سيصلون إليه، في نفس الوقت مما يعزز المسألة ويزيد الطين بلة هو أنهم لا يحظون برعاية، بل يشكون كثيراً ويعانون كثيراً من اختلاس مساعداتهم المالية، وسرقة للمساعدات، وتأخير لها، وأرقام بسيطة، فيعيشون هناك (أزمات مالية كبيرة) فيعود وهو كتلة من الازدراء لهذا المجتمع، ولهذه الدولة.

عندما يعود الطالب ماذا يمكن أن يعمل؟ قد يأتي - وبسبب ازدرائه لهذه الأمة، ولهذه

الدولة - يعمل لمصلحة نفسه فقط، وإذا ما عمل داخل مؤسسة حكومية مثلاً، داخل مصنع يهتم بنفسه فقط، لا يحمل أي مشاعر من الاهتمام بواقع هذه الأمة، وأن يعمل على رفعتها، وأن يخلص لها.

فرح الناس عندما أقرت الدولة يومين عطلة في الأسبوع، فرحوا، بينما كان العمال في ألمانيا وفي اليابان يصيحون: لا، عندما تكون ساعات العمل قليلة، يريدون أن تكون ساعات العمل طويلة! في اليابان عندما كانوا يرسلون طلاباً كان اليابانيون يحرصون على أن يحافظوا على هويتهم، وتقاليدهم كشعب متميز بتقاليده وهويته، هو شعب ظُلم من قبل الآخرين، من قبل الغرب، ظلم من قبل أمريكا، فيرسلون طلاباً على مستوى من الوعي، يفهم من هو، ويفهم ما هي مهمته، وهو أن يسافر في رحلة ومنحة دراسية وأن يتعلم حتى ولو عند أعدائه لكن يتعلم ليعرف في الأخير كيف يضربهم، يتعلم ليعرف كيف يبني بلاده، فيصبح ذلك الشعب الذي قهر على أيديهم يقهرهم هو في ميادين الاقتصاد.

الدولة نفسها كانت تهتم بالطلاب اليابانيين، تعطيهم مساعدات كبيرة، ورعاية كبيرة، كذلك الصين كانت تعمل فيعود الياباني وهو ياباني لم يتأثر، يعرف ما حصل في (هيروشيما) وفي غيرها، ما حصل من تدمير لدولة كانت تمثل إمبراطورية كبرى في شرق آسيا، فعادوا وهم لم يتأثروا، عادوا وهم يحملون اهتماما بأمتهم، ويعملون بجد من أجلها.

كانت تبدو حكومة اليابان حتى في أثناء الاستسلام كانوا يحرصون على أن تبقى لهم هويتهم، كل شيء ممكن لكن هويتهم، ومَلِكُهم، قد يبدو الملك، قد تبدو الحكومة مستسلمة، أليس الاستسلام هو حاصل؟ لكن من الداخل هو يعرف كيف يعمل، من الداخل يثور، مستسلم وممكن يقف مع أمريكا في مواقف لكنه من الداخل يعرف أنه على رأس شعب قهر، وأن من واجبه أن يصعد بهذا الشعب ليكون هو الذي يقهر أعداءه ولو في أي ميدان من الميادين؛ هم يعرفون أن الصراع هو صراع شامل، لم يعد فقط صراعاً عسكرياً، بل هو صراع شامل، وأبرز ما فيه الصراع الاقتصادي فيما بين الدول.

اتجهوا نحو البناء فعلاً وهو أن يقفوا على أقدامهم، ما الذي حركهم؟ مشاعر داخلية نحو وطنهم، مشاعر داخلية من العداء لأولئك، شعور بأنهم قهروا، روحية افتقدها الناس،

المسلمون أنفسهم وهم من يمتلكون دين العزة، وهم من يمتلكون القرآن الذي فيه ما يكشف لهم واقعهم في أي عصر من العصور، يبين لهم ما هم عليه، يبين لهم لدرجة أن القرآن يبدو وهو كتاب مخطوط حي وواعي أكثر منا فيما نحن عليه في كل عصر يستطيع أن يكلمك بما أنت عليه، وواقعك عليه، وكيف واقعك.

عاد اليابانيون وهم مجاميع كثيرة، وبنوا بلادهم فعلاً حتى أصبحوا دولة صناعية كبرى، دولة تملك رأس مال رهيب جداً، لها ثقل اقتصادي عالمي، أصبحت منتجاتها تغرق الدنيا وهي بلد صغير!.

لدينا من التربة أكثر مما لديهم، بلدنا أوسع من بلادهم. من أول كانت المشروبات التي كانت تصل إلينا مشروبات يابانية نشربها من شركة (متسو بيشي) عصائر، هم كانوا يزرعون في قوارب في البحر، لاحظ كيف الرجال يعملون، ليست لديهم تربة، أراضٍ ضيقة، جُزُر مفككة، فكانوا يصنعون قوارب من الخشب أو من أي مادة ويبحثون عن كيف يملؤونها بالتراب؛ لأنه لا يوجد لديهم مساحات كافية لأن تزرع، بلد ضيق، يزرعون في البحر، يملؤون الزوارق بالتراب ويزرعونه، يزرعون حتى في شرفات منازلهم، الأسرة نفسها تزرع الباميا والبطاط والطماطم في شرفات المنازل، تعمل على اكتفاء نفسها من الخضار من الأسطح لضيق الأرض لديهم، وفي شرفات المنازل.

ما الفارق بيننا وبينهم؟ هو أنهم يعرفون من هم، ويعرفون الآخرين الذين كانوا يرسلون أولادهم إليهم من هم، ويرعون الطلاب عندما يسافرون إلى أولئك، فلا يسير إلا وقد صار فاهماً. أصبحنا لا نعي من نحن، فما الذي ستعرفه بعد أن تكون لا تعرف من أنت؟ إذا أنت لا تعرف من أنت، ولا تعرف الآخرين من حولك فلا تستطيع أن تبني نفسك فعلاً.

إن لنا أراضٍ كثيرة مهملة، ساحات واسعة صالحة للزراعة مهملة، ونستورد، نستورد كل شيء حتى أبسط الأشياء، وهكذا وضعية البلدان الأخرى، تدخل سوق الملح، أسواق صنعاء، وترى فيها فاصوليا، وعدس، وترى فيها فول، وترى فيها مختلف الحبوب، هذا من استراليا، وهذا من الصين، وهذا من تركيا!.

أصبح اليمن وكأنه صخرة لا يصلح أن يزرع فيه شيء! وحتى لو كان صخرة واحدة

لاستطاع الناس - كما عمل اليابانيون - أن يزرعوا فوق أسطح المنازل وفي شرفات المنازل، ألم يكن بالإمكان أن يزرعوا فوق الصخرة؟ يضع قليلاً من التراب فوق الصخرة هذه ويزرع فيها أي شجرة مفيدة.

وعندما يفقد الناس الهوية سيأتون إلينا ليقولوا تعلموا:

فعندما يفقد الناس الهوية فعلاً وتصبح وضعيتك بالشكل الذي تخدم عدوك، سيأتي عدوك ليقول: تحرك، تعلَّم، تعلَّم؛ لأنهم من وضعوا كل شيء لنا، هم من عرفوا كيف سنكون عندما نتعلم، لو أن هناك تعليم صحيح يبني فعلاً هل يمكن أن نسمع من جانبهم كلمة تعلّم؟.

لما نسينا قضية أنهم أعداء، أنهم حاسدون، أنهم ما يودون لنا أي خير، وأن قلوبهم مليئة بالحقد علينا، وأنهم حريصون على إذلالنا،... الخ، خصال متعددة نبهنا الله عليها في القرآن الكريم بالنسبة لهم نسيناها، بينما آدم نسي واحدة فقط، نسي أن الشيطان عدو، هو قيل له: إن الشيطان عدو، أما الله فقد قال لنا بالنسبة للآخرين من أهل الكتاب من اليهود والنصارى: هم حساد، لا يودون لكم أي خير، هم حاقدون، هم لا يحبونكم، ويكرهونكم، هم كذا، هم كذا.

نسينا هذه فما الذي جر علينا من وبالٍ نسيانُنا لهذا؟ أصبحنا نتثقف بثقافتهم، أصبحنا نحرص على أن نقلدهم في كل شيء بدءاً من كبارنا إلى أطفالنا ونسائنا، أصبحنا ننظر إليهم نظرة إكبار وإعظام وإجلال، أصبح الشخص منا يعتز بأنه أصبح شخصاً عصرياً وحضارياً عندما يماثلهم ويقلدهم في شؤون حياته فما الذي حصل؟ شقينا كما شقي آدم، ألم يشق العرب؟ تجمع لنا الشقاء والضلال كما شقي آدم عندما أُخرج من الجنة، إلا أنه لم يضل ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ [طه:١٢٢] شقي في حياته، احتاج أن يقوم ليعمل، لم يعد معه لا ملابس ولا طعام ولا شراب.

لكن نحن على أيدي هؤلاء تجمع لنا الشقاء والضلال، الشقاء والضلال بكله، تجمع لنا على أيدي هؤلاء؛ لأننا نسينا من هم، والعجيب أيضاً تتجلى الأحداث إلى درجة عالية جداً من الوضوح، فيتجلى للعرب أن أمريكا وراء إسرائيل، وإسرائيل هي عدوهم، أليست الأشياء متجلية بشكل واضح جداً، لكن أصبح الناس في تيه وفي ضلال لدرجة أنهم لم يعرفوا ماذا يعني أنه إذا كان عدو، ما ذا يعني العداوة، وكيف أتعامل معه؟!.

٧- فصل الأمة عن تاريخها وأعلامها:

أ- فصل الأمة عن أعلامها وتدمير معالمها:

عمل اليهود من خلال صنيعتهم النظام السعودي بشقيه السياسي والديني على أن يفصلوا الأمة عن رموزها وفي مقدمتهم الرسول محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) ويعملون على مسح أي أثر إسلامي في مكة والمدينة وغيرهما من المناطق الإسلامية بحجة أنه بدعةٌ وشركٌ! فليُقضى على أي مَعْلم إسلامي، ولتَحُل بين المسلمين وبين أن يعظموا أي ولي من أوليائهم، أو معلم من معالمهم، أو علم من أعلام دينهم، وفي المقدمة الرسول محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) وفي الوقت نفسه يحافظون على الآثار اليهودية في خيبر وغيرها! من أين جاءت لهم هذه الأشياء وما هو الهدف منها؟ إنها من عند اليهود بهدف إضلال الأمة، لتجريدها عن هويتها الدينية، عن هويتها الإسلامية: ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٩].

تعتبر هذه المعتقدات من الأساسيات في معتقدات الوهابية: محو الآثار الإسلامية، أو أية معالم دينية، بحجة أنها شرك! عندما تقرأ كتب محمد بن عبد الوهاب، وتنظر إلى رؤية المستعمرين، رؤية المحتلين، رؤية الأعداء الذين يحاولون أن يزيلوا الأشياء التي هي آثار تشد الناس إلى تاريخهم الديني إلى بداية حركته في الإسلام، يعملون أن يغيروا معالمها تماماً، ولا يتركونك ترى الكثير منها ليخلقوا فراغاً روحياً عند الناس، ينسف ذلك التأثر الذي له قيمة إيجابية، وتربطك بتاريخك الديني.

عندما تدخل المدينة وكأنك عدت إلى القرن الأول ترى مسجد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ترى الأشياء وكأنك سافرت إلى ما وراء ألف وأربعمائة سنة، أليس الأثر سيكون كبيراً في النفس؟ هم يعرفون أهمية التراث؛ ولهذا عندهم قضية هامة موضوع التراث، لكن التراث الجاهلي يهتمون به أما التراث الديني يحاربونه، كلهم يحاربونه، كلهم يحاربونه، الأعداء، ومذهب من داخل الأمة تقوم عقائده على نسف معالم الدين، وآثار الدين ! حتى أن الوهابيين حاولوا في مرحلة من مراحل حركتهم أن يدمروا قبة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) !

يحاولون في ترتيبات بناء المسجد، وزيارة قبر رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) أن تكون بالشكل الذي لا تتمكن أن تراه، أو تستحضر في ذهنيتك: أن هناك داخل هذا المبنى رسول الله

(صلوات الله عليه وعلى آله) فقط ممر واحد، وممر ضيق، ومجموعة من المطاوعة، والجنود يدفعونك: (هيا، تحرك !) باب واحد تدخل من باب، وتخرج من باب بسرعة (هيا بسرعة) لا يتركونك تلتفت لشيء، لا يتركونك تبقى تستحضر في ذهنيتك، تعود إلى ما قبل ألف وأربعمائة سنة أبداً! محراب النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) يملؤونه بالكراسي لا يتركونك تجلس فيه، أو تصلي فيه كل هذه الأشياء يقولون هي (بدعة، شرك، هيا، لا تلمس شيئاً)عندما تلمس شيئاً يبدو وكأنك تلمس شيئاً يعود بذهنيتك إلى قرون من تاريخ الأمة هذه يقول لك: ممنوع! وبطريقة وقحة، بعض المطاوعة يركلون الناس بأقدامهم، ويضربونهم، والبعض يقودونه إلى السجن؛ لأنه حاول أن يلمس قبة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ويقبِّلها! لكن اذهب لتقبِّل جنب الأمير لا يوجد مانع، قبِّل جنبه، قبِّل يده وهو حتى لا يبادلك التقبيل يبقى واقفاً وهم يقومون بتقبيله في جنبه، أو يقبلون يده فقط، وهو لا يبادلهم، ويتبركون بهذا، وتراهم يذهبون لهذا!.

يعملون على محاربة من يحتفلون بمولد رسول الله محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ويستبيحون دماءهم لأن العدو يعرف ماذا تعني هذه المناسبة، وما دلالاتها المهمة والتي من أبرزها:

- الشكر والاعتراف بمنّة الله العظيمة وفضله العظيم علينا كمسلمين وعلى العالمين أجمع، الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس:٥٨].
- مناسبةٌ للحديثِ عن الرسولِ ومبعثِه ومنهجِه ورسالتِه، وعن واقعِ الأمة وتقييمِه، ولِيبقى رسولُ الله حيًّا في وُجدانِنا، وحاضرًا في أذهانِنا.
- وأنه خير تعبير عن الولاء لرسول الله محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) هذا الجانب المهم كأساس من أساسيات الإيمان لا يتم الإيمان إلا به ولا يتحقق إلا به.
- والأهم من كل ذلك أنها مناسبة جامعة يمكن أن تمثل أساساً مهماً للوحدة الإسلامية، ومن خلالها يتم التذكير بالأسس الجامعة المهمة التي توحد الأمة وتبني الأمة.

أمثلة:

١- ضربهم لأضرحة الأنبياء في العراق ونبشهم لقبر حجر بن عدي.

٢- قصف مساجد وقبور العلماء مثل عالم الحديث الصنعاني من قبل العدوان السعودي الأمريكي، ما حصل منهم في حضرموت والمناطق التهامية.

ب- صنع رموز وهمية للأمة:

اتجه اليهود من جديد وهم يعرفون بأن أفكارنا تحت أيديهم وتحت تأثير إعلامهم وكتّابهم وتحت تأثير دعاتهم إلى أن يصنعوا للأمة - لا يتركونها تستقر يوم من الأيام - قدوات مزيفة، أعلاما مزيفة، تصيح منهم أمريكا وهي تعرف أنهم لا يشكلون خطورة عليها؛ لتتجه أذهاننا نحوهم مثل أسامة بن لادن ونحوه من الأعلام الوهميين الذين هم صنيعتهم بديلاً عن الأعلام الحقيقيين الذين يحملون رؤية حقيقية، من يحملون رؤية صائبة ضد أمريكا وإسرائيل، من يحملون قوة نفسية، من يحملون رؤية قرآنية.

يتجهون بأبناء الأمة إلى رموز وهميين وخطر وهمي، يلعبون بأفكار المسلمين، أحياناً ينصبون لنا علماً في مجال القومية للقوميين، وأحياناً متى ما رأوا توجهاً دينياً ينصبون لنا علماً وهمياً - بذقته، بعمامته - باسم أنه يشكل خطورة على أمريكا، وأنه إنسان قوي، وأنه.. وأنه.. إلى آخره.

اليهود يعرفون من هم الذين يشكلون خطورة عليهم، ليس في ذقنه، ليس في تركعه، بل في رؤيته بالنهوض بهذه الأمة، كيف يمكن أن تتوقع ممن لا يرى الإسلام إلا ذقنة وثوباً قصيراً ومسواكاً أن يجعل الأمة بمستوى المواجهة ضد اليهود وضد الغرب!!. ممن يرى أن الله قد أنعم علينا أن جعل الغربيين والكفار يصنّعون لنا ونحن نعبده ونسير في عبادته، وهم يصنعون لنا كل شيء! هل هذا يمكن أن يواجه الغرب؟.

٨. نشر الفساد الأخلاقي:

هم من يعملون على نشر الفساد الأخلاقي في مختلف البلاد العربية، هم من دفعوا المرأة المسلمة، المرأة المحتشمة، المرأة التي يلزمها دينها وقيمها العربية أن تكون متأدبة ومحتشمة، هي من أصبحت الآن تتبرج، هي من أصبحت الآن تكشف شعرها وبدنها، وتزاحم الرجال في كل مكان.

أ- اليهود يستهدفون المرأة تحت عنوان المشاركة للرجل

اليهود الذين قال الله عنهم: ﴿يريدون أن تضلوا السبيل﴾ يعملون جاهدين على أن تخرج المرأة اليمنية المسلمة العفيفة الملتزمة متبرجة مكشوفة، ترفع ثوبها قليلاً قليلاً، لتبدو أقدامها، ثم ليبدو ساقها، وتعمل على أن تكشف جزءاً من شعرها قليلاً قليلاً، وتكشف يديها قليلا قليلاً، هناك عمل ممن يريدون أن نضل السبيل، يريدون أن تصبح نساؤنا كالنساء التي نراهن في التلفزيون في مختلف بقاع العالم، سافر إلى القاهرة، أو إلى عمَّان، أو إلى دمشق، أو إلى بغداد، أو إلى أي بلد عربي إسلامي تجد المرأة العربية المسلمة لا تفرق بين مظهرها وشكلها وبين المرأة الأوربية المسيحية أو اليهودية، حتى بعض النساء في فلسطين ترى المرأة التي تصرخ وتبكي على ابنها وهو قتيل، أو جريح، أو تبكي على بيتها وهو مهدم على أيدي اليهود هي في شكلها لا تختلف عن أم ذلك اليهودي، عن زوجة ذلك اليهودي.

لنقول أيضاً: أنه حتى عندما نسير وراء الآخرين فيما نعتبره حضارة وتقدماً، نقول للمرأة عندما تخرجين متبرجة، عندما تخرجين سافرة لوجهك وبدنك مكشوف هل رحموكِ؟. هل رحموا المرأة في فلسطين؟ هل كفوا عن تدمير منزلها؟. لأنها قد لحقت بركابهم؟ إنهم يزكُّون كل من لحق بركابهم من عندنا، هل كفوا عن ابنها؟. هل كفوا عن زوجها؟ ثم هل تريدين أنت أن يكف الله عنك وأنت من تسيرين وراء ضلالة هؤلاء أكثر مما تسيرين وراء هدي الله؟ الله لن يكف عنك، الله لن ينقذك وأنت من تسيرين وراء من يريدون أن تضلي، ويريدون أن تهاني، ويريدون أن تظلمي، وأنت تقلديتهم في كل مظاهر الحياة.

أليس هذا هو ما يحصل؟ إن الله لن يكف عن تلك النساء، حتى أصبح البعض منا فعلاً يوم كنا نشاهد ما يحصل في البوسنة على شاشات التلفزيون، ألم تكن ترى المرأة المسلمة كالمرأة الصربية؟ شكل واحد، وزي واحد، ترى بعض الفلسطينيات وهن يهربن أمام الإسرائيليين كالإسرائيليات سواء، حاول أن تشاهد فيما لو تمكنت أن تشاهد شاشة التلفزيون الإسرائيلي ستجد أنه لا يختلف أبداً عما تشاهده في شاشة أي تلفزيون آخر في البلاد العربية، لقد ضلينا السبيل، سبيل ديننا، سبيل عزتنا، سبيل كرامتنا.. السبيل كل ما تعنيه كلمة ﴿السَّبِيلَ﴾ الذي يهدي إلى التي هي أقوم، الذي يهدي إلى العزة والكرامة.

حقيقة واقعية: انتشر في الآونة الأخيرة برامج مسابقات مثل ستار أكاديمي وسوبر أستار وعرب آيدل وهي برامج أخترعها اليهود ويقومون بنشرها بشكل واسع لإفساد الأمة الإسلامية ونورد لكم محادثة أجرتها القناة الإسرائيلية في لقائها مع الدكتور الإسرائيلي (ملحوم أخوف) صاحب فكرة ستار أكاديمي هذا اللقاء بالحرف الواحد كالآتي:

المذيع يسأل: ما هو شعورك اليوم وأنت حققت أكبر أمانيك وهي ستار أكاديمي في عقر دار الإسلام؟

فقال ملحوم أخوف: شعور لا يوصف ولكن أخذ من عمرنا الكثير حتى تمكنا من الوصول إلى غايتنا!!

فسأله المذيع: ما قصدك بأخذ من عمرنا الكثير؟

فقال: نعم جلسنا سنين حتى تمكنا من إدراجه في الدول الغربية، ثم إلى الدول العربية، وكنا نعلم أن فكرتنا ستتحول إلى أنجح خطه في مسيرة الدولة الإسرائيلية!!

فسأله المذيع: لماذا كنتم متأكدين أنكم ستنجحون بهذه الفكرة؟

فقال: لأننا نعلم أن المسلمين اليوم ابتعدوا عن دينهم وفي الوقت نفسه الشباب المسلم أصبح يميل إلى الالتزام الإسلامي الذي لو كبر سيقضي على دولتنا !!

فسأله: لماذا حرصتم على أن يكون " ستار أكاديمي" هو وسيلة للوصول للمسلمين؟

فقال: لأننا نريدهم أن يبتعدوا عن دينهم!!

فسأله: ماذا تخططون اليوم للهجوم على الإسلام بعد ستار أكاديمي؟

فقال بكل تحدي ووقاحة: نخطط لغزو البنات المسلمات !!

فسأله : لماذا البنات المسلمات وليس الرجال؟

فقال: لأننا نعلم إذا انحرفت (المسلمة) سينحرف جيل كامل من المسلمين وراء ها...

فسأله مرة أخرى: بماذا تصفون غزوكم للمرأة المسلمة؟

فقال: نحن اليوم نحرص على غزو المسلمة وإفسادها عقلياً وفكرياً وجسدياً أكثر من صنع الدبابات والطائرات الحربية!!

فسأله: وهل لكم يد في ستار أكاديمي الذي يقام حالياً في لبنان؟

فقال: بالتأكيد فنحن نتبرع كل يوم لهم بمبلغ كبير من المال وهي تحت إشرافنا باستمرار!!

فسأله المذيع: وفي نهاية اللقاء ماذا تقول لأمتنا الإسرائيلية وتبشرهم؟

أقول لهم: أن يستغلوا نوم الأمة الإسلامية فإنها أمة إذا استيقظت سوف تسترجع في سنين ما سلب منها في قرون...

ب- اليهود يريدون أن تكون المرأة وسيلة لإفساد المجتمع:

وهم يعلمون أن التركيز على الجانب الأخلاقي الذي وسيلته المرأة، المرأة هي وسيلة سهلة، سهل إفسادها، وعظيم جداً إفسادها أيضاً، إنها تفسد بسهولة،، وهي من تفسد الرجل بسهولة أيضاً.. يركزون على المرأة لتفسد في نفسها من خلال ما تشاهد وهم من يقدمون في المسلسلات العربية - التي يسمونها عربية - يقدمون المرأة التي زيها مازال زياً عربياً هي الشغالة، وهي الخادمة، ألسنا نشاهد هذا في المسلسلات المصرية؟ المرأة التي دورها شغالة، أو خادمة، أو بواية عملها عمل ممتهن، أليست هي تبدو بالشكل العربي وبزيها العربي؟ لكن المرأة ذات الدور المهم داخل المسلسل، بطلة تلك القصة هي من تبدو شبيهة تماماً بالمرأة الأوربية؛ لنقول: هكذا هو التحضر.

لا يليق بها حتى ولا أن تمثل دوراً لائقاً إلا وهي بزي المرأة الأوربية، الزي المفضوح، الزي الذي يفسد كل من يشاهده، ويرسخ في أذهان نسائنا أن تلك النساء اللاتي ما يزلن محافظات على زيهن العربي، على حجابهن الإسلامي ها هن منحطات، إنما هن فرّاشات ويقمن بدور الفرّاشة، بدور الخادمة، بدور الطباخة في هذا المسلسل الذي يسمونه أيضاً (المسلسل العربي)، والذي يقول مخرجوه: أنه من أجل معالجة مشكلات اجتماعية.

أليس هذا هو من يصنع مشكلات اجتماعية؟. أليس هذا هو من يخدم أعداء الله؟. أليس هذا هو من يساعد المرأة، من يدفع بالمرأة التي تشاهد إلى أن تتبرج؟. هل نحن نرى النساء

يقلدن من يشاهدنه من النساء داخل تلك المسلسلات ممن لا يزلن يحملن الزي العربي؟ أم أنهن ينطلقن لتقليد تلك النساء التي يتبرجن؟. من يقلدن؟. هي لا تنشد لتقليد تلك المرأة؛ لأن دورها في المسلسل قُدم دور ممتهن إذن اقترن الزي بالدور، اقترن الزي العربي الزي الإسلامي بالدور الممتهن للمرأة داخل المسلسل، من أجل المرأة العربية التي تشاهد المسلسل لا تنشد لتقليد هذه المرأة وإنما تنشد لتقليد تلك المتبرجة السافرة؛ لأن دورها في المسلسل هو دور البطلة، هو دور الممثلة الكبيرة، أليس هذا إضلال؟ ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾.

بل أصبحنا نضل وبأموالنا نحن المسلمين نضل بعضنا بعضا، تموّل كل تلك الأعمال التي فيها إضلال لنساء المسلمين، التي تدفع المرأة إلى السفور والتبرج تمول من الأموال العامة للشعب، تمول، أو تشجع من الأموال العامة للشعب. وإذا ما كان هناك قطاع خاص فهو من يقوم بتلك الأعمال، والمعاهد التي يتلقى التدريب والتعليم فيها من يتخرجون فيما بعد مخرجين أو ممثلين هي أيضاً من المشاريع التي تمول من قبل المال العام للشعب في أي بلد إسلامي، نشتري الضلالة كما اشتراها بنو إسرائيل، هم يريدون أن نضل السبيل، بل أن نصل إلى ما وصلوا إليه أن نشتري الضلالة، أوليست وسائل إعلامنا العربية تشتري الضلالة بمبالغ كبيرة؟ تشتري الأفلام التي تستهدف الأمة في هويتها وقيمها وأخلاقها لتعرضها أمام نسائنا في بيوتنا، أليس هذا اشتراء للضلالة؟ أليست هذه هي النفسية التي حكى الله بأن اليهود يحملونها؟ ﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ إذن هذه واحدة أخرى.

في الوقت نفسه هل هناك أحد يقدم هدى يصرخ في وجه هؤلاء؟. لا.. لأننا حتى وإن كنت تحمل اسم مؤمن أنت في نفسك قابل لأن تروض حتى يصبح كل شيء أمامك طبيعيا وغير مثير، يصبح كل شيء أمامك طبيعياً لدرجة - كما يقول لنا البعض - أنه فعلاً في البلدان التي أصبح سفور المرأة شيئاً طبيعياً تجد هناك عالم دين، وخطيب وإمام جامع، زوجته وابنته متبرجة وسافرة! وهو من يأمر الناس بالتقوى في المسجد، وهو من ينطلق على شاشة التلفزيون ليعمل في برامج دينية تقدم للناس، وزوجته وبناته متبرجات!.. هكذا يروض الناس أنفسهم حتى تصبح الضلالة لديهم مقبولة.

لكن الله سبحانه وتعالى لا يتعامل معنا ونحن نضل، كما نتعامل نحن مع الضلالة، كل

شيء مرصود، وعقوبات الأعمال كلها تحصل حتى وإن كنت تراها شيئاً عادياً وغير مثير. هذا فيما يتعلق بالجانب الأخلاقي، ومن الجانب الأخلاقي فساد المرأة هو مما استخدمه الإسرائيليون وكانوا يغرون ولا يزالون يغرون به العملاء من فلسطين ولبنان وغيرهما.

لو تقرؤوا قصصا لعملاء فلسطينيين ولبنانيين تحولوا إلى عملاء وكان من أكثر الأشياء إغراءً لهم النساء والمال فيتحول إلى عدو يتنكر لدينه، ويعمل على أن يغتال ويُغتال على يديه العظماء من الأحرار الذين يحاربون من أجل شرفه، ومن أجل وطنه.

ج- ينبغي أن نتأسى بأنبياء بني إسرائيل وليس بالمفسدين منهم:

نجد أن نبياً من أنبياء الله العظماء وهو من بني إسرائيل جعله الله مثلاً للعفة، مثلاً للنزاهة على الرغم من جماله البارع، على الرغم من شبابه المكتمل، وعلى الرغم من الأجواء المهيأة الكاملة لفساد أخلاقي، لفاحشة يرتكبها.. فإذا به يصبح مثلاً للعفة، نبي الله يوسف، سورة يوسف، قصة يوسف في القرآن الكريم هي مثل للعفة، مثل للطهارة، نبي الله يوسف هو مثل لكل شاب مهما رأى نفسه في المرآة جميلاً، الكثير من الشباب متى ما تصفح وجهه في المرآة فرأى شعره جميلاً، وشكله مقبولاً انطلق هنا وهناك، وراء البنات، انطلق وهو بكل غرائزه مستعد لأن يسقط في مستنقع الرذيلة.

إن نبي الله يوسف الذي قد يكون ربما أجمل إنسان خلقه الله، وكان في وقت مكتمل الشباب، هو من قال عندما اجتمعت (المصريات) عليه وبعد أن بهرهن جماله، وقطعن أيديهن، وهددنه بالسجن إن لم يقبل ما يردن منه قال: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف:٣٣] هذا هو الشاب التقي الطاهر، أليس من بني إسرائيل؟ نقول لشبابنا، نقول لشاباتنا، نقول لبنينا وبناتنا في كل مكان: أنتم وراء من تسيرون؟ وبمن تقتدون؟ كلنا - سلمنا - وراء بني إسرائيل.. لكن وراء من؟ إنكم تسيرون وراء أولئك الذين يبيعون بناتهم، ويبيعون أعراضهم من بني إسرائيل.. لماذا لا تسيرون بسيرة يوسف نبي الله (عليه السلام)؟. لماذا لا تسيرون هذه السيرة لتحصلوا على ما وعد الله به نبيه يوسف عندما قال: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف:٢٢]؟

كونوا محسنين بعفتكم، كونوا محسنين بطهارتكم وستحصلون على الحكمة، وستحصلون على العلم، العلم الذي تزكو به نفوسكم، والعلم الذي تبنون به أمتكم، العلم الذي تبنون به اقتصادكم وحياتكم. أما أن تسقطوا في مستنقع الجريمة، وتسيرون وراء أولئك الذين يريدون أن تضلوا السبيل، أولئك الذين هم أعداء لكم، فإنهم يعلمون علم اليقين أنكم عندما تسيرون في هذا الطريق، وتسقطون في هذا المستنقع فإنكم ستكونون وسيلة لضرب نفوسكم، وضرب أمتكم، وضرب شعوبكم، وأنكم ستكونون وسيلة لتدمير أنفسكم، وتدمير أمتكم، وأنكم ستصبحون أجساداً لا قيمة لها يدوسونها بأقدامهم وهي تبتسم، وتقبّل تلك الأقدام. وهكذا متى يمكن أن تتوقع لشاب همه أن يجري وراء البنات سواء في ساحات الجامعة، أو في الشوارع، هل تتوقع لشاب نفسيته غارقة في هذا المستنقع أن يحمل همّ أمة؟!.، أن يتألم إذا ما قلت له اليهود يدوسونك بأقدامهم؟!. إنه لا يهانع أن تدوسه يهودية جميلة بأقدامها اللينة مباشرة!!. فكيف تريد منه أن يتحرك؟. سيقبل قدما تدوسه، وهم فعلاً قد يصلون بالشباب إلى هذه.

بعد أن تصالح معهم المصريون، وبعد أن أقامت مصر معهم مصالحة، وتبادلاً دبلوماسياً هل أصبحت مصر تنعم بالسلام مع إسرائيل؟ أم أصبحت تعاني معاناة شديدة من الفساد الذي يريد الإسرائيليون أن يصل إليه شباب مصر أكثر مما قد وصلوا إليه؟ وفساد من ذلك الذي يحمل الدولة عبئاً مادياً كبيراً، فساد بثمن، فساد بأموال كثيرة، نساء ممن هن مصابات بمرض (الإيدز) ينتشرن في أوساط الشباب المصري، الشاب الذي يصاب بمرض (الإيدز) هل سيعود له أثر في بناء الحياة، أم سيصبح عبئا على الدولة والمجتمع؟. ألا تجد الدولة نفسها مرهقة فيما بعد وهي تعمل على مكافحة (الإيدز)؟. وهي تعمل على حجز من يصابون بمرض الإيدز، فتتحمل كامل نفقاتهم، وتتحمل كلما تفرضه وضعيتهم السيئة، هم يريدون أن نضل السبيل، ثم أن يكون ضلالنا أيضاً مما ينهكنا اقتصادياً، هكذا يعمل اليهود وبخبثهم الشديد، وهكذا نحن نجري وراءهم وليس وراء أنبيائهم، أنبيائهم العظماء.

المبحث الثاني: مغالطاتهم الثقافية

١- تقديم الدين باسم قوميتهم (يهودية، نصرانية):

تسمية الدين باسم قوميتهم ليست مسألة جديدة بل هي من قبل بعثة الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ولذلك رد الله عليهم في كتابه الكريم وبين بأن ما لديهم هو عبارة عن أهواء وليس ديناً، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى﴾ [البقرة: ١٣٥] انظر الفارق الكبير إبراهيم وإسماعيل يقولان: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨] ويطلقون هذا الاسم على ذريتهم: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨] يوصون أولادهم بأن يكونوا مسلمين لله. وهؤلاء قدموا عنواناً جديداً من داخلهم: كونوا هوداً، والنصارى قالوا: كونوا نصارى تهتدوا! إذاً أليست هذه مخالفة واضحة، هذا عنوان للدين مختلف تماماً، أي وصلت المخالفة إلى درجة المخالفة في الدين بكله، في عنوانه بكله؛ كونوا هوداً، قال أولئك: كونوا نصارى!.

﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ وتلك الملة كانت إسلام ﴿فَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ وآباؤكم أعطوا هذا العهد عندما قالوا: نعبد إلهك وإله آبائك، وأبوكم الأول الذي اسمه إسرائيل وهو يعقوب لم يفارق أولاده إلا بعد أن أقروا أمامه في اللحظة الأخيرة أن يكونوا مسلمين، وهؤلاء معهم عناوين أخرى: كونوا هوداً، كونوا نصارى! ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٣٥] أي وصلت الحالة فيهم إلى الشرك داخل اليهود، وداخل النصارى.

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٦] خطاب للمسلمين، قد يكون بشكل رئيسي خطاب للمسلمين: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٣٦] يعني القرآن الكريم: ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ١٣٦] أليست هذه أفضل طريقة؟ يعني أحجموهم، هوداً أو

نصارى؟ لا، هذا العنوان كله شامل، ماذا بقي بإمكانه أن يقول لك اليهودي والنصراني من بعد؟ ماذا يستطيع أن يقول لك بعد؟.

﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ وهو القرآن، وهذا هو التسليم لله، هذا هو الإسلام، وهذه هي ملة إبراهيم: ﴿بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

هذه الإجابة تفحم الطرف الآخر، هذه هي الإجابة الصحيحة، وتتكرر في مقامات كثيرة، فعندما يقولون: ديانات سماوية، اليهودية ديانة سماوية، النصرانية ديانة سماوية، الإسلام ديانة سماوية باعتبار أن هذه كلها ديانات، قل لهم: لا، هذه هي القضية الأساسية: نحن مسلمون ليس فيه اعتراف بيهودية، ولا اعتراف بنصرانية: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وما أنزلَ إِلَيْنَا وما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦] لأنك بهذه تشهد على أنهم هم مفصولون عن المسيرة هذه حتى في عنوان الدين، عنوان الدين من بدايته إسلام لله، والإسلام لله مقتضاه: تقبل ما جاء به أنبياء الله، والتسليم لله: بأن ندين في أي جيل بما يريد أن ندين به؛ لأن الدين هو لله، الدين هو لله سبحانه وتعالى.

إذاً لا يوجد ديانات سماوية، وخطر كبير عندما يكون هناك من يعممه: اليهودية، النصرانية والإسلام كلها ديانات سماوية، وكلها نعترف بها! هذه للأسف انتشرت في أوساط المسلمين، وخطيرة جداً هذه عندما يقبلونها، ولما كانت هذه خطيرة فإن الله يعلّم المسلمين كيف يقولون؛ لأن اليهود قالوا: كونوا هوداً، النصارى قالوا: كونوا نصارى، هذا نموذج لما يمكن أن يقولوه، فإذا كان لا يقبل في زمن من الأزمنة أن يقولوا للناس: كونوا هوداً، قد يقولون شيئاً آخر، يقولون: هذه ديانة سماوية، وهذه ديانة سماوية، اعترفوا بها مع الديانة التي أنتم عليها، ويعممونها بطريقة أخرى.

قل أمام كل ما هو من هذا النوع من المقولات: ﴿قُولُوا﴾ خطاب للمسلمين بشكل عام: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ [البقرة: ١٣٦] أي إيمان بالرسل وإيمان بالكتب، نحن مؤمنون بالتوراة، ومؤمنون

بالإنجيل، ومؤمنون بالزبور، ومؤمنون بصحف إبراهيم، ومؤمنون بكتب لا نعلم ما هي أسماؤها مما أنزل على أنبياء آخرين، هذا هو الإيمان الحقيقي، لكن أؤمن باليهودة، وأؤمن بالنصرنة هذه عناوين أخرى لا علاقة لها بدين الله، ديانة هي: مجموعة أهواء، مجموعة ضلالات، انحرافات عن ملة إبراهيم، عن التسليم لله، خروج عن الميثاق الذي أعطاه أسلافهم لله والذي أخذ أجدادهم على أبنائهم أن يكونوا مسلمين لله، ويأتي ليقول لك: ديانة سماوية! نحن لا نعترف بأن اليهودية ديانة سماوية، ولا نعترف بأن النصرانية ديانة سماوية؛ لأنها قوميات وليست ديناً، نحن نؤمن بما أنزل على موسى، وما أنزل على عيسى، وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق... إلى آخره.

ويقول عنهم في آية أخرى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى﴾ أي: قالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كانوا هوداً، والنصارى قالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ مجرد أماني وأكاذيب ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة:١١١].

ثم يقدم المسألة بأن دين الله ليس قومية، وليس - فقط - ديناً لقومية أو لعنصرية أو لفئة معينة، فدين الله يتسع للجميع، وهم أصبحوا منزوين على أنفسهم وسموا الدين باسم قوميتهم، وأصبحت اليهودية تعني ديناً، وجعلوا دين الله وشريعة عيسى أيضاً قومية؛ والله أنزله للبشر جميعاً، وجعل اسمه عنواناً لا يرتبط بقومية على الإطلاق (إسلام) والإنسان الذي يدين بدينه يعني: أسلم وجهه لله: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ [البقرة:١١٢] والدين ليس ديناً يمكن أن يطلق عليه عبارات قومية وعبارات عنصر معين (يهودية نصرانية) كما لا يصح أن تسمي الإسلام عربية.

فدين الله يحمل عنواناً فوق هذه الأشياء كلها، ويستوعب الأشياء كلها ومفتوح لماذا؟ لأن العنصرية والقومية تشكل عوائق أمام الآخرين؛ لأنه في الأخير يترافق معها تثقيف عنصري وتثقيف قومي.

﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [البقرة:

(١١١، ١١٢] لاحظ كيف رفع العبارة تماماً عن موضوع القوميات: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ فليكن من داخل مجتمع اليهود أو مجتمع النصارى أو مجتمع العرب أو الفرس أو الأفارقة أو من أي منطقة كان ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:١١٢] أليس هذا رداً عليهم، ويبين خطأهم في أنهم مزّقوا الدين وحولوه إلى قوميات وعنصريات، ثم يتشاجرون هم على الجنة، والقضية ليست كذلك. فالجنة جعلها الله على هذا النحو: ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [البقرة: ١١٢] وكلمة ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ أخضع نفسه، وعبَّد نفسه، ومن كان على هذا النحو سيكون قابلاً لأن يسير على هدي الله، ويأتمر بأوامر الله وينتهي بنواهيه، ويتوجه بتوجيهاته سيدخل الجنة.

ولهذا كان هذا العنوان مهمّاً جدّاً بالنسبة لدين الله الذي هو لعباده جميعاً، أن يحمل العنوان الذي يمثل الإسلام، وتجد كلمة إسلام لا تعني قومية معينة ولا تعني عنصراً معيناً ولا تعني لوناً معيناً أبداً.

وعندما ترجع مثلاً إلى موضوع: أن القرآن عربي، والرسول عربي، ويقول عن العرب: ﴿جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة:١٤٣] فليس المعنى انطلاقات قومية أبداً، معناه ماذا؟ النهوض بمسؤولية، وهذه المسؤولية كلها لتصل بهذا العنوان، وهو (الإسلام لله)، ليس المعنى: أن العرب أنفسهم يتحركون ليحتلوا - هم كعرب - بلدان الآخرين وامتيازاتهم كعرب فيما يتعلق بثروات الآخرين وشركاتهم كعرب، لا يوجد، هي مسؤولية أن ينهضوا بها هم. إذن عندما تكون القضية مبنية على أساس أن هذا فعلاً هو دين للعالمين جميعاً ويهدي للتي هي أقوم، والعالم يحتاج إلى لغة واحدة لغة عالمية، فأن يربط هذا الكتاب الذي هو للناس جميعاً بأرقى لغة والله يعلم بأنها أرقى لغة وأفضل لغة يعني: ربطهم بلغة عالمية، لم يربطهم بقومية أبداً.

أمثلة: كثير من الشباب أصبح يعجب بقادة غربيين وشرقيين مثل ماركس ولينين وفلكاسترو وربنية وسقراط و...الخ وهم قادة كفار ولكن قلة الوعي والمعرفة بالقادة العظماء من المسلمين وتحرك اللوبي الصهيوني في تلميع وترميز هؤلاء أصبح المسلمون ينجرون نحوهم وتركوا تراثهم وتاريخهم المشرف من قادة ومسلمين عظماء.

٢ - أكذوبة الأرض المقدسة:

عندما تأتي أنت لتقرأ بعض كتب التفسير في قول الله تعالى عن موسى: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٢١] هؤلاء المفسرون يعطون اليهود وثيقة بأيديهم، الأرض المقدسة التي كتب الله لهم قالوا: هي أرض الشام! هي أرض الشام!. هذه العقلية سواءً لمفسر أو محدث بعيدة عما هدى إليه القرآن.

عندما يقول: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٢١] الأرض المقدسة هنا لم يفصلّها، ذكر في آية أخرى ذكر قرية، ذكر هنا الأرض المقدسة مبهمة، لكن مفسرين مسلمين جاؤوا ليقولوا: هي بلاد الشام! أليس هذا من الأخطاء الكبيرة، يقول: بلاد الشام، من أين علم؟ الله يقول هنا أرضاً مقدسة، لا أحد يدري بالتحديد ما هي، وأنت تأتي تعطيهم مساحة، بلاد الشام والتي تعني ماذا؟ فلسطين ولبنان ومعظم ما يسمى بلاد الشام، فعلاً بعض المفسرين يأتي يفسرها هكذا، قد يكون يعتمد على إسرائيليات، على ناس من بني إسرائيل يفسرونها، ونفس الآية توحي عندما قال: ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾ إنها مدينة فعلاً، الأرض المقدسة أنها منطقة محدودة عندما قال: ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾ أليست هذه توحي بأنها قرية؟ كيف يأتي مفسر ويجعلها بلاد الشام؟!.

٣- نشر المذهبية والطائفية:

ذكر الله سبحانه وتعالى عن اليهود توجههم للتفريق، يستخدمون سياسة التفريق، أليسوا هم من يستخدمون الفرقة المذهبية؟ يعززون الفرقة المذهبية التي بين المذاهب؟ هم كما يقال وراء تأسيس عدة طوائف: الوهابية في الحجاز، والبهائية في إيران من قبل، والقاديانية في الهند وفي باكستان، عدة طوائف، هم أسسوها.

وانظر كيف كانت الطائفة الوهابية تتحرك في الدنيا كلها، ألم يكونوا يتحركون في الدنيا كلها؟ بكل هدوء، وبمعنويات مرتفعة، ولا يخافون شيئاً؛ لأنه ليس هناك من يخافون منه، هم لا يخافون أمريكا، ولا يخافون أحداً، هم من جندوهم، تحركوا في الحجاز، وفي اليمن، وفي باكستان،

وفي الجزائر، وفي مصر، وفي مناطق كثيرة، ودعموا بسخاء من عملاء أمريكا في المنطقة.

هم يعرفون بأن تفرق المسلمين، سواء كانوا بشكل مذاهب، أو تفرق أبناء المذهب الواحد، هي قضية خطيرة جداً، ومظهر ضعف، لا يمكن لأمة على هذا النحو أن تعمل شيئاً لدينها، ولا لنفسها، ولذلك عملوا على نشر ثقافة الفرقة والاختلاف وترسيخها بشكل كبير ولكن لأننا أيضاً لا نفكر في الخروج من هذه الوضعية، وما تزال مدارسنا وجامعاتنا للأسف تنتج الثقافة المفرقة في حلقات العلم، في المساجد، وفي الهجر، وفي الجامعات، وفي المعاهد وغيرها.

المبحث الثالث:

اللوبي الصهيوني يقود أخطر مؤامرة على أمتنا

من المعلوم قطعاً أن لا مصلحةَ أبداً في كُلّ ما يحدث في منطقتنا إلا لطرف واحد، هذا الطرف هو الذي يسعى فعلياً إلَى استهداف الأُمَّـة جمعاء، هذا الطرف يتمثل بالصهاينة، يتمثل باللوبي اليهودي الصهيوني في العالم يتمثل في أمريكا وإسْرَائيل، ويتمثل في هذا اللوبي الذي يقودُ السياسة الغربية ويتحكم بها ويجرُّها إلَى مثل هذا الصراع، وإلى صناعة كُلّ هذه الأحداث. حينما أتت أحداث الحادي عشر من سبتمبر فهي أتت أساساً وصُنعت أساساً لتكون الذريعة البارزة لانطلاق أخطر وأكْبَر مؤامرة على أمتنا في كافة شعوبها أوْ بلدانها وفي أكْبَر عملية تضليل وخداع. ولذلك كان الكاتب الفرنسي مصيباً عندما كتب كتابه عن أحداث الحادي عشر وسمّى هذا الكتاب، وهو يصف ما حدث "بالخدعة الكبرى".

فعلاً أكْبَر عملية تضليل جعله عنواناً لتَحَرّك خطير جداً يستهدف أمتنا بشكل غير مسبوق وإلا فالأُمَّـة مستهدفة على طول تاريخها لكن هذه المرحلة من الاستهداف مرحلة غير مسبوقة وهذا الاستهداف وصل إلَى مراحل متقدمة تمثل خطراً كبيراً على وجود الأمة، وجودها السياسي، وجودها الثقافي، وجودها الحضاري، وجودها بكل ما للكلمة من معنى، هذا التهديد هو تهديد يسعى إلَى تقويضِ الأُمَّـة بالكامل إلَى هدم كُلّ معالمها، إلَى إسقاط كُلّ بناها على كُلّ المستويات، إلى تهديم كُلّ شيء في مقابل وضعيه سيئة على المستوى الداخلي للأمة وضعيه جعلت من واقع الأُمَّـة مسرحاً مفتوحاً يساعد على نجاح المؤامرات كافة، كُلّ مؤامرات الأَعْـدَاء.

١- واقـعُ الأمة:

واقعٌ ليس محصناً بالوعي ولم يعد محصناً بالقيم عمل هذا الواقع السيئ منذ فترة طويلة أثّر تأثيرا سيئا في واقع الأمة، المسار الداخلي للأمة في السياسات والتوجهات، كان كذلك عاملاً مساعداً إلَى حد كبير في أن تصل الأمة إلَى واقع يطمع أعداؤها فيها، بل ويقدم صورة عن الواقع للأَعْـدَاء على أنه يمثل فرصة كبيرة جداً يرون فيها الأهمية الكبرى؛ لأن تستغل

استغلالاً إلى أقصى حد، هذا ما يفعلونه هم يستغلون هذا الواقع السيء جداً والمتردي ويعملون ما يشاؤون ويريدون.

أمام هذا الخطر الكبير والتحدي غير المسبوق والشامل للأمة كُلّ الأُمَّـة أحوج ما تكون إلى التحرك بالمشروع القُرْآني، فهذه مرحلة الأُمَّـة فيها أحوج ما تكون إلى العودة إلى القُرْآن من جديد إلى القُرْآن الذي هو كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَـالَى، الذي هو الهدى ﴿يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ الذي هو النور الذي يمكن أن تستضيء به الأُمَّـة في مواجهة كُلّ الظلمات بل لإخراج الناس من الظلمات، القُرْآن الكريم الذي تحتاج الأمة إليه في مواجهة تَضْلِيل بهذا المستوى، تَضْلِيل رهيب ومن جهة لديها خبرة هائلة جداً وقدرات كبيرة جداً في عملية التَّضْلِيل والخداع، وفعلا انطلت هذه الخدعة على الكثير الكثير في العالم في منطقتنا وخارج منطقتنا على مستوى العالم العربي والإسْلَامي وعلى المستوى الدولي.

القُرْآن الكريم هو الضمانة الوحيدة التي يمكن أن تعتمد عليها الأمة وهو كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَـالَى عنه (لاَ رَيْبَ فِيهِ) وقال ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا، لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ يتضمن الحقائق التي لا يمكن أن تتخلف ولا أن تتبدل إطلاقا يقدم الهداية الكافية للأمة وهو كتاب الحياة يتناول مشاكل الحياة وواقع الحياة وهموم هذا الإنْسَـان وما يمكن أن يواجهه هذا الإنْسَـان من تحديات ومن أخطار ومن مشاكل وفي نفس الوقت هو يرسم للإنْسَـان معالم الحق ويرشده إلى الصراط المستقيم ويدله على السعادة.

بل إن سعادتنا كبشر مرهونة باتباع هدى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَـالَى لا يمكن أن تتحقق السعادة إلا بذلك وهذا واضح.

هذه القوى العالمية وفي طليعتها وعلى رأسها أمريكا وإسْرَائِيل ومن معها بكل ما تمتلكه من قدرات مادية وإمْكَانات هائلة وهيمنة ونفوذ وقدرات وتسلّط، هل جلبت السعادة للبشرية أم أنها جلبت الشقاء في واقع البشرية وكل ما ازداد نفوذها وازدادت هيمنتها كُلّ ما ازداد شقاء البشرية كُلّ ما ازدادت معاناة بني البشر كلما أرهقت الناس بالكثير والكثير من الأزمَات والمعاناة.

فهدى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَـالَى هو النور هو المشروع الذي يمكن أن يرتقي بالإنْسَـان ليؤدي دوره كما أراد الله له وأن يحافظ في نفس الوقت على إنْسَـانيته على قيمه على وجوده

المقدس والمميز كخليفة لله في أرضه، القُرْآن الكريم عندما نعود إلى واقع الأمة الإسْلَامية واقعها بذاته يشهد على أنها هَجَرَتْ هذا الكتاب في مقام الاهتداء به والاسترشاد به، في واقع حياتها، القُرْآن بقي كتاب يقرئ صوت مسموعاً لكنه في مقام الإتّباع في مقام الاهتداء في مقام الاسترشاد به في مقام العمل به غُيّب إلى حد كبير غُيّب معظمه تُرك أكثره بقي منه أقل القليل وفصل عن بقية الأمور وما بقي فصل عما له ارتباط وثيق به لا يتأتى به نفع ولا يحصل منه فائدة إلا به فبقي هذا القليل مجرداً على النحو الذي لا يفيد أية فائدة أوْ فائدته محدودة للغاية فأصبح واقع المسلمين واقعاً مأساوياً وسيئاً وكارثياً، وأصبح حالة الأُمَّـة على النحو الذي أطمع أعدائها فيها فرأوا فيها فريسة سهلة يمكن أن يفعلوا بها ما يشاؤون ويريدون ممكن أن يتآمروا عليها بكل أشكال وأنواع المؤامرات ثم تنجح كُلّ تلك المؤامرات.

حينما نعود إلى القُرْآن الكريم كتاب هداية كتاب نور كتاب بصائر كما قال الله عنه ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾، ثم نرى أن أمة القُرْآن أمة هذا الهدى هذا النور هي أعمى أمه على الأرض هي الأُمَّـة التي لا تمتلك القليل من الوعي في معظمها الحال السائد الحال الغالب وإلا فهناك البعض من المتنورين في داخل هذه الأُمَّـة في مختلف البلدان ولكن الحال السائد والغالب والمؤثر والحاكم على واقع هذه الأُمَّـة هو هذا العمى هذا التيه هذا الجهل الذي جعل منها فريسة سهلة، أمة طيّعة لأعدائها، فمؤامراتُ أعدائها عليها ومجهود أعدائها في استهدافها غير مكلف، يعني لا يلاقي الأمريكي ولا الإسْرَائيلي لا يلاقي العناء، ولا يجد المسألة معقدة أمامه؛ لأن ينجح في تنفيذ مُؤَامَرَات هنا أوْ هناك في هذا القُطر أوْ ذاك في معظم بلدان المنطقة، لماذا؟! لأن أمامه ساحة غير محصّنة، ساحة مفتوحة، لا يوجد أمامه أيُّ عوائق لا وعي ولا بصائر ولا من القيم ولا من الأَخْلَاق ولا من أي شيء.

فلذلك كان هذا الواقعُ سهلاً بالنسبة للأَعْـدَاء، القُرْآن الكريم من أهم ما فيه ومن أعظم ما تحتاج إليه الأمة هو أنه حدَّدَ لهذه الأُمَّـة مَن هم أَعْـدَاؤها، هذه مسألة من أهم المسائل هذا اللبس الذي حصل لدى الكثير من أَبْنَاء الأُمَّـة في معرفة مَن هو العدو ترتب عليه نتائج خطيرة جداً في واقع الأُمَّـة هيّأ الكثير والكثير من أَبْنَاء الأُمَّـة أن يُطوّعوا وأن يُوجّهوا وأن يُحركوا وأن يدفع بهم

في خندق لمصلحة الأعْـدَاء في الاتجاه الذي يخدم الأعْـدَاء في أن يصنع للأمة أعْـدَاء آخرين غير أعْـدَائها الحقيقيين بأن توجهَ كُلُّ طاقات الأمة أوْ معظم طاقات الأُمَّـة في الاتجاه الخطأ.

٢- العـدوُّ الأولُ للأمـة:

القُـرْآنُ الكريمُ حينما شخَّصَ للأمة مَن هو العدو الذي يشكل الخطورة الأكْبَر على الأُمَّـة هو بذلك إنما يقدم للأمة البصيرة الكافية تجاه مسألة من أخطر المسائل التي واجهت فيها الأُمَّـة التَّضْلِيل الكبير وفي الوقت نفسه الانحراف الكبير، لقد تحدث القُـرْآن الكريم عن أعدائنا كأمة مسلمة بإسْـلَامنا بقُـرْآننا بقيمنا بأخْـلَاقنا، حدد لنا منهم أعْـدَاؤنا، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَـالَـى وهو العليم بنا، العليم بالبشرية، والعليم بواقع البشر جمعاء، العليم بمن هم أعْـدَاؤنا وكيف هم أعْـدَاؤنا وما يمكن أن يشكّلوه من خطورة وكذلك ما نحتاج إليه في مواجهة أولئك الأعْـدَاء وفي مواجهة التحديات الآتية من جانبهم.

اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَـالَـى هو العليم عالم الغيب والشهادة الذي يعلم السر في السموات والأرض من قاعدة: (والله أعلم بأعدائكم) هكذا قال تعالى، فإذا جاء محلل سياسي أوْ مركز دراسات أوْ أمير أوْ ملك أوْ رئيس أوْ قائد أوْ أين كان ليقدم رؤيته للأمة ويشخص للأمة مَن هم أعْـدَاؤها فإن اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَـالَـى الذي هو أعلم من كُلّ أحد عالم الغيب والشهادة المحيط خبراً بكل خلائقه قد قدّم للأمة بحقيقة بعلم بخبر قدّم للأمة وحدد للأمة مَن هم أعْـدَاؤها الحقيقيون، ولذلك قال سُبْحَانَهُ وَتَعَـالَـى في كتابة الكريم ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾، في المرتبة الأوْلَى قبل كُلّ عدو، أعدى عدو لهذه الأُمَّـة مَن هو؟ حسب القُـرْآن الكريم اليهود في المرتبة الأوْلَى.

وهذا ما وجدناه واقعاً ووجدناه حقيقةً لا ريب فيها، ووجدنا كُلّ الواقع يشهد له اليوم يقف اللوبي الصهيوني والكيان الصهيوني الذي انشأ إسْرَائِيل وكوّن إسْرَائِيل وله نفوذه اليوم في العالم الغربي وأصبح له نفوذه اليوم أيضاً في الشرق هذا اللوبي اليوم هو الذي يتَحَـرّك وبكل خبث وبكل حقد ويصنع الكثير والكثير من المؤامرات تجاه أمتنا بل إنه في توجهاته وسياسته ومواقفه وحقده ونزعاته إنما هو يمثل خطراً على الاستقرار العالمي بكله حتى على البلدان الغربية ذاتها، اللوبي الصهيوني اليهودي هو يمثل الشر في هذا العالم هو الذي يحرك كُلّ الفتن

والمؤامرات والدسائس هو الذي يهندس لكل مشاكل العالم على كُلّ المستويات يصنع الأزمَات سواء على المستوى السياسي أوْ على المستوى الاقتصادي.

هو الذي يسعى للتفريق بين بني البشر تحتَ كُلّ العناوين وإثارة النزاعات بينهم تحتَ كُلّ العناوين هو يرى أنه لا يتمكّنُ من إخضاع العالم له من اخضاع البشرية له من السيطرة على الجميع إلّا بسياسة التفريق إلا بهد الكيانات وهدم المجتمعات وتدمير كُلّ البنا البشرية وهو يتَحَرّك على هذا النحو موظفا بخبثه وقدراته التَّضْلِيلية قدراته في الخداع موظفا كُلّ إمْكَانات الآخرين.

بل إنه أحياناً يشغّل ويفعّل الكثير من الكيانات بأن تضرب نفسها بنفسها وأن تضربَ داخلها ببعضها البعض وهكذا يفعل وهكذا يعمل وموقف القُرْآن الكريم ليس موقفاً عنصرياً من اليهود أوْ من بني إسْرَائِيْل لعرقٍ أوْ لنسبٍ وليس موقفا قومياً إنه يتجه إلَى توصيف أعمالهم إلَى توصيف سياساتهم إلَى توصيف اتجاهاتهم إلَى تشخيص نفسياتهم إلَى توضيح ما هم عليه وكشف ما هم عليه من توجُّهات عدائية وأطماع رهيبة وحقد كبير على البشرية من حولهم.

٢- مكامنُ خطورة اللوبي الصهيوني:

كشَفَ الواقعُ أن اللوبيَّ اليهودي الصهيوني الذي له كُلُّ هذا النفوذ في العالم وهو نفوذٌ نتيجةَ عملٍ متراكِمٍ على مدى قرونٍ من الزمن، جُهد وعمل وخطّط بعيدة المدى اشتغل عليها جيلاً بعد جيل حتى وصل إلَى هذه النتيجة إلَى هذا المستوى من النفوذ الكبير والتأثير الكبير في السياسة العالمية في التوجه العالمي أصبح اليوم النفوذ اليهودي الصهيوني والتأثير اليهودي الصهيوني أصبح عالمياً، أصبح شاملاً، وأصبح فاعلاً إلَى حد كبير هذا كله بقدر ما أثر في واقع المسلمين أثر في واقع العالم كُلّ العالم، اخترق المجتمعات الغربية، واخترق أيضاً مجتمعاتنا الإسْلَامية.

واليوم نجدُ ما يفعله في واقعنا العربي أن أول مكامن خطورة اللوبي اليهودي الإسْرَائِيْلي الصهيوني هي في قدرته الرهيبة على التَّضْلِيْل والخداع والتطويع ولعلّ هذا من أكْبَرَ ما أعطاه التأثير الكبير في واقع العالم في السياسة العالمية في واقع مختلف الشعوب ومختلف الدول في الكيانات الكبرى في العالم قُدرة هائلة على الاختراق وقدرة هائلة على التأثير في السياسات والمواقف وعلى كُلّ المستويات إن أردت على المستوى السياسي أوْ الاقتصادي أوْ على المستوى العسكري وهو الذي يهندس للكثير من الحروب كما هو الذي يهندس للكثير من الأزمَات

الاقتصادية يؤثر في السياسة ويؤثر في الاقتصاد ويؤثر على مستوى التوجه العام في الواقع العالمي، هذه القُدرة الرهيبة على التَّضْلِيْل والاختراق والتطويع أن يحول الآخرين إلَـى مطيعين له، بل أحياناً إلَـى أن يدفع بهم أوْ بعض الكيانات بأن تتسابق فيما بينها مَن ينجز أوْ ينفذ بعضَ المؤامرات وَالمكائد بعض المشاريع وَالأجندة التي هي في حقيقة الحال لصالحه هو فيقدمها إلَـى الآخرين ويوجدها أوْ أحياناً يصنعها في داخل الآخرين في داخل كياناتهم ويوصلها إلَـى ذوي القرار منهم حتى تصبح بالنسبة لهم أملاً كبيراً وأملاً مغرياً فيَتَحَرَّكون بكل ما يستطيعون من أجل انجازها.

نحن في واقعنا الإسْـلَامي نحدث الله سُبْحَانَهُ وَتَعَـالَـى كثيراً في القُـرْآن الكريم عن هذه الجهة التي تمثل خطورة بالغة علينا كمسلمين وعلى الواقع العالمي من حولها تحدث عن هذه الطائفة في مخططاتها في مؤامرتها، ومن ضمن ذلك قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَـالَـى ﴿وَدَّتْ طَّائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾، وبالتأكيد تحت هذا الود تحت هذه الرغبة تحتها إرادة تحتها مشاريع عمل تحتها مؤامرات تحتها أنشطه برامج كثيرة عمل واسع لو يضلونكم.

وبالمفهوم أوْ بالمعنى العربي للضلال هو الضياع في كُلّ المجالات، هنا تُشخَّصُ لنا في القُـرْآن الكريم السياسة الرئيسية التي يعتمد عليها ذلك العدو الذي يمثل خطورة بالغة على الأُمَّـة أنه يسعى إلَـى تَضْلِيْل الأُمَّـة في كُلّ شيء إلَـى ضياعها في كُلّ شيء على المستوى السياسي على المستوى الاقتصادي وعلى كُلّ المستويات ويعمل من أجل ذلك الكثير والكثير والكثير من أخطر ما يمتلكه هذا العدو هو قُدرته على التَّضْلِيْل وعلى الخداع وعلى صناعة الرأي العام وعلى التوجهات وعلى التصوُّرات وعلى صناعة نظرة معيّنة غبية وحمقى تجاه الكثير من الأحداث، قدرته على أن يصنع الحدث وعلى أن يوظِّفَ الحدثَ ويستغل الحدث كما يشاء ويريد ونحن نجد في مثل أحداث الحادي عشر من سبتمبر بالتأكيد هو من صنع هذا الحدث ووظّفه إلَـى أعلى مستوى.

النكبات التي حلت بعالمنا الإسْـلَامي وإلى اليوم أليست نكبات كبيرة؟ التبعات الهائلة تحت ذلك العنوان وباسم ذلك الحدث على هذه الأُمَّـة؟، ألم تصل بالأمة إلَـى هذا الواقع المأساوي والكارثي إلَـى هذه الأزمَات المتفاقمة، بل يصنع الحدث بمسمى القاعدة وبما فرخ فيما بعدُ من تشكيلات ومسميات عن القاعدة، داعش، وتشكيلات كثيرة ومسميات كثيرة نسمعها في وسائل الإعلام يومياً، اليوم أي دورٍ تؤديه هذه المسميات هذه التشكيلات

بأنشطتها العدائية والإجْـرَامية في داخل أمتنا لمصلحة من تعمل ثم كيف هو التعاطي الغربي سواء من جانب الأمريكيين أوْ من جانب حلفائهم أوْ ما هو واقع إسْرَائيْل تجاه كُلّ هذه الأحداث ما الذي تهددها من خطر تجاه هذه الأحداث.

قليلٌ من التفهم، قليلٌ من التأمل تصنعُ عند الإنْسَـان يقيناً تاماً وبصيرةً عالية أن كُلّ هذه لعبة، صحيحٌ أدوات من داخل الأمة، الكثير الآلاف المؤلفة مِمَّن ينتمون إلَـى الإسْـلَام والبعض منهم قد يكون مخدوعاً قد ينطلق وهو يتفانى ويستبسل لمصلحة من يعمل حتى البعض قد يفجِّرُ نفسه وهو ينفذ عملية انتحارية في سوق أوْ في مسجد أوْ في مدرسة أوْ في أي مكان يستهدف المسلمين الآمنين المظلومين، هو لا يدرك أين هو ماذا يفعل لمصلحة مَن يفعل هذه الجريمة أو تلك ويضحّي لخدمة من.

٤- أدواتُ العدو من داخل الأمة:

إن الخطر الصهيوني هو في أن يخترق الأُمَّـة من داخلها، هو لا يحتاج إلَـى أن يخسر وأن يقدم المال وأن يقدم العناصر البشرية أن يضحي هو، هو من يحرك الآخرين حتى يضحوا هم في سبيل ما يخدمه حتى يقدموا هم المليارات في سبيل ما يفيدُه حتى يتَحَـرّكوا بكل جد وتوظّف في كُلّ ذلك كُلّ الإمْـكَانات وتقدم كُلّ العناوين عناوين دينيه عناوين سياسية عناوين مختلفة هنا القدرة، هي لعبة الشيطان ذاته، هي لعبة الشيطان ذاته هم امتداد للنشاط الشيطاني النشاط الصهيوني اليهودي هو امتداد للنشاط الشيطاني في واقع البشرية، هو يركز على الإعـلَام تركيزا كبيرا جداً جداً، لأنه نشاطٌ تضليليٌّ يركّزُ على التعليم، يركز على كُلّ وسائل التوجيه وصناعة الرأي ينفذ فيها يوجهها فيتحكم في التفكير يتحكم في القناعات يتحكم في التوجهات يتحكم في المواقع والقليل القليل من أبْنَاء الأُمَّـة هم مَن نجوا من هذا المسّ الإسْرَائيْلي الشيطاني.

ورأينا أثره الفظيع في كثير من أبْنَاء الأُمَّـة ممن يتَحَـرّكون، اليوم، بعض الأنظمة بعض الجماعات الآلاف المؤلفة التي تتَحَـرّك في سبيل ما يخدم هذا التوجه وهو يسعى لأشياء كثيرة من ضمن ما يسعى له هو تجريد الأُمَّـة من هويتها واستقلالها الثقافي والفكري وضرب أَخْـلَاقها وقيمها، أن نتحول في واقعنا العام كمسلمين لا كيان لنا، لا استقلال لا فكري ولا ثقافي ولا أَخْـلَاقي ولا سياسي، أمة مشتتة أمة ضائعة أمة تائهة أمة فرغت من كُلّ محتوى

إسْلَامها ومضمون إسْلَامها فلا يبقى من الإسْلَام إلّا اسمه ولا من القُرْآن إلّا رسمه ولذلك قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾، لا يريدون لكم أن تحافظوا على مضمون إسْلَامكم بقيمه بمبادئه بجوهره فتكونون أمةً مستقلةً ومستقيمةً بهذا الإسْلَام في كُلّ ما هو عظيم فيه وقيم فيه وكله عظيم وكله قيم، ولكن إذا أقيم بكله، أما إذا بُتر وجُزّئ وزُيّف وغيّر وبدّل فلا، تتغير الحال.

سياسة التفريق بين الأُمَّـة تحت كُلّ العناوين عناوين مذهبية عناوين طائفية من الذي يتَحَرّك فيها لمصلحة من أوليس من أهم ما في إسْلَامنا من أهم ما تم التركيز عليه في القُرْآن الكريم هو الاعتصام بحبل الله جميعاً، الوحدة، الإخاء ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، فلماذا ضُرب مفهوم الوحدة في الأُمَّـة بشكل فضيع جداً، بل أصبح عنواناً منفراً لدى البعض ممن قد تأثروا كُلّ التأثر بالمس الشيطاني اليهودي الإسرائيلي الصهيوني، عنوان منفر، في بعض المجتمعات في بعض البلدان، لدى أطياف معينة ينفرون أن تتحدث عن الوحدة، عن وحدة الأمة، عن التَحَرّك الجماعي، عن التعاون عن التآخي، لا يوجد لديهم إلا الحقد إلا الكراهية، إلا البغضاء إلا العداء، نجد أن أولئك هم الذين يتَحَرّكون في هذا السياق، وبأدواتهم، أدوات تحت عناوين طائفية، أدوات تحت عناوين مناطقية، أدوات تحت عناوين سياسية، تحت كُلّ العناوين.

الواقع الإسْلَامي اليوم، واقع المسلمين العرب وغيرهم، إلا القليل، طبعا هناك استثناءات في كُلّ شيء، لكن الواقع العام، الواقع السائد، سوق جاهز لكل من يبيع ويشتري، سيجد كفايته، ما يحتاجه، كُلّ من لديه مشروع باطل، فكرة باطلة، مؤامرة، كيد، لعب، المهمّ أن يمتلك مال، تأثير إعلَامي، مؤثرات معينة، وبسرعة سيتوفر له الكثير الكثير، على مستوى الاستهداف لأمتنا وعلى المستوى العالمي، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول في كتابه الكريم قال عن أولئك: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ يسعون، يعملون بكل جهد، يوظفون القدرات والإمْكَانات، والبرامج والخطط للإفساد في كُلّ المجالات، على المستوى الأَخْلَاقي، وصلت الإنْسَانية إلى مستوى رهيب من الانحطاط الأَخْلَاقي، من الإفلاس في القيم والأَخْلَاق، على المستوى السياسي، على كُلّ المستويات، على المستوى الاقتصادي، اليوم الفساد يستشري وينتشر ليستهدف كُلّ شيء. حتى على المستوى البيئي وهذا معلوم.

٥- سلاح مواجهة المخاطر:

أمام هذه المخاطر والتحديات، المؤثرة والموجعة في واقع الأمة، والتي قد لمس الجميع تأثيرها السلبي، نجد أن أولَ سلاح تحتاجُ إليه الأُمَّـة في مواجهة هذا الخطر، وهذا التحدي الرهيب الذي يهددها في كُلّ شيء، هو الوعي، أول ما تحتاج إليه الأُمَّـة هو الوعي، وأهم مصدر للوعي هو القُـرْآن الكريم، الحق الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه، النور والهدى الشامل، ﴿ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾، ولكن بتلك المنهجية: عين على القُـرْآن وعين على الأحداث، ترقب الأحداث وتعود إلَـى القُـرْآن الكريم، وحتى لتصحيح واقع الأمة، لا خيار لها إلَـى العودة إلَـى القُـرْآن الكريم، ومع الوعي التحلي بروح المسؤولية.

لأن الكثيرَ من الناس، خبا فيهم أَوْ انطفأت فيهم روح المسؤولية، وهذه من أهم ما ضرب الأمة، من أهم ما تعاني منه الأمة، من أسوأ ما تعاني منه الأُمَّـة هو هذا، فقدان الشعور بالمسؤولية، لم يعد الكثير من الناس يعرف ويستشعر ويؤمن، ويدرك ويعي أنه مسؤول أمام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَـالَـى، وأمام نفسه، أنه لا ينجي نفسه من هذه التحديات، وهذه الأخطار وهذه المكائد، إلا أن تنهضَ هذه النفس بمسؤوليتها، مسؤوليتها كأمة لها مشروع، لها دور فيما يعنيها هي وفيما يعني العالم من حولها، أن تكون الأُمَّـة التي تتَحَـرّك لإقامة العدل، أن تكون الأُمَّـة التي تأمر بالمعروف بمفهومه الواسع والحضاري، وتنهى عن المنكر بمفهومه الواسع والشامل، وتواجه الفساد، وتقف ضد الظالمين، والمستكبرين، وتتجه لعمارة الحياة وبناء الحياة بالقيم المثلى وبالحق، وبالعدل وبالخير، بما يسعد البشرية، وفيما فيه صالح البشرية، وأن تستقل، وتتخلص من هذه التبعية العمياء.

اليوم لو نعود إلَـى بعض الأنظمة أَوْ بعض الكيانات في المنطقة ترى أنها معجبة بنفسها بعض الكيانات، ترى أنها هي من تطبق الإسْـلَام بشكل كامل، تمثل نسخة متكاملة من مبادئ الإسْـلَام، ولكن في الواقع الذي تعيش فيه التبعية الكاملة لأمريكا ولسياسات أمريكا، وتتودد لإسرائيل وتتقرب من إسرائيل، وتسعى وتسارع لتعزيز روابطها مع إسرائيل، لا يمكن أن يكون الإنْسَـان منتميا حق الانتماء، مهتديا بما تعنيه الكلمة متمسكا بالإسْـلَام في قيمه ومبادئه، ومنظومته المتكاملة، وهو في نفس الوقت يعيش هذه الحالة من التبعية العمياء لأولئك،

مستحيل، الله يقول عن هذه الحالة: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾؛ لأن هذه الحالة التي يوصفها القُرْآن هي حالة الولاء، الولاء لأولئك، التبعية العمياء لهم، التَحَرّك في سياساتهم وتوجهاتهم، التي هي شر وخطر على الأُمّـة بكلها، يقول: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾، يعني إلَـى هذا الحد تمثل المسألة خطورة كبيرة جداً؛ لأن الإنسَـان حينما يسير وراءهم، ويحذو آثارهم، ويتوجه وجهتهم، إنما هو يخرج عن قيمه يخرج عن مبادئه، ينسلخ عن هُويته وعن مبادئه وعن قيمه.

حينما نعودُ إلَـى واقعنا في عالمنا الإسْـلَامي هو واقع مؤسف، عالم كبير، رقعة جغرافية واسعة، وفي أهم موقع جغرافي على الأرض، عدد كثير من البشر، أكثر من مليار إنْسَـان، ثروة هائلة وقدرات مادية هائلة، ولكن أين هو وزن هذا العالم الإسْـلَامي؟ أين هو وزنُ المسلمين اليوم في العالم؟ هل هم أُمَّةٌ مستقلةٌ لها تأثيرُها في الواقع العالمي؟ ومطلوبٌ بالتأكيد أن يكون تأثيراً إيجابياً، لأن الإسْـلَام لا يقبل بالظلم، لا يقبل بالفساد، لا يقبل بالطغيان، تأثيراً إيجابياً، حضوراً إيجابياً في الساحة العالمية، هذا العالم الإسْـلَامي الكبير بجُغرافيته، الثقيل بثرواته وموقعه، الكثير بأعداده، هو صغير في تأثيره، هو قزم في حضوره في الساحة العالمية، هذا العالم الإسْـلَامي بعرب وغير عرب أين هو وزنه وحضوره في الساحة العالمية كمستقل، كمؤثر إيجابي، كفاعل في الساحة، لا..، حفنة من الصهاينة، بضعة ملايين من اليهود، يدوّخون هذا العالم الإسْـلَامي بكله، يلعبون في الواقع العربي بأبشع وأفظع اللعب، يجعلون من الجميع مهزلة، الجميع محط سخريتهم واستهزائهم واستهتارهم، ولا يحتاجون كما قلت في بداية الحديث إلَـى عناء وشقاء في نجاح مؤامراتهم وخططهم، لربما أبسط صهيوني وأقل الصهاينة قدرة على التفكير يمكن أن ينجحَ في كثير من واقع أمتنا ومنطقتنا العربية، هل لهذا العالم الإسْـلَامي حتى على مستوى مجلس الأمن حق النقض، هل له تأثيرٌ في السياسات والقرارات والتوجهات، لا يوجد، ولكن الشيء المؤسف أن تجدَ البعضَ من الدول، البعض من المنظمات، البعضَ من التوجهات والكيانات، داخل عالمنا الإسْـلَامي التي فقدت قيمتَها، فاعليتها، قدرتها، تأثيرها في الاتجاه الصحيح، لصالح الأُمّـة، لكن تجد لها فاعليةً في الاتجاه الآخر.

تأتي إلَـى المنظمة العربية الجامعة العربية، ماذا عملت الجامعة العربية للقضية الفلسطينية على

مدى كُلّ هذه العقود؟ لا شيء، لم تخدم القضيةَ الفلسطينية بأي شيء مُفيد ومؤثر وملموس، ما هو هذا الشيء؟ أو كذلك منظمة التعاون الإسْلَامي، وقبل ذلك أيام كانت باسم المؤتمر الإسْلَامي، منظمة المؤتمر الإسْلَامي، ماذا قدمت لقضية فلسطين؟ ماذا قدمت للأمة في سبيل أن تتوحد الأمة؟ أن تحل مشاكل الأُمَّـة بالحوار والتفاهم، أن تعالج الكثير من جراح الأُمَّـة الغائرة، لا شيء، ولا تأثير إيجابي نهائياً، أية قضية من قضايا المنطقة في الداخل العربي، في الواقع الإسْلَامي، أين هو التأثير الإيجابي والملموس لمثل هكذا منظمات أوْ دول، تأتي إلَـى دول بارزة في الواقع العربي، أين هو تأثيرها الإيجابي الذي يمكن أن يشكر من الدول التي هي الآن تلعب دوراً سلبياً؟، لكن تجد لها فاعلية، جهدا، اهتماما، قرارات، مواقف، في الاتجاه الخطأ.

اليوم في سبيلِ تمزيقِ الأُمَّةِ، في تغذية الصراعات الداخلية في الأمة، في الاعتداءات على شعوب وبلدان المنطقة، نرى القرارات، نرى الاجتماعات، التي تخرج بنتائج، ونرى أيضاً التَحَـرّك العسكري الصارم والتحالفات، ونرى كذلك المواقف على المستوى الإعـلَامي، والاقتصادي، على المستوى العسكري ولا مرة واحدة حصل تَحَـرّكا من بعض الدول – التي تَتَحَـرّك اليوم لتضرب بلدان المنطقة هنا أوْ هناك على مثل هذا النحو– تجاه إسرائيل، أوْ خدمة الأمة، اليوم ما الذي يحدث؟، على المستوى الإعـلَامي كَمْ هي القنوات الفضائية المخصصة ضد إسرائيل؟ لا شيء، صفر، من جانب أولئك طبعاً، من جانب أولئك، الذي يتَحَـرّكون بفاعلية لمصلحة إسرائيل وخدمة أمريكا، ولكن لتشويه المقاومة، سواء في الداخل الفلسطيني أوْ حزب الله، لتشويه الأحرار في هذه الأُمَّـة التواقين للحرية واستقلالية الأمة، أوْ لما يخدم إثارة النزاعات والصراعات، والعداوات المذهبية والطائفية، الكثير من القنوات تشتغل بنشاط، وبشكل مكثف، فاعلية في الاتجاه الخطأ، وهم، ضياع، ضلال، تيه، تأثير، مس من المس الشيطاني الإسرائيلي الصهيوني اليهودي.

***

الفصل الثالث:
نشوء الكيان الإسرائيلي في قلب الأمة

المبحث الأول:
(فلسطين والتآمر اليهودي والبريطاني الأمريكي)

ظهرت الحركة الصهيونية في أوساط يهود العالم وخصوصاً يهود روسيا وأوروبا الشرقية وامتدت فيما بعد إلى الغرب الأوروبي مثل بريطانيا وألمانيا وفرنسا ثم إلى الغرب الأمريكي مثل الولايات المتحدة الأمريكية.

(أشكال التآمر الصهيوني على فلسطين):

- عقد المؤتمر الصهيوني الأول عام ١٨٩٧م:

وهو المؤتمر الذي انعقد في مدينة بازل بسويسرا بدعوة من أحد زعماء الحركة الصهيونية يسمى(هرتزل) وضم زعماء الصهاينة في العالم وكان قراره الرئيسي (أن هدف الصهيونية هو إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين).

- السعي للحصول على تأييد ألمانيا:

هو السعي الذي قامت به قيادة الحركة الصهيونية بزعامة (هرتزل) لدى إمبراطور ألمانيا من أجل التوسط لدى الدولة العثمانية والتصريح بإقامة شركه يهودية (تحت حماية ألمانيا) في فلسطين وتشجيع الهجرة اليهودية إليها لخدمة الحركة الصهيونية وألمانيا معاً، لكن رَفْض ألمانيا أفشل هذا المسعى.

- السعي للحصول على موافقة السلطان العثماني عبد الحميد الثاني عام ١٩٠٠م:

قام به قادة الحركة الصهيونية بقيادة (هرتزل) بهدف الحصول على موافقة الدولة العثمانية صاحبة السيادة الفعلية على فلسطين على الهجرة اليهودية إليها، لكن رفض السلطان عبد الحميد أفشل هذا المسعى على الرغم من استمرار الهجرة اليهودية بالتسلل الى فلسطين في عهده.

- السعي للحصول على تأييد بريطانيا:

هو السعي الذي قام به قادة الحركة الصهيونية بزعامة (حاييم وايزمان) لدى بريطانيا ونجحوا في الحصول على تأييد بريطانيا للهجرة اليهودية إلى فلسطين وأقاموا تحالفاً مع بريطانيا قام على تلاقي المصالح الاستعمارية البريطانية مع مصالح الحركة الصهيونية، مما أدى إلى إصدار وزير الخارجية البريطاني (بلفور) وعده الشهير عام ١٩١٧م بالسعي لإقامة وطن لليهود في فلسطين خلافاً لوعود بريطانيا للعرب والشريف حسين بإقامة الدولة العربية الكبرى.

- السعي للحصول على تأييد القوى الاستعمارية الأخرى لوعد بلفور:

وقد أيدته فرنسا وإيطاليا عام ١٩١٨م باتخاذ الإجراءات التالية:

- تأييد الحركة الصهيونية لانتداب بريطانيا على فلسطين في مؤتمر الصلح بباريس عام ١٩١٩م.
- فقد طالب قادة الحركة الصهيونية بأن تكون بريطانيا هي الدولة المنتدبة على فلسطين حتى تنفذ ما وعدت به من إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، ووافق الحلفاء في مؤتمر (سان ريمو) عام ١٩٢٠م على هذا الطلب خاصة أن فلسطين كانت قد خضعت للحكم العسكري البريطاني أثناء الحرب العالمية الأولى.
- أقر مجلس عصبة الأمم في جنيف صك الانتداب البريطاني على فلسطين عام ١٩٢٢م وعينت بريطانيا (هربرت صمويل) المشارك في إصدار وعد بلفور مندوباً سامياً لها في فلسطين.

سياسات الاستعمار البريطاني في فلسطين:

اتخذ الاستعمار البريطاني أثناء انتدابه على فلسطين سياسات عديدة أهمها:

- أنشأت بريطانيا أثناء انتدابها على فلسطين الوكالة اليهودية في فلسطين عام ١٩٢٢م ومنحتها امتيازات تشجيع الهجرة وإقامة المصانع وإنشاء الشركات الاحتكارية وتوليد الكهرباء وصيد الأسماك والنقل والمواصلات.

- شجعت بريطانيا اليهود على إنشاء المدارس والجامعات العبرية وجعلت اللغة العبرية إحدى لغات المعاملات الرسمية في فلسطين.
- عينت نسبة كبيرة من اليهود في الوظائف الكبرى بدوائر الحكومة، وحرمت عرب فلسطين من تلك الوظائف.
- سهلت لليهود الحصول على الأراضي الحكومية دون مقابل، وفرضت الضرائب الباهظة على الأراضي التي يمتلكها عرب فلسطين.
- ضيقت فرص التعليم أمام أبناء فلسطين ورفضت إنشاء جامعات عربية في فلسطين.
- مكنت اليهود من امتلاك السلاح، وحرمت على عرب فلسطين حمل أي قطعة سلاح.
- وفي مطلع الثلاثينيات من القرن العشرين الميلادي جاء إلى فلسطين نحو مئة ألف مهاجر يهودي من ألمانيا وبولندا، وفي عام ١٩٣٩م أخذ الإنجليز يجددون الهجرة اليهودية وامتلاك الأراضي، كما امتلك اليهود أغلبية الأراضي بمساعدة المندوب السامي البريطاني اليهودي هربت صموئيل.

(احتلال فلسطين)

بعد أن أصبح اليهود متمكنين بسبب الدعم اللامحدود من بريطانيا وبعدها أمريكا لزرع الغدة السرطانية (إسرائيل) في جسد الأمة الإسلامية بدأ اليهود يقتحمون القرى ويقتلون الرجال والنساء والأطفال، وينتهكون الأعراض، وينهبون الأموال والأراضي ويستهدفون المقدسات معلنين بذلك الاحتلال المباشر لفلسطين عام ١٩٤٨م، وفي المقابل ظهر الضعف في مواقف الدول الإسلامية في نصرة الفلسطينيين بالرجال والسلاح (الجهاد) على المستوى الرسمي تدريجياً، ثم العمل على تغييبها من ثقافة الشعوب، وبالتالي عزل قضية فلسطين عن قضايا الأمة الإسلامية.

وكان لعلماء البلاط الدور الكبير في ترويض الشعوب الإسلامية وتدجينها للأنظمة العميلة تحت شعار (طاعة ولي الأمر) وهذا مما أسهم في أن يحكم اليهود قبضتهم على فلسطين، بل وصل الحد إلى تآمر الحكومات على قضية فلسطين، حيث وقعت الدول

الحدودية مع فلسطين اتفاقيات سلام مع إسرائيل في أواخر السبعينيات، وبذلك شكلت هذه الدول طوقاً على فلسطين والذي أصبح عائقاً أمام أي عون أو مساعده للفلسطينيين.

وفي المقابل شكل ذلك حماية لإسرائيل مما مكنها من أن تسوم الفلسطينيين سوء العذاب مما يعتبر صورة من صور التآمر على الفلسطينيين.

أما على المستوى الفلسطيني فقد عملت أمريكا وإسرائيل على استهداف الفلسطينيين بشكل مباشر، وارتكبت بحقهم أفظع صور الإجرام، وكذا استهداف قيادات الحركات الجهادية.

كما عملت أمريكا وإسرائيل على إنشاء ما سمي (منظمة التحرير الفلسطينية) والتي عملت الكثير لضرب واستهداف الحركات الجهادية الفلسطينية التي تقوم بشن العمليات الجهادية ضد اليهود، بل وتهيئة الساحة لأن تكون قابلة للاحتلال، وتقديم التنازلات، وربط حل قضية فلسطين بالمفاوضات التي لم تحقق للفلسطينيين شيئاً، بل خسر الفلسطينيون الكثير وكانوا عرضة لخداع وتضليل اليهود، ولكن هذا لم يمنع الحركات الجهادية من تنفيذ العمليات الجهادية ضد الإسرائيليين التي كان لها أثرها البالغ على اليهود.

ووصل التآمر اليوم على فلسطين وعلى الأمة العربية والإسلامية من قبل أمريكا وإسرائيل وأدواتها في المنطقة وعلى رأس هذه الأدوات النظام السعودي والإماراتي والتكفيريين إلى مرحلة تصفية القضية الفلسطينية تماماً تحت عنوان (صفقة القرن) وإغراق الأمة في صراعات داخلية واستنزاف ثرواتها المادية والبشرية لصالح المشروع الأمريكي الإسرائيلي للهيمنة على المنطقة والعالم.

المبحث الثاني: عوامل نشوء الكيان الإسرائيلي

هناك عاملان أساسيان ساهما في نشأة العدو الإسرائيلي وسيطرته على فلسطين هما في نفس الوقت متلازمان، ويجب أن نأخذ من خلال معرفتهما العبرة وأن نستفيد منهما في الوقت الحاضر:

العامل الأول: اهتمام من اليهود من جانب، وسعيٌ جادٌ منظمٌ برعاية بريطانية وغربية وفيما بعد حماية أمريكية.

العامل الثاني: عامل ملازم للعامل الأول وجزء أساسيٌ وهو ما حدث من تخاذل وتقصير كبير من الجانب العربي باستثناء تحركٍ محدود في الواقع الفلسطيني وفي الواقع العربي، تحرك محدود لا يرقى إلى مستوى حجم الموقف وحجم الخطر وحجم التحدي، بعض الأحرار وبعض الشرفاء وبعض الغيورين تحركوا وبذلوا جهوداً كبيرة، لكن كان مستوى التخاذل كبيراً وكانت مساحة التخاذل في الداخل الفلسطيني والواقع العربي واسعة جداً نتيجة سببين أساسيين هما:

١ـ انعدام في الوعي عن هذا الخطر وعن هذه المؤامرة وعن مستواها، وانعدام في الوعي عن الواقع المحلي والواقع الإقليمي والواقع الدولي.

٢ـ نقص كبير جداً في الإحساس بالمسؤولية فالكثير من أبناء الأمة لا يعتبر نفسه معنياً ولا مسؤولاً تجاه ما يحدث وتجاه ما يجري، ويدخل مع هذا ـ نتيجة لانعدام الوعي وعدم الالتفات الجاد للموضوع من أصله ـ يدخل اعتبارات مثل: فقدان الأمل، انعدام الرؤية، وأسباب متعددة.

اليهود تحركوا من نقطة الصفر:

اليهود تحركوا من نقطة الصفر وهم في حالة الشتات في شتى أنحاء العالم جزء كبير منهم مشتت في المنطقة العربية في الدول العربية يعيشون في وضع طبيعي سواءً في الشام أو في دول المغرب العربي ودول أخرى، ولكن جزءاً كبيراً منهم أيضاً يعيش في أوروبا وجزء في أميركا وفي

الاتحاد السوفيتي سابقاً، وجزء يعيش في مناطق متفرقة من العالم.

اليهود تحركوا من نقطة الصفر وحرصوا على أن يكون تحركهم جاداً بكل ما تعنيه الكلمة، تحركوا بجدية وباهتمام كبير وكانت لديهم عناية كبيرة بالإنفاق المالي، كانوا يجمعون التبرعات من معظم الأسر اليهودية في العالم لتمويل هذا المشروع بعد أن أعدوه كخطة ومشروع عملي معين باختيار فلسطين لتكون موطناً يتوافدون إليه وينشؤون لهم كياناً فيه، ويسيطرون عليه، ومن ثم يجعلون منه منطلقاً للسيطرة على المنطقة بكلها وإقامة ما يسمونه بـ(إسرائيل الكبرى) ويفرضون لهم من خلال ذلك نفوذاً عالمياً وسيطرة عالمية؛ لأن سيطرة اللوبي الصهيوني في أميركا وفي العالم الغربي هي معروفة.

واليوم في كثير من المناطق أو بلدان العالم العربي هي واضحة ولكن لديهم هذا الطموح: أن يكون لهم كيان يتوافدون إليه ويتحركون من خلاله ليفرضوا لهم سيطرة عالمية وإلا فالله سبحانه وتعالى هو عالم بشرهم وفسادهم وكانت الحكمة الإلهية قضت بتفريقهم وتقطيع أوصالهم وتشتيتهم في العالم قال الله جل شأنه في القرآن الكريم: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ [الأعراف:١٦٨] مزق الله شملهم وقطّع أوصالهم وفرقهم في الأرض وشتت شملهم.

ولكن لاعتبارات كثيرة تعود بالدرجة الأولى إلى معاصٍ كبيرة في واقع الأمة العربية والإسلامية (العرب بالذات) معاصٍ كبيرة جداً: تخلي عن مسؤوليتهم الدينية والإسلامية، وأشياء كثيرة، واعتبارات كثيرة وصلوا فيها إلى ظروف غريبة جداً من الشتات وانعدام الوعي وفقدان الإحساس بالمسؤولية والتخاذل والضعف والوهن.

بريطانيا ودورها القذر في نشوء الكيان الصهيوني:

رأى أعداء الأمة وفي مقدمتهم بريطانيا آنذاك وهي في نشاطها الاستعماري في العالم، ورأى اللوبي اليهودي أن الظروف مواتية هنا في المنطقة العربية بالتحديد لزرع هذا الكيان ولاعتبارات أيضاً مستقبلية بالنسبة لحسابات الأعداء تجاه هذه الأمة فهم وإن كانوا يرون في هذه الأمة في مرحلة معينة أنها في حالة ضعف ووهن فهم يعرفون أنه يكمن فيها عناصر القوة التي يمكن أن تبعثها من جديد وأن تحييها من جديد وأن تقيمها من جديد.

فكان هناك تحرك بجد كبير من جانب اليهود وهم في الشتات أنفقوا الكثير من الأموال حتى يمولوا هذا المشروع بالانتقال إلى فلسطين بعد حصولهم على وعد (بلفور) من بريطانيا ويبدؤوا بتشكيل هذا الكيان وزرعه في فلسطين.

اليهود حرصوا على أن يكون لهم حافز ودافع يوحدهم:

اليهود أيضاً حرصوا على أن يكون لهم حافز ودافع كبير في أوساطهم للتفاعل مع فكرة الاجتماع من مناطق الشتات إلى فلسطين، والتوافد هناك واحتلال فلسطين وإنشاء هذا الكيان، كان عندهم حافز قومي كان عندهم الحافز الفطري الطبيعي للناس أن يكون لهم كيان وشأن واعتبار... إلى آخره، ولكن حرصوا على إضافة حافز ليكون حافزاً رئيسياً وأساسياً ودافعاً جوهرياً ومهماً ـ ويجب أن نأخذ العبرة من هذا ـ وهو الحافز الديني، اليهود حرصوا على أن يجعلوا من الحافز الديني الدينمو الذي يحرك الكثير منهم فينطلقوا بكل قناعة واهتمام وجدية، وباعتبار المسألة مسألة دينية فركزوا على عنوانهم المشهور (أرض الميعاد) وهيكلهم المزعوم، وجعلوا من هذا الاعتبار الديني دافعاً رئيسياً ليحرك اليهودي أينما كان وفي أي قطر من أقطار العالم، أن ينظر إلى المسألة على أنها مسؤولية دينية، أن ثقافته الدينية تفرض عليه أن يذهب إلى هناك، وأن هناك أملاً بأن الله قد وعد نبيه إبراهيم بهذه الأرض لهم.

كان تحركهم جاداً ومنظماً وتحركوا فيه باهتمام شامل يجمعون المال وينفقون بسخاء ـ ويجب أن نأخذ العبرة من هذا ـ كذلك يتحركون ويتنقلون وكان لهم ارتباطات في كثير من مناطق العالم، كان لهم فيها منازل ومساكن ومزارع يستفيدون منها، ونشاط تجاري في أغلب المناطق التي هم فيها، حرف فهم كانوا حرفيين جداً، كانوا يهتمون ونشأة عبر الأجيال، على مدى أجيال وهم يقطنون فيها، هنا عندنا في اليمن كان البعض من اليهود منذ آلاف السنين ربما ساكنين في اليمن فتركوا هذه البلدان!.

اليهود حافظوا على هويتهم:

فاليهود بالرغم من تفرقهم في البلدان كان لديهم حفاظ كبير على هويتهم بالرغم من أنهم عاشوا في وسط الساحة العربية على مدى مئات الأعوام وعاشوا كمعاهَدين في ظل ظروف

مستقرة في العالم الإسلامي لم يكن العالم الإسلامي يضطهدهم، عاشوا في اليمن، عاشوا في العراق، عاشوا في المغرب العربي، عاشوا في بلدان كثيرة في ظل وضع طبيعي مستقر لا يُظلمون لا يُضطهدون ولا يقهرون، يمارسون نشاطهم الحرفي ويعيشون وضعية آمنة ومستقرة، مع هذا احتفظوا بهويتهم لاعتبارات كثيرة ولتقصير في داخل الأمة.

ولكن ـ وفي هذا درس للأمة ـ احتفظوا بهويتهم، لم يتأثر الكثير منهم بالإسلام والمسلمين ولم يذوبوا في المجتمع الإسلامي ولم يندمجوا بالشكل المطلوب مع المجتمع الإسلامي، لا يزال اليهودي يعيش جيلاً بعد جيل في المنطقة العربية وهو يحمل شعوراً أنه ليس من هذه الأمة، ليس منهم وأنه يرتبط بأمة أخرى، يرتبط بذلك اليهودي أو بتلك الدولة أو بذلك البلد أو بتلك المنطقة وليس من أولئك الناس الذين يعيش بينهم والذين قد يكون فعلاً قد وُلِد بينهم وترعرع بين أوساطهم ويتكلم بلهجتهم ولكنه يحمل شعوراً أنه ليس منهم.

اليهود حملوا لنا العداء الشديد:

ليس هذا فحسب، من أعجب الأمور فيهم أنهم احتفظوا أيضاً بعداء شديد جداً جداً لهذه الأمة؛ فالبعض من اليهود مثلاً عاش في مناطق في العالم العربي والإسلامي في واقع طبيعي جداً لم يكن فيه ما يثير حالة الحقد، لم يُظلم، لم يُضطهد، لم يُذل، لم يُقهر لم يمسه أي سوء من جانب هذه الأمة، فكيف حملوا كل هذا الحقد الشديد؟ إنها ثقافة حملوها وحافظوا عليها وتربوا عليها وآمنوا بها واعتنقوها واعتقدوها حتى صنعت عندهم كل هذا الحقد.

كذلك التحرك العسكري هم كانوا بعد أن يصلوا إلى فلسطين يتواجدون بشكل نشط هناك بكل أشكال الحياة، وحرص البعض منهم على شراء أراضٍ أو ممتلكات... إلى آخره، ولكن نشطو عسكرياً وحملوا الروح العسكرية ـ وفي هذا درس مهم لنا ـ وكانوا يتشكلون ضمن تشكيلات مقاتلة، في البدء عمليات تفجيرات واغتيالات وفيما بعد نشاط عسكري واسع: اقتحام للقرى واقتحام للمناطق، وتنامت وتضخمت وكبرت هذه التشكيلات العسكرية حتى أصبحت تشكيلات كبيرة بالآلاف وكانوا يغزون القرى الفلسطينية ويهددونها عسكرياً ويقتحمونها ويقاتلون.

فيما يسعى البعض دائماً وأبداً إلى تدجين أمتنا أن لا نحمل الروحية الجهادية، أن لا يكون لدينا

استعداد لقتال أعدائنا أبداً في مقابل الروح العسكرية لدى اليهود ولديهم نشاط مستمر، تأملوا اليوم البلد الوحيد في المنطقة بكلها الذي يشهد مناورات حربية شاملة هو فلسطين المحتلة من جانب اليهود، اليهود وحدهم في المنطقة يجرون مناورات حربية يدخل فيها من يعتبرونهم من مواطنيهم ضمن هذه الإجراءات وضمن هذه المناورات، ويحرصون على أن يعيشوا في واقعهم الداخلي بشكلٍ مستمر حالة الجهوزية والحرب والاستعداد النفسي والفعلي للحرب.

فحالة التعبئة العسكرية هي جزء أساسي من ثقافتهم، من أنشطتهم، من سياساتهم، من توجهاتهم، وجزءٌ أساسيٌ أيضاً من ممارساتهم: التعبئة العسكرية والاستعداد العسكري المستمر، وهذه حالة هم يحرصون بكل جهد وبكل جد على أن تنعدم في واقعنا نحن وكأننا أمة ليس لها أي عدو في هذا العالم، وكأننا أمة لا تواجه أي تحديات أبداً، ولا أي مخاطر أبداً، وكأننا أمة لا بأس علينا ولا خطر علينا ولا هناك من يمكن أن يخدشنا حتى بالسكين.

بينما نحن أمة تُستهدف أكثر من أي أمة أخرى في العالم، يعني ليس هناك في الأرض أمة هي مستهدفة بقدر ما نحن كمسلمين وعرب مستهدفون، هذه حقائق واضحة تشهد عليها أحداث ويشهد لها كل الكون، ونحن أولى الناس في هذا العالم وأحوج الناس في هذه الدنيا، وأمس الناس اضطراراً في هذه الأرض بأن نحيي في واقعنا كأمة الجهوزية العسكرية، الروحية، الجهادية، الاستعداد العسكري لنواجه كل هذه التحديات والأخطار التي نعاني منها والتي تستهدفنا من الجانب الإسرائيلي والأمريكي ومن جانب قوى الشر المصطنعة والمشكَّلة من داخل أمتنا: الدواعش والتكفيريين.

كيف هي المناهج الإسرائيلية؟

لاحظوا دروس مهمة جداً لنا اليوم لا يتثقف الإسرائيليون في مناهجهم الدراسية وأنشطتهم العامة وسياساتهم وفي كيانهم بثقافة ترك العنف والسلام، والاطمئنان وأن يكون للإنسان في هذه الحياة حملاً وديعاً وإنساناً لا يمتلك أي قدرات عسكرية، وأن تكون أمة مجردة من كل قدراتها العسكرية، وأن ننظر إلى العالم كله بنظرة سلام لأنهم كلهم في هذه الدنيا طيبون ومسالمون، فقط نحن لا نثير مشاكل في هذا العالم، نتنبه، إذا لم نثر مشاكل في هذا العالم فكل الأمور تمام وسلام!.

هذه السياسة لا توجد أبداً لدى الأطراف الأخرى، كل الكيانات في هذا العالم، اذهب إلى الأمريكي، اذهب إلى الإسرائيلي، اذهب إلى الأوربي، إلى الصيني، إلى أي كيان حول العالم، كل الناس، كل منهم يحرص على أن يكون كياناً قوياً بما تعنيه الكلمة، وكلٌ منهم له ثقافة في سياسته، في استراتيجيته التي يبني عليها واقعه بكله وهناك تحديد واضح للمخاطر التي تشكل تهديداً ويجب السعي لامتلاك القوة اللازمة لمواجهة هذه المخاطر والتحديات، وهناك سعي أن يكون كياناً قوياً.

فقط العرب الذين يقال لهم من الكثير والكثير كونوا أمة وديعة، كونوا في هذه الدنيا أناساً لا تمتلكون أي عامل قوة، لا في روحيتهم، ولا في ثقافتهم، ولا في توجهاتهم، ولا في سياستهم، كونوا أمة لا تحظى بذرة من المنعة ولا القوة ولا تقدر على أن تحمي نفسها أمام أي أخطار ولا في مواجهة أي تحديات.

فنشط اليهود عسكرياً، نشطوا وقاتلوا، حملوا السلاح، امتلكوا السلاح، وفروا السلاح، جلبوا السلاح، ومنذ ذلك اليوم إلى اليوم وهم يعملون على هذا النحو: تعبئة عسكرية، تجهيزاً عسكريا، تدريباً عسكرياً، روحية عسكرية، امتلاك السلاح، وسعي دؤوب لامتلاك أفتك أنواع السلاح، ونفذوا اعتداءات كبيرة جداً، وجرائم رهيبة جداً وقتلوا وجرحوا وشردوا الملايين من الشعب الفلسطيني آنذاك برعاية بريطانية.

في المقابل كيف كان واقع العرب؟:

في مقابل ذلك تخاذل كبير في الواقع العربي، كان التحرك محدوداً، في الداخل الفلسطيني تحديداً، وفي الواقع العربي بشكل عام لم يرقَ هذا التحرك إلى مستوى الخطر، ليس هناك قراءة صحيحة حتى اليوم.

اليوم أمامنا أحداث كبيرة ومخاطر حقيقية، وما يزال الإسرائيلي يشكل خطراً في واقع الأمة وتهديداً، والأمريكي من هناك، ولكن الكثير دائماً ينظرون إلى مثل هذه الأخطار بنظرة ناقصة أو نظرة مغلوطة بالكامل فلا يكون هناك التشخيص اللازم لمستوى التحدي وما يتطلبه هذا التحدي، وهذا الخطر من مواقف، من تحرك عملي وفعلي من داخل الأمة.

المبحث الثالث: ما بعد نشأة الكيان الإسرائيلي

ما بعد نشأة الكيان الإسرائيلي، نشأ الكيان الإسرائيلي وفرض حضوره العسكري بالقوة وبالحماية السياسية وبالحماية بكل أشكالها، من بريطانيا ومن الغرب ومن بعد ذلك من أمريكا ودعم آنذاك من الأمم المتحدة، وبعد ذلك من مجلس الأمن، وأصبح حالة مدعومة عالمياً من تلك الأطراف الدولية، ومرحب به لديهم.

كان المفروض أن يشكل زرع هذا الكيان المعادي في قلب المنطقة عامل يقظة واستنهاض لدى أمتنا وعامل مراجعة، عامل يقظة أن تنبه الشعوب، حدث كبير وحدث استثنائي وغريب وخطير وليس عادياً، كيان معادٍ يأتي فيقتطع جزءاً من المنطقة، جزءاً من أرضنا العربية والإسلامية ومن مقدساتنا ويفتك بشعب كامل من شعوبنا، وبجزء كبير من أمتنا، يعني جرحاً كبيراً، الجرح الفلسطيني جرحاً كبيراً، وكان المفترض أن يكون موقظاً للأمة من حالة السبات التي كانت مستغرقة فيها ولكن حجم هذا الجرح للأسف لم يوقظ الأمة، ومنذ ذلك اليوم إلى اليوم لم تحظَ هذه القضية ولم يحظ هذا الحدث الكبير وهذه المشكلة الكبيرة من الاهتمام في أوساط هذه الأمة بقدر ما ينبغي وبقدر ما يفترض، لا لدى نخبها ولا لدى جماهيرها.

لا يزال الموقف العربي والموقف في العالم الإسلامي متواضعاً، لم يرقَ بعد باهتمامه تجاه هذه المسألة بالشكل المطلوب وكما ينبغي، ولم يلتفت بجدية كما يفترض، فيحظى باهتمام كبير جداً، هل هي قضية ساخنة في الوطن العربي، في الأوساط والنخب، في الأوساط السياسية والأوساط العلمائية، وفي الأوساط الأكاديمية، أوساط النُّخَب... إلى آخره، لا، أحياناً تحظى بجزء من الاهتمام، بقدر من التفاعل ولكن ليس التفاعل المستمر ولا التفاعل المثمر كما ينبغي.

لماذا تمكن اليهود أن يفعلوا بنا هكذا؟:

كان يفترض أن يمثل هذا أيضاً كما هو عامل يقظة، وعامل استنهاض وعامل مراجعة، لماذا تمكن الأعداء من أن يفعلوا بنا كل هذا؟ كيف نجح اليهود من نقطة الصفر أن يتحولوا في

منطقتنا - بين أوساطنا - إلى كيان قوي وكيان فاعل يحضر بقوة وينهزم الكثير أمامهم.

كان هناك فشل كبير للأداء الرسمي، الحكومات والأنظمة فشلت فشلاً ذريعاً إلى حد كبير، ولكن فيما بعد كان هناك نجاح شعبي لقوى نشأت في الأوساط الشعبية، سواءً في فلسطين من خلال الحركات المجاهدة هناك، حركات المقاومة التي كان من نتاج حركتها تحرير قطاع غزة، وهزائم واضحة وصريحة وانتكاسات كبيرة لإسرائيل، وقبل ذلك وأجل من ذلك بكثير بكثير ما حققه حزب الله في لبنان.

والذي حققه حزب الله في لبنان كان يجب على كل أبناء الأمة أن يحظى بالاستفادة وبالاهتمام الكبير فهو يمثل درساً مهماً جداً جداً، ويمثل في نفس الوقت حجة على الشعوب، حجة في مواجهة كل الذين حاولوا أن يفقدوا هذه الأمة الأمل بالنصر، كل الذين حاولوا أن يُعمموا حالة اليأس في أوساط هذه الأمة، كل الذين أشاعوا الروح الانهزامية في أوساط الأمة، هؤلاء كلهم ثبت أنهم مخطؤون وأنهم واهمون وأن هناك ما يمكن أن يبنى عليه.

أبرز المواقف تجاه العدو الإسرائيلي

الاتجاه الأول: هو الاتجاه المعادي لإسرائيل، والداعم للقضية الفلسطينية:

يتشكل هذا الاتجاه من قوى المقاومة حزب الله والحركات الفلسطينية المجاهدة، يتشكل من قليل من الأنظمة في العالم الإسلامي، الموقف الإيراني في طليعة هذا الموقف، موقف صريح وواضح وداعم بكل وضوح للفلسطينيين والشعب الفلسطيني والحركات المقاومة في فلسطين، وهي تتحدث عن هذا التعاون، وكل الفصائل المجاهدة تتحدث عن هذا، وهذا صريح وواضح بمعنى أنه ليس مجرد كلام أو شعارات أو عبارات، لا، دعم مادي وتعاون عسكري مع الشعب الفلسطيني، تأهيل، تسليح، دعم،... إلى آخره، هناك أيضاً موقف كان واضحاً أيضاً في مساندته لحزب الله وللحركات الفلسطينية واحتضانه لها هو الموقف السوري الذي يعاقب اليوم على ذلك، فهناك قوى في المنطقة لها موقف واضح.

أيضاً هناك صوت واضح وصريح وقوي في شعبنا اليمني مساند للقضية الفلسطينية، مؤمن بالتوجه المواجه والمناهض والمقاوم للهيمنة الأمريكية ولإسرائيل، وهناك صوت هنا

وهنا وهناك تحرك كبير في الوسط العراقي وفي الشعب العراقي، وهناك صوت يتعالى في أوساط الشعوب في مختلف شعوب المنطقة في كثير منها، وتتفاوت المسألة بالتأكيد من شعب إلى آخر لكن هناك صوت يتعالى هو الصوت الحر، هو الصوت المسؤول، هو الصوت الذي ينسجم مع حق هذه الأمة الفطري والديني ومع مسؤوليتها الدينية والوطنية والقومية والإنسانية في مواجهة الخطر الإسرائيلي والتصدي للخطر الإسرائيلي.

اليوم الصوت هذا هو صوت قوي في أوساط الأمة، والحضور في هذا التوجه المعادي لإسرائيل هو حضور كبير وفاعل ومقلق إلى حد كبير لإسرائيل وبالتالي لأمريكا والغرب.

الاتجاه الثاني: الموالي لإسرائيل وأمريكا:

هناك أيضاً الاتجاه الآخر، الاتجاه الذي نستطيع القول بكل اطمئنان ووضوح وأمامنا كل الشواهد والأدلة، الاتجاه الموالي لإسرائيل ولأمريكا في المنطقة، والماد معها لجسور التطبيع، والداخل معها في تحالفات، وهذا أيضاً بات اليوم توجه معروفاً، أنظمته معروفة، بات الإسرائيلي يتحدث عن النظام السعودي، عن الإماراتي باعتبارهم في الطليعة باعتبارهم أصبحوا ضمن تحالفات يسميها الإسرائيلي مصالح مشتركة، يشيد بمواقفهم بأدوارهم التخريبية في المنطقة، وهذا الاتجاه الموالي لإسرائيل وأمريكا يشتغل في جانبين:

الأول: جرّ الأمة إلى عداوات أخرى يقول لك: لا، لا تتحدث عن إسرائيل كعدو ولا عن أمريكا كعدو بشكل خطراً وتهديداً للمنطقة، لا، اترك هذا، هذا كلام إيراني دعك من ذلك، هناك أعداء آخرون هناك إيران هناك الشيعة هناك في اليمن من يسمونهم بالإنقلابيين وهم هناك في العراق! ويعطون لكل تسميته وهناك وهناك...، فهو يحاول أن يتجه ببوصلة العداء داخل الأمة إلى أطراف أخرى وأن يحرفها نهائياً عن إسرائيل بمعنى أن يشطب داخل الأمة أي نظرة معادية لإسرائيل، وأن يمنع ويُحوّل كل توجه معادٍ لإسرائيل، أن لا تبقى النظرة داخل الأمة لإسرائيل كعدو، تشطب هذه المسألة نهائياً، وبدء البعض من السعوديين سواء مسؤولين أو إعلاميين يتحدثون بلغة مختلفة عن إسرائيل، لغة فيها تودد، وهناك مشاهد لأمراء سعوديين يصافحون الإسرائيليين ويصافحون مسؤولين إسرائيليين، وهناك حديث يُعلن عنه بين الحين والآخر عن لقاءات، وهناك صوت إسرائيلي واضح يتحدث عن هذه العلاقة، عن هذا التعاون

عن عن عن... إلى آخره، عما يسميه بالمصالح المشتركة. هناك كلام من (نتنياهو) مباشر فيما يتعلق بما يسميه مصالح مشتركة فيما بينهم وبين السعودية.

أصبحت المسألة اليوم واضحة للعلن ظاهرة ولم تعد خفية، وهناك خطوات متتالية ومتتابعة تتضح يوماً بعد يوم عن هذا التطبيع، عن هذه العلاقة عن هذه التحالفات، عن هذا التعاون، عن التعامل كجبهة واحدة في مواجهة ما يسمونه خطراً مشتركاً، فهم يرون في كل صوت معادٍ لإسرائيل، في كل تحرك معادٍ لإسرائيل أنه يشكل خطراً مشتركاً يصفونه بالإيراني، لو أنت يمني أبوك يمني وأمك يمنية ومعروف في اليمن أنك فلان بن فلان الفلاني لكن لك موقف معادٍ من إسرائيل، سيقولون عنك أنك إيراني ولو كانت فحجتك ودمك ولحمك وشحمك وبيتك، وملابسك يمني خلقك الله من تربة اليمن سيقولون أنك إيراني، سيقولون أنت إيراني اسكت اصمت لا أحد يتحدث عن خطر إسرائيل لا أحد يحرض أو يستنهض الأمة تجاه الخطر الإسرائيلي.

يقولون: إسرائيل نحن يجب أن نتعاون معها في مواجهة الخطر الفارسي... إلى آخره، هناك سعي وضجيج يُكثرون منه، ولديهم الكثير من الأبواق الإعلامية، من الكُتّاب المأجورين ذوي الأقلام السوداء يكثرون من الضجيج الإعلامي والهالة الإعلامية التي تجعل البعض في مصر، البعض في بلدان المغرب العربي، البعض في مناطق معينة قد يتحرجون حتى يصلون إلى درجة التحرج من الحديث عن الخطر الإسرائيلي والعداء لإسرائيل وعن خطورة أمريكا على المنطقة؛ لأنه ما إن تتحدث عن شيء من ذلك حتى يتصدى لك أولئك ويعتبرونك إيرانياً.

فالاتجاه الموالي لإسرائيل وأمريكا والماد لجسور التطبيع معها يعمل على جر الأمة إلى عداوات أخرى ومشاكل أخرى، وإغراق الأمة في مشاكل لا أول لها ولا آخر، حتى ينسى الجميع إسرائيل وينسى الجميع القضية الفلسطينية وينسى الجميع الأقصى الذي يتهدده خطر متزايد.

هناك خطوات كلما تقدمت قوى العمالة في المنطقة وأنظمة العمالة في المنطقة في خطوات تطبيعية مع إسرائيل كلما زادت إسرائيل من خطواتها التي تستهدف بها المسجد الأقصى، ويجتمعون في مرحلة قريبة هناك في نفق تحت المسجد الأقصى، حكومة الكيان الإسرائيلي في

خطوة لها دلالة معينة، وكذلك زيادة للمستوطنات سواء في مدينة القدس أو في الضفة الغربية هناك نشاط متزايد، اعتداءات مستمرة على الشعب الفلسطيني.

الآخر: السعي في تصفية القضية الفلسطينية في عالمنا العربي والإسلامي لدعم الموقف الإسرائيلي من خلال خطوات متعددة:

أولها: محاصرة وتجريم الحركات الفلسطينية المجاهدة والمقاومة. وحزب الله بكل ما يمثله حزب الله من جبهة إسلامية عربية عظيمة متقدمة منتصرة ناجحة لها إنجازاتها الكبرى في مواجهة إسرائيل والخطر الإسرائيلي، وبكل ما يمثله حزب الله من تهديد للعدو الإسرائيلي، ومن جبهة متقدمة وقوية بكل ما تعنيه الكلمة في مواجهة إسرائيل، يسعون إلى إضعاف هذه الجبهة.

لماذا كل هذه الحملات العدائية ضد حزب الله؟ لماذا كل هذا الضجيج ضد حزب الله ومحاولة التشويه بشكل مكثف لحزب الله؟ لما يمثله حزب الله من أهمية وقيمة وقوة وذراع ضاربة للأمة في مواجهة الخطر الإسرائيلي.

كذلك حركات الجهاد في فلسطين الحركات المجاهدة والمقاومة في فلسطين تلك الحركات يقال عنها من على منبر محسوب على أنه في قمة على ما أسموها هم إسلامية أمريكية من أرض الحرمين الشريفين يوصف المجاهدون في فلسطين بالإرهاب ضمن اجتماعات على أساس أنها اجتماعات ذات مسؤولية لها مقرراتها وتعبر في توجهاتها عن سياسات وإجراءات.

فهناك سعي لمحاصرة وتجريم الحركات المقاومة في فلسطين ولبنان ووصفها بالإرهاب، وفرض الصفقات الخاسرة على الشعب الفلسطيني، فيدخلون الشعب الفلسطيني في مساومات ومفاوضات بعد مفاوضات بالرغم من كل التجارب الماضية، تجربة أوسلو وما بعد أوسلو إلى اليوم تجارب كثيرة فاشلة يسعون من خلالها إلى فرض صفقات خاسرة على الشعب الفلسطيني.

ثانياً: المواجهة لكل صوت حر ومسؤول يتحرك في داخل الأمة يعادي إسرائيل ويناهض الهيمنة الأمريكية، الاتجاه الموالي لأمريكا وإسرائيل في المنطقة من الأنظمة وبعض القوى هي دائماً تواجه وليس فقط أنها تتعامل بقطيعة أو نحو ذلك، تواجه، تعادي كل صوت حر وكل تحرك مسؤول في هذه الأمة، في داخل هذه الأمة.

اليوم شعبنا اليمني يعادى بأشد ما يكون من العداء؛ لأنه يريد أن يتحرر ولأنه يريد أن يكون في طليعة الشعوب التي لها موقف بارز في العداء لإسرائيل، شعب عرف عنه بشكل كبير وبارز عداوته للعدو الإسرائيلي ومناهضته للهيمنة الأمريكية.

ثالثاً: تغييب كل أشكال التوعية والتعبئة للأمة ضد إسرائيل والخطر الإسرائيلي والأمريكي ثقافياً وفكرياً وإعلامياً، وكل أشكال النشاط الشعبي والرسمي. وهذه مسألة خطيرة جداً. اليوم المناهج الدراسية الرسمية في العالم العربي غابت منها مع أنها كانت مقصرة في الماضي ولكن هناك سعي لأن يُغيب منها نهائياً كل مضامين التوعية والتعبئة، توعية أو تعبئة ضد الخطر الإسرائيلي والاستعماري والخطر الأمريكي، أن يغيب منها نهائياً نهائياً فلا يبقى أي إشارة في أي منهج مدرسي هنا أو هناك ضد العدو الإسرائيلي، فيها توعية عن العدو الإسرائيلي، عن خطر إسرائيل، عن القضية الفلسطينية، عن المقدسات، أو فيها تعبئة وتحريض على المستوى الإعلامي كذلك.

اليوم القنوات البارزة للأنظمة الموالية للعدو الإسرائيلي كيف تتعامل مع العدو الإسرائيلي؟ وصلت إلى درجة أنها تجري مقابلات مع الإسرائيليين مع الناطق باسم الجيش الإسرائيلي مع ضباط إسرائيليين، مع إعلاميين إسرائيليين؛ لتبرير ما تفعله إسرائيل وللترويج لإسرائيل من على منابرها، أصبحت منابر تخدم بشكل مباشر العدو الإسرائيلي وأصبحت كثير من القنوات المعادية لإسرائيل تُحارب وتحجَب وينزلونها من كثير من الأقمار الصناعية تحارب فيها ولا تستقبلها ولا تستضيفها على المستوى الإعلامي.

على مستوى الخطاب الديني معظم المنابر في العالم الإسلامي، في المساجد، في المدارس الدينية غاب منها نهائياً التوعية والتعبئة ضد الخطر الإسرائيلي والأمريكي، واتجهت الكثير منها لتعمل بتمويل من تلك الأنظمة بالذات مثل النظام السعودي لإثارة مشاكل في داخل الأمة للتعبئة ضد أبناء الأمة ضد اليمنيين، وضد الإيرانيين، وضد اللبنانيين، وضد حركات المقاومة وضد الأحرار في سوريه والأحرار في العراق والأحرار في البحرين وهكذا... فإذًا هذا هو المسار الذي يتحرك فيه الاتجاه الموالي لإسرائيل وأمريكا وعلى رأسهم النظام السعودي.

ما هي مسؤوليتنا اليوم؟:

مسؤوليتنا اليوم هي إحياء حالة العداء لإسرائيل باعتبار ذلك واجباً إسلامياً، فريضة، مسؤولية دينية يعني في مواجهة أن الآخرين يفرضون مسألة الولاء لإسرائيل. وأن يمسحوا النظرة العدائية ويغيروها تجاه إسرائيل. يجب أن نحيي حالة العداء لإسرائيل وباعتبار ذلك ليس فقط خياراً سياسياً لا..، أو ردة فعل بل واجباً إسلامياً وفريضة دينية، العداء لإسرائيل فريضة دينية، جزء من التزاماتك الدينية.

كما هي أيضاً يفترض أن تكون مسؤولية إنسانية وأخلاقية وقومية ووطنية وغيرها، لكن هذا البعد مهم، هذا الاعتبار مهم، هذا الجانب أساسي لاعتبارات واضحة شعب فلسطين جزءاً من الأمة الإسلامية، وواجب علينا دينياً مناصرة، هذا الشعب في مواجهة العدو الإسرائيلي أرض فلسطين، جزء من أرض الأمة وواجب علينا إسلامياً السعي لتحرير كل هذه الأرض حتى لا يبقى منها ذرة رمل واحدة. كذلك المقدسات وعلى رأسها الأقصى الشريف مسرى النبي صلى الله عليه وآله وثالث الحرمين الشريفين. وعلينا مسؤولية دينية في تخليص وتحرير هذه المقدسات.

فلسطين هي المتراس المتقدم للأمة:

لنعي جيداً في هذا العالم العربي والإسلامي أن فلسطين هي المتراس المتقدم والخندق الأول الذي كلما اهتمت به الأمة وكلما ناصرته الأمة. كلما وقفت معه الأمة؛ كلما تقلصت الأخطار في بقية أقطارها. لاحظوا لو أن العرب اتجهوا بكل جدية وبكل مسؤولية وبوعي وبشكل صحيح إلى المناصرة للشعب الفلسطيني ودعم موقفه ومواجهة الخطر الإسرائيلي كما ينبغي لحفظوا الميدان والساحة العربية والإسلامية من الكثير من المؤامرات ولم يصل إليها شر إسرائيل ومؤامرات إسرائيل وأمريكا ولربما كانت قد مسحت إسرائيل أصلاً وانتهت.

لكن لو افترضنا أنه بقي النزاع هناك والصراع والمواجهة هناك لكان كل أولئك مشغولين هناك ولما تفرغوا لبقية الأقطار. لكن الأمة تركت فلسطين فانتقلت المؤامرات لتغزوها إلى بلدانها وأصبحت هي بنفسها ساحة مفتوحة غير محصنة لا بوعي ولا بتعبئة ولا بأي شيء.

أيضاً يتحتم على الجميع العداء الواضح الصريح المترجم إلى مواقف. هذه مسألة مهمة أن نترجم عداءنا لإسرائيل إلى مواقف عملية ليس من الصحيح أبداً أن يأتي البعض ليقول كلنا يعادي إسرائيل ولكن يحافظ على حالة العداء في أعماق نفسه لا تترجم إلى أي موقف هذا عداء ليس له إيجابية. ليس له أهمية. ليس له قيمة.

هذه الحالة تصلح أن تكون حالة فردية لإنسان مستضعف لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا يستطيع أن يحرك ساكناً ولا يقدر على فعل شيء أما أمة كبيرة أمة عظيمة فلا يجوز أن يكون خياراً لأمة، بل وصل البعض: إذا ترجمت موقفك، إذا ترجمت عداءك إلى مواقف، سخط عليك، عندما تقول: نحن نعادي إسرائيل ماذا عليك من ذلك؟ يقول لك: كلنا نعادي إسرائيل لكن اصمت! البعض يحاول أن يمنعك أن تترجم عداءك إلى مواقف، وأن يفرض عليك حالة الصمت، ويبرر ذلك بأنه هو أيضاً يعادي إسرائيل! يا سبحان الله هل هذه علامة ممتازة لنوع عجيب من العداء، نوع من العداء لإسرائيل يجعل الإنسان يغضب على أي إنسان يتخذ موقفاً عدائياً تجاه إسرائيل؟!.

لا بد أن يترجم هذا العداء إلى مواقف صريحة:

لا بد أن يترجم هذا العداء إلى مواقف صريحة وواضحة في دعم حزب الله وتأييد حزب الله وحركات المقاومة في فلسطين؛ لأنها اليوم هي رأس الحربة في مواجهة إسرائيل بشكل مباشر، حزب الله يشكل جبهة مباشرة في التصدي لخطر إسرائيل حركات المقاومة في فلسطين كذلك تشكل جبهة مباشرة في مواجهة إسرائيل ومواجهة العدو الإسرائيلي.

في مقابل سعي الآخرين لتجريم هذه الحركات المجاهدة والمقاومة في فلسطين ولبنان لا بد أن نرفع صوتنا عالياً نواجه هذه المحاولة من التجريم والعزل والتشويه ونتصدى لها في أوساط أمتنا وفي أوساط شعوبنا.

ثم أن نترجم عداءنا لإسرائيل بشكل واضح في الشعارات، في الفعاليات، في نشاطنا الإعلامي، أن لا يغيب الاهتمام بالقضية الفلسطينية، التوعية للأمة عن الخطر الإسرائيلي، التعبئة والتحريض على إسرائيل من على وسائلنا الإعلامية في نشاطنا الثقيفي، في مناهجنا، أن نعيد هذا الحضور وأن نسعى إلى تعزيز هذا الحضور في شتى أنشطتنا الثقيفية والتعليمية.

أيضاً في المقاطعة. وما أدراك ما المقاطعة؟ المقاطعة الاقتصادية للبضائع الإسرائيلية والأمريكية هذا هو من أهم الخيارات المتاحة لكل شخص. فليس هناك أي مبرر، الكثير يريد لنفسه أن لا يتحمل أي مسؤولية وأن لا يتخذ أي موقف وأن لا يتحرك أي تحرك، يريد أن يبقى إنساناً فارغاً ليس له أي موقف! هذا لا ينجيك أمام الله أن تعتبر نفسك غير معني بشيء.

الله هو من يحدد مسؤولية المسلمين. وحدد لنا المسؤولية أن نقف ضد الطاغوت. ضد الظلم. ضد المتكبرين المستكبرين والظالمين. الله سبحانه وتعالى يقول لنا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونوا أَنصَارَ اللَّهِ﴾ [الصف:١٤] هذه مسؤولية في أن نتجه لأن نكون من أنصار الله. ولن نكون من أنصار الله إلا بأن نواجه قوى الطاغوت، وقوى الظلم و الظلام. ثم إن إعفاءك لنفسك من المسؤولية لن يعفيك من آثار ذلك ونتائجه التي هي نتائج كبيرة وسيئة في الواقع.

الروابط بين بعض الأنظمة العربية وبين الكيان الإسرائيلي:

اليوم أصبحت الروابط بين بعض الأنظمة العربية ـ خاصة النظام السعودي والإماراتي ـ وبين الإسرائيلي مكشوفة، وعلانية، هذا ما كانوا يتحاشونه في الماضي، واليوم لم يعودوا يتحاشون من ذلك؛ قِلَّة حياء زائدة، أصبحت اليوم الأمور مكشوفة وبالعلن: العلاقة مع إسرائيل، التحالف مع إسرائيل، الروابط الاستخباراتية العسكرية الأمنية الاقتصادية السياسية مع إسرائيل بالعلن، وبوضوح.

هذه الحالة السلبية جداً - من الارتداد القِيَمِي، والأخلاقي، والمبدئي، في واقع بعض الأنظمة - هي تشهد على ضرورة الدور الشعبي، وعلى أنه أصبح هو الخيار النهائي للأمة، لم يعد بإمكان الشعوب أن تراهن على الأنظمة؛ لأن القضية أكبر من مستوى الأنظمة، حتى لو أخلصت وصدقت ووفت واتجهت، لابد من الدور الشعبي إلى جانب الدور الرسمي، فما بالك حينما يغلب على أكثر الأنظمة: الإهمال، وعلى بعضها: الارتهان، والعمالة، والتحالف، والتعاون مع العدو الإسرائيلي، والانضمام إلى صف الإسرائيلي.

في مقابل ذلك - وهذا واضح من آخر ما حصل - أن هناك توجُّه لإبراز دور قيادي للصهيوني، يعني: أن البعض أصبحوا قابلين أن ينضووا تحت لواء العدو الإسرائيلي ؛ ليكون في

موقع الريادة والقيادة، ليكون لهم الدور الأبرز.

الأمريكي والإسرائيلي وظَّف من داخل الأمة بعض الأنظمة وبعض ذيولها لأن تواجه أي تحرك يهدف لإيقاظ الأمة، واستنهاض الأمة، وتحريك الأمة، هذا ما حرص عليه الأمريكي والإسرائيلي، وللأسف من داخل الأمة أنظمة عربية. وهناك - أيضاً داخل الشعوب كذلك - مكونات تتحرك في ذات الاتجاه.

أي تحرك نهضوي، استقلالي، حر، داعم للقضية الفلسطينية، معادٍ لإسرائيل، مناهض للهيمنة الأمريكية، يُوَاجَه بقسوة بالغة، وبشدة كبيرة من تلك الأنظمة، وتلك المكونات الواقفة معها في نفس الصف، يعادى ويُستهدف.

لقد تحركوا في ثلاثة مسارات:

١- عملوا على تعطيل أي تحرك في الأمة، أي تحرُّك نهضوي واعٍ وفاعل في أوساط الأمة، لا يريدون أن يتحرك أحد، ضد إسرائيل ليس من المسموح لأحد - من جانبهم - أن يتحرك، أي صوت يريدون أن يخرسوه، أي خطوات عملية يتصدون لها؛ لأنهم سعوا إلى التعطيل في داخل الأمة، لكل الأنشطة، أو الأعمال، أو أي تحرك قائم على أساس من المسؤولية والوعي، منطلق على أساس من المسؤولية والوعي. يريدون للجميع أن يصمتوا، أن يسكتوا، أن يتخاذلوا.

عملية التعطيل هذه فعلوا فيها الشيء الكثير، وغيَّبوا القضية الفلسطينية، والخطر الإسرائيلي، والخطر على المقدسات، وعلى الأقصى الشريف غيبوه إلى حد كبير من المناهج الدراسية في المدارس والجامعات، وغيبوه من الإعلام تماماً، وأصبح التعاطي الإعلامي معه تعاطياً روتينياً، وليس هادفاً، ولا فعالاً، ولا محركاً، غيبوه من كل ذلك، همَّشوا القضية الفلسطينية، قزَّموا الخطر الإسرائيلي، واشتغلوا لتعطيل أي تحرك في داخل الأمة.

٢- اتجهوا بعد ذلك في مسار آخر، هو: مسار التطبيع، وتقديم إسرائيل على أنها صديق، وأن الخيار معه هو: السلام، وأن الخيار معه هو: الصداقة، العلاقات العادية، أنه كيان مقبول، مرحب به في داخل الأمة، شريك للأمة في قضاياها وأمورها وشؤونها.

اليوم يشترك مع بعض الأنظمة العربية - حتى في الحروب اشترك - في العدوان على

اليمن، بشكل أو بآخر، بأشياء كثيرة، حتى في الغارات الجوية اشترك، حتى في بيع السلاح اشترك، حتى في تشغيل خبراء منه مع النظام السعودي، اشترك في أشياء كثيرة، ويشترك في التآمر مع أنظمة عربية على قوى المقاومة، لقد صار صديقاً، شريكاً مقبولاً به، ومبادرات السلام تُقدم على هذا الأساس، على أساس أن العدو الاسرائيلي صديق، وأن يقبل به، وأنه كيان طبيعي، حاله حال أي دولة في المنطقة، فقط الاتفاق معه على وقف المشاكل.

٣ـ التحالف مع إسرائيل ضد من يعادي إسرائيل، وباعتباره عدواً مشتركاً.

القضية الفلسطينية ومسؤولية الأمة:

هذه القضية التي ننادي بها هي قضيتنا، هي مسئوليتنا، هي قضية ترتبط بها عزّة الأمة، وكرامة الأمة، الشعب الفلسطيني هو جزء من الأمة بكلها، ما يلحق به من ظلم، من قتل، من هتك للعرض، من إساءة، من كل أشكال الاضطهاد، هو تحدٍ للأمة بكلها، وهو أيضاً امتهانٌ للأمة بكلها، وجنايةٌ عليها بأجمعها، وإذلالٌ لها، وهو أيضاً تجاوزٌ لاستقلالها حين فقد الشعب الفلسطيني استقلاله في فلسطين فإن ذلك كله انتقاصٌ لاستقلال كل شعبٍ مسلم، وكل بلدٍ عربي، وهو أيضاً يمثّل خطراً على الوجود الحضاري للأمة بكلها، ففي سبيل أن يبقى العدو الإسرائيلي في موقع الهيمنة والقوة تحرص أمريكا على أن يبقى العرب تحت إسرائيل دائماً، تحت هيمنتها، تحت سيطرتها، في موقع الضعف، وفي موقع العجز، وفي موقع الاستسلام.

إنه كلما تأخرت الأمة عن القيام بمسؤوليتها تجاه هذه القضية يعظم الضرر، ويتفاقم الخطر، وتفسح المجال وتعطي الفرصة للعدو لتحقيق تقدم كبير في ضرب الأمة، ونجاح مؤامراته التي تؤخرها إلى الوراء أكثر فأكثر، وتزيدها ضعفاً وعجزاً، وتصعّب عليها أي مواقف مستقبلية بما قد صنعه العدو من عراقيل وعوائق، مستفيداً من جمود الأمة وغفلتها، إذ هي تُستهدف ولا تَستهدف، وتُضرب ولا تَضرب، وبالتالي تتاح له الفرصة لإغراق الأمة من مشكلةٍ إلى مشكلة، ومن معضلةٍ إلى معضلة، ومن مؤامرةٍ إلى أخرى.

وهذه الأمة التي أراد لها ربها، وفرض عليها في دينها أن تكون الأمة التي تسارع وتسابق في إطار ما هو رضىً لله، وما هو في إطار مسؤوليتها، لا يليق بها أن تتأخر ولا أن تتثاقل، ولا أن تتنصل

عن المسؤولية، فيما العدو يتحرك ولا يتوقف أبداً، ويحرص على أن يأخذ دائماً بزمام المبادرة، ويعمل باستمرار كيداً ومكراً وغدراً، ويصنع المؤامرات، لا يكلّ ولا يملّ، يحرص دائماً على إضعاف الأمة ليوصلها إلى درجة العجز، ويفقدها كل مقومات الموقف اللاَّزم على المستوى المعنوي، وعلى المستوى المادي، يسعى بكل الوسائل والأساليب مستفيداً من آلته الإعلامية، مستفيداً من تأثيره السياسي، مستفيداً من القوى التي تخدمه من داخل الأمة، يسعى إلى إفقاد الأمة الإحساس بالخطر، يسعى إلى ذلك، يحرص على أن لا يكون هناك إحساس بخطورته، فبالتالي يهيئ الأمة للتثاقل، والتخاذل، واللاّمبالاة، والتنصل عن المسؤولية بكل ما يمثله من خطر، بشرّه الذي نرى آثاره وأضراره كل يوم وكل ليلة مع كل ذلك يحاول أن يُفقد الأمة الإحساس بالخطر حتى يضمن بقاءها قيد الاستسلام، وبعيداً عن التحرك، وبعيداً عن القيام بالمسؤولية.

العدو يحرص على إفقاد الأمة الشعور بالمسؤولية:

هناك جُهد سياسي، أنشطة ثقيفية، أنشطة إعلامية مكثفة مباشرة وغير مباشرة تعزز في نفوس الناس حالة الإهمال، وحالة اللاّمبالاة، وتفقدهم الشعور بالمسؤولية، وكأننا بالنسبة لنا كمسلمين وكشعوب لسنا معنيين بما يحصل على مستوى شعبنا في فلسطين، على مستوى مقدساتنا، على مستوى واقعنا بكله، يسعى إلى إفقاد أمتنا الوعي، ويعمل على تضليلها وتزييف وعيها بكل الوسائل والأساليب، الوعي بمؤامراته ومكائده، الوعي تجاه المواقف الحكيمة التي ينبغي أن تتبناها الأمة، الوعي فيما يبني الأمة لتكون بمستوى المسؤولية، يحرص على تزييف حالة الوعي لتبقى الأمة غارقةً في الظلام متحيرة تجاه الأحداث والمستجدات، يحرص كذلك على تفريق الأمة، وتغذية الصراع والنزاعات داخلها تحت عناوين كثيرة، منها سياسية ومنها غير سياسية، وأبرزها الفتنة الطائفية التي يعتمد في إثارتها على التكفيريين المتحالفين معه، والذين لا ينطلقون فيما ينطلقون فيه من إثارة للفتن، ومن خلقٍ للنزاعات، وإغراقٍ للأمة في المشاكل، لا بدافع الحرص على مذهب، ولا بدافع حتى العصبية لطائفة، وإنما هم بدافع التآمر على أبناء الأمة، وبدافع الكيد لهذه الأمة، وبدافع تنفيذ مؤامرات ومشاريع ومخططات تخدم العدو الإسرائيلي والأمريكي بالدرجة الأولى.

يعمل على ترويض الأمة على الصمت والسكوت:

يحرص العدو فيما يفعل وفيما يتآمر وفيما يتحرك فيه على ترويض الأمة، على التغاضي عن خطوات خطيرة، يروِّض الناس أن يسكتوا عن شيء ثم يروضهم إلى السكوت عن ما هو أسوأ. وهكذا يحرص على ترويض الناس على التغاضي عن خطوات خطيرة حتى تكون مهيأةً للتغاضي عن ما هو أسوأ، ونرى الأقصى الآن في خطر أكبر من أي وقت مضى، الحفريات تحت المسجد الأقصى تمهيداً لهدمه، وإنما بانتظار الظروف المهيأة التي تكون الأمة فيها مهيأة، ويكون العدو الإسرائيلي مطمئناً من ردة الفعل التي يخشاها، التهويد لمدينة القدس، توسّع الاستيطان، كل هذا في ظل تخاذلٍ عربي متزايد! وصمتٍ كبير! فما الذي تنتظره الأمة؟ يجب أن تتحرك الشعوب وأن لا تنتظر للأنظمة لا تنتظر على المستوى الرسمي أن يكون هناك تحرك بالشكل المطلوب، حتى لو كان هناك صدق نوايا لدى الحكومات لا غنى عن دور الشعوب، وللشعوب الحق أن تتحرك لأنها مسؤوليتها، وهي أيضاً المتضررة من هذا الخطر، على الشعوب أن تتحرك، وأن تصنع هي الموقف، وأن تتخذ هي القرار، وأن تفرض التوجه حتى على حكوماتها، أو تصنع حكومات لها، تتبنى قضاياها، وتدفع الخطر عنها، وليس حكومات لصالح أعدائها تنفذ مخططاتهم وتتبنى مؤامراتهم ومكائدهم.

الدور الأمريكي أيضاً له تأثيرٌ سلبيٌ كبير، وقدّم خدمةً كبيرةً لإسرائيل، وهما وجهان لعملةٍ واحدة، والذي يرتبط بأمريكا بالنتيجة يتغير موقفه لصالح إسرائيل إلى حدٍ كبير، وكلنا يعلم ما تركه الأثر الأمريكي في واقع شعوبنا نتيجة ارتباط الحكومات والأنظمة، وكثير من القوى السياسية داخل الشعوب نفسها بالأمريكيين فقد لعبت دوراً سلبياً في تخذيل الشعوب وتجميدها وإبعادها عن الاهتمام بقضيتها الكبرى تصنُّعاً لأمريكا واسترضاءً لها.

أهم الدروس والعبر التي يجب أن نستفيدها

ـ أن نستفيد كيف نحمل روحية الاهتمام والجدية فهناك فيما يتعلق بالاهتمام الكبير من جانب اليهود عبر كبيرة ودروس نحتاج إليها الآن كأمة إسلامية وكشعوب عربية، كيف تحرّك اليهود مما يمكن أن نسميه نقطة الصفر! اليوم نجد الكثير يتحرك بين أوساط الأمة لإشاعة

اليأس ولإفقاد الأمة الأمل بالرغم من كل البشائر ومن كل العوامل المشجعة.

يقال بأن اليهود وهم يعملون على إقامة دولة إسرائيل كان لديهم اهتمام كبير لدرجة أنه كانت أي أسرة قبل أن تُقْدُم على الطعام بعد أن تضع المائدة تقف الأسرة كلها من حول المائدة وكلهم يقسمون أولاً قبل أن يجلسوا على الطعام يقسمون بالله أن يعملوا جادين جاهدين على إقامة وطن لليهود.

وعندما تحرك اليهود وتوافدوا من مناطق متعددة نحو فلسطين كان اليهود في مختلف بقاع الدنيا من أغنى رجل إلى أفقر رجل يتعاونون في دعم إسرائيل حتى قيل: أن اليهودي الذي كان يشرب الدخان، كلما يخرج حبة ليشربها ينزع حبة ليضعها في علبة أخرى لدعم إسرائيل، ثم تُجمع كل تلك السجائر لتعلب من جديد وتصدر للبيع، وعائداتها تسلم لدعم إسرائيل، فتجتمع مئات الآلاف من الدولارات ومن مختلف العملات لدعم إسرائيل.

هذا الفقير الذي لا يمتلك إلا حبة دخان، والتاجر يدعم بما يمتلك، يدعم بالملايين هذا استطاعوا أن يكونوا على هذا النحو، حملوا اهتمام موسى، ونحن أولى بموسى منهم، ونحن أولى بمحمد (صلوات الله عليه وعلى آله) نمتلك اهتمام محمد، لا نعرف اهتمام محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) ولدينا القرآن الذي يجب أن يربيك على الاهتمام!.

ـ الدعم المالي السخي لنصرة مشروعنا القرآني التحرري، اليوم الكثير من أبناء الأمة يبخل بالإنفاق بأي مبالغ مهما كان حجم القضية سواء لدعم مباشر للقضية الفلسطينية أو لإحياء الشعور بالمسؤولية في واقع الأمة وإعادة استنهاض الأمة من جديد لمواجهة الخطر الإسرائيلي والأميركي في فلسطين وسائر بلدان المنطقة البعض يبخل يعني لم يصل بعد - يا أيها المسلمون يا أبناء أمتنا- لم يصل اهتمام الكثير من أبناء أمتنا بقدر ما كان يحمله اليهود من اهتمام فتفوقهم في مستوى الاهتمام والجدية في التحرك ساعدهم لينجحوا.

ـ أن نتحرك تحت العنوان الديني الجامع، الهوية الجامعة إسلامنا قرآننا وتحت القيادة التي تعبر عن القرآن الكريم قولاً وعملاً وسلوكاً فيمثل ذلك حافزاً ودافعاً مهماً لنا، اليهود انطلقوا بحافز ديني وبأمل ديني بينما يحرص الكثير في واقعنا العربي على أن نشطب من واقعنا الدافع الديني والأمل الذي يبنى على الدافع الديني مع أننا من نرتبط دينياً باعتبارات كثيرة، المسجد الأقصى كمقدس من مقدساتنا وتربطنا بالمسألة الاعتبارات الدينية بالتأكيد، المسؤولية الدينية

في الدفاع عن جزء من أبناء الأمة وعن أرض من أرض الأمة، هناك في ديننا مسؤوليات تجاه هذا، الرسول صلوات الله عليه وعلى آله يقول: (**من لم يهتم بأمر المسلمين فليس من المسلمين**) (**ومن سمع منادياً يا للمسلمين**) يستغيث بأمته (**فلم يجبه فليس من المسلمين**) وفي بعض الروايات (**فليس بمسلم**).

إذًا في ديننا مسؤولية، المسؤولية هي جزء من دينك كما الصلاة جزء من دينك كما الصيام جزء من دينك، لا تفكر تفكير البعض ممن يعتبر نفسه غير معني بشيء، لا..، أنت معني بهذا الاعتبار ومعني باعتبار أن كل الأضرار ستصل إليك، الأخطار ستطالك ولن تكون بمنأى عنها ولا بسلامة منها أبداً.

ـ الحفاظ على هويتنا القرآنية والاعتزاز بها وتقديسها وتجسيدها في كل شؤون حياتنا وأن تحول القرآن الكريم منهجاً لحياتنا وليس عبارة عن ظاهرة صوتية أو وسيلة للدعاية والتضليل.

ـ أن نحمل الروح الجهادية وحالة الجهوزية المستمرة في كل المجالات كمبدأ قرآني وكمشروع نهضوي حضاري بنّاء كعامل قوة وعامل نهضة للأمة.

ـ أن نرسخ العداء لإسرائيل ومن زرعها ويساندها وعلى رأسهم أمريكا وبريطانيا وأن تتحول حالة العداء إلى ثقافة في مدارسنا وجامعاتنا وكل مؤسساتنا وأن تتحول إلى عامل بناء واستنهاض للأمة.

هذه من العوامل المهمة التي تبنى عليها نهضة أمم وسقوط أمم، الأمة التي تحمل الاهتمام والجدية، الأمة التي تملك اهتماماً بقضايا، وتتحرك وتعمل وتشتغل وتفاتل وتضحي وتنفق وتقدم وتعطي ستنتصر في مقابل أمة يبخل الكثير فيها ويجمد الكثير فيها ويسكن الكثير فيها وينتصل الكثير فيها عن المسؤولية؛ تكون النتيجة لصالح الطرف الذي يتحرك ويعطي ويعمل ويسعى ويكدح ويضحي ويجد.

***

الفصل الرابع:
أسباب ضعف الأمة ومجالات الصراع مع العدو الإسرائيلي

المبحث الأول:
أسباب ضعف الأمة في مواجهة العدو الإسرائيلي

١- التولي لليهود والنصارى من قبل أغلب الأنظمة

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة، ٥١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ : تحذير للمؤمنين من الوقوع في موالاة اليهود والنصارى سواء من حيث يشعرون أو من حيث لا يشعرون، فيوجه النهي بصراحة: ﴿لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾، ومن الغريب أن يتولى مؤمن يهوديًا أو نصرانيًا، والعقائد متباينة، المسلم غير اليهودي والنصراني، المسلم من أول أيام إسلامه هو من تمت مواجهته من جانب اليهود بشراسة، وهو من يرى أنه في مكان واليهود في مكان آخر، هو مفصول عنهم مباين لهم، ليس بينه وبينهم أي علاقة، فكيف يمكن أن يكون ممن يتخذهم أولياء؟!.

﴿تَتَّخِذُوا﴾ : تبدو القضية، وكأنه على الرغم من أنهم مؤمنون؛ فيكادون هم الذين يتخذون، ويبحثون، وينطلقون؛ ليتخذوهم أولياء؛ معنى هذا: أنه قد يصل من يحملون اسم إيمان إلى أن يتخذوهم أولياء، ويطيعونهم، فيردونهم بعد إيمانهم كافرين، ما الذي سيدفع إلى هذا؟ وهل أن اليهود والنصارى يبدون من أولياء الله، فينطلقون نحو توليهم أو طاعتهم أو أن عداوتهم ستذوب من قلوبنا أو أنهم يبدون بشكل يشدنا إليهم؟ ما الذي يمكن أن يشدّ الإنسان المؤمن إليهم؟ فيكاد هو الذي يبحث عن كيف يتخذهم أولياء، ويكاد هو الذي ينطلق في طاعتهم؛ ليطيعهم ليردوه بعد إيمانه كافراً؛ ليصبح مثلهم، يصبح ظالماً لنفسه وظالماً للبشرية كما هم ظالمون؛ معنى هذا أنه سيحصل وأنت تحمل اسم الإيمان، واليهود على ما هم عليه لم يتغيروا إلى درجة أعلى، فتجعلك تنجذب نحوهم، اليهود الذين يبدون أمامك ملعونين، ومبغوضين ومكروهين، قد تنطلق وأنت تحمل اسم الإيمان لتتولاهم؛ لأن قضية التولي هي

خطاب للمشاعر. للقلب، أعمال تنطلق نحو القلب، نحو النفس، ومنطقة القلب منطقة خطيرة، التولي والعداء هو من أعمال القلوب، ميل إليهم يدفعك إلى أن تكون معهم، كما يحصل من الشيطان، ترانا نلعن الشيطان جميعاً؛ لكن ربما نسبة (٩٥%) يعبدونه، عندما يقول الله- لبني آدم يوم القيامة-: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [يس، ٦٠]، نحن نعتبر الشيطان عدواً، ونلعنه، ولكن ننطلق في عبادته، والعبادة هي طاعة، وزيادة المسألة هي مسألة القلب، والقلب منطقة حساسة وخطيرة جداً، وهي التي تحرك كل شيء، تحرك مواقفك، ولسانك، ووجهة نظرك، ومشاعرك، وحتى مالك، وسلاحك، القلب: هو المضغة التي إذا صلحت؛ صلح الإنسان، وإذا فسدت؛ فسد الإنسان.

وما أفضع الناس عندما يتجهون ليتخذوهم أولياء بعد هذه الصورة السوداء التي قدمت لهم والتي لا تختص بمجال دون مجال، بل في كل شيء! وأينما كانت سبيل الله؛ يبغونها عوجاً، أينما هو صلاح في الأرض؛ يبغونه فساداً: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ﴾،- أيها المؤمنون-: ﴿فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾، يصبح حكمه حكمهم، ومصيره مصيرهم.

والموالاة معناها: المعية، تشعر بأنك في هذا الجانب تؤيده، ومتجه إليه سواء كانت موالاة لأولياء الله أو لأعداء الله، الموالاة معناها: المعية، في الموقف، والرأي، والتوجه، والنظرة، الموالاة والمعاداة حالة نفسية؛ لكنها تتحوّل وتنعكس بشكل مواقف: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، قدّمهم ظالمين لعباد الله، وللبشرية، ولأنفسهم وللبشر، من يتولاهم؛ يصبح شريكاً في ظلمهم؛ يصبح ظالماً مع الظالمين: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

عندما تتولاهم لأي اعتبارات، لمصلحة معينة، أو خوف، أو كيفما كان، لن تهتدي إلى ما تريد من وراء توليك لهم، هذه القضية هامة، يبدو- فعلاً- أن الله لا يسمح أن يحصل، أن تتولاهم من أجل مناصب، أو مال، أو أن تأمن، أو أشياء من هذه، لا يتحقق هذا، إذا تحقق في مرحلة لتتمكن فيها؛ لتُضرَب في الوقت الحرج، وفي أشد مرحلة يكون وقع الضربة عليك فيها شديداً؛ يعني: الله هو حكيم ولا يمكن لأحد أن يكون ذكياً أمامه على الإطلاق أو يعتقد عندما

يتولاهم من أجل، ومن أجل، ومن أجل، هنا يقطع الطريق، لن يتحقق، ولو تحقق في الصورة؛ إنما ليكون عذاباً لك، في الوقت الذي يعتبر أشد نكاية عليه.

﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾ [المائدة، ٥٢]، مع أنهم بالشكل الذي يجب المسارعة في الابتعاد عنهم، وليس المسارعة فيهم؛ لأنهم هكذا، قدمهم بشكل فضيع جداً في نفوسهم، أهدافهم، تفكيرهم، تواياهم، أعمالهم كلها: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾، وكلمة (مرض) واسعة المعنى، هذه قلوب لم ينطبع فيها هدى الله، ولم تستنر بنور الله، ولم تستبصر ببصائر الله، هي قلوب مريضة، فليكن فيما بعد يظهر إما بشكل نفاق، أو جبن، أو بحث عن مصالح، أو مزايدات حزبية، أو كيفما كانت، المهم أن هناك مرضاً، أما الناس المؤمنون؛ فلا يتولونهم على الإطلاق، يبتعدون عنهم.

﴿يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾، يحاول في الشيء الذي فيه استرضاءٌ لهم، أو الشيء الذي ربما يظهر لهم منه، فيعتبرون أنه قدم خدمة لهم، فيأمن شرهم، أو كيفما كان، المهم مسارعة إليهم بالشكل الذي يريدون، فهم مسارعون بالشكل الذي يريد بنو إسرائيل: ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [البقرة، ١١٨]، وفي الأخير تصبح أهدافه أهدافهم.

ومرض القلوب يتجلى بعناوين متعددة، قد يكون بشكل نفاق، أو شك وارتياب، أو إيثار لمصالح خاصة على الدين، عمّا هو مرض مشين، فمَن يسارع فيهم؛ في قلبه مرض، وغير صادق عندما، يدعي أنه من أجل الحفاظ على المصلحة العامة، فالقلوب المريضة لا تهتم بمصالح المسلمين؛ إنما القلوب السليمة وحدها التي تهتم بمصالح المسلمين، وهي التي تتجاوز خارج إطار وحدود شخصيتها، أما القلب المريض؛ فلا يمكن أن يحمل اهتماماً بمصالح الآخرين؛ ولهذا يأتي بعبارة: ﴿نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ [المائدة، ٥٢]؛ لكن ذلك ليس في الواقع هو مبعث خوف، وليس هو في الواقع مبرر ادعاء أو اهتمام بمصلحة عامة؛ إنما سببه مرض؛ فعمله يدل على أن في قلبه مرض، وأن ما يقوله إنما هو تغطية- فقط-، وإلا فواقعه أن في قلبه مرض، فهو يسارع فيهم.

﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ [المائدة، ٥٢]؛ ﴿فَعَسَى اللَّهُ﴾ (الفاء) توحي

بأن الذين في قلوبهم مرض، ويسارعون فيهم، سيأتي اليوم الذي يندمون فيه على كل ما عملوه وبذلوه من جهودٍ معهم، وسارعوا في بذلها فيهم: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾، وعبارة: ﴿أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ واسعة: ﴿فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ [المائدة: ٥٢].

من قوله: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾ [المائدة: ٥٢]، إلى قوله: ﴿فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ [المائدة: ٥٢]؛ تعني أنه يجب أن نكون واعين أمام من تنطلق من أفواههم هذه العبارات من كبير أو صغير، من يدّعي أنه خائف علينا منهم، أو من يدَّعي أنه خائف على نفسه منهم، فيريد أن يجمّد المسلمين، ويجمد أي حركة للمؤمنين، فليتوقف كل صوت يكون معادياً لأوليائه، هذه في حد ذاتها تخلق لدينا وعياً أن كل من انطلق مسارعاً فيهم، وتحت أي عنوان؛ إنما هو ممّن في قلوبهم مرض، وما يقوله؛ إنما هو مجرد كلام.

٢- الموقف الرسمي للأنظمة:

في مقدمة العوامل السلبية المؤثرة على موقف الأمة؛ يبرز التعاطي الرسمي للحكومات والدول والجيوش والزعماء في العالم الإسلامي- في الأعم الأغلب- تعاطت تعاطيًا سلبيًّا، لا مسؤولًا مع القضية الفلسطينية، بل التخاذل، التجاهل، حذف القضية عن مستوى الاهتمام بها، وتحويلها إلى قضية هامشية، وأحياناً الاكتفاء بمجرد الاستغلال بالشكل الذي لا يضر بالعدو الإسرائيلي، بل مستوى الاستهلاك والاستغلال في حالة ترميز أو ما شابه لدى الشعوب الإسلامية.

على المستوى الأعم الأغلب لعبت الحكومات العربية والإسلامية- إلا القليل منها- دوراً سلبيًّا في إضعاف الموقف العام للأمة الإسلامية، وكان من ضمن التعاطي السلبي، هو إقصاء الشعوب عن أن يكون لها دور تجاه هذه القضية التي تعنيها، والتي تتحمل مسؤولية تجاهها، ثم لعبت الحكومات- في الأعم الأغلب- الدور السلبي المتواطئ؛ لتصفية هذه القضية، وتهميشها، ومن ثَمَ تصفيتها، وإشغال الشعوب بقضايا ثانوية أخرى، وإغراقها في مشاكل من الداخل تلهيها، وتبعدها عن الالتفات إلى قضية بهذا الحجم، والتي تمثل القضية المركزية والرئيسية للأمة.

الحكومات العربية- في الأعم الأغلب- الحكومات الإسلامية إلا القليل منها خذلت الشعب الفلسطيني على كل المستويات، على المستوى الدعم السياسي، الدعم المعنوي، الدعم المادي، تواطأت مع العدو، والبعض منها أقام علاقات قوية وحميمة مع إسرائيل، البعض في السر والبعض في العلن، والبعض قام بدور مشبوه في كثير من المواقف التي تُضعف الموقف الفلسطيني، وتساعد الإسرائيليين على استحكام سيطرتهم، فالتعاطي الرسمي (اللامسؤول) للحكومات كان سبباً مهماً في أن يكون موقف الأمة الموقف العام موقفاً سلبيًّا، لا يليق بها، ليس في مستوى المسؤولية، بل يساعد العدو الإسرائيلي على أن تستحكم قبضته، ومن يتابع يعرف، من يتابع الموقف الرسمي للحكومات العربية الإسلامية- في الأعم الأغلب- إلا القليل القليل منها.

٣- الواقع الداخلي للأمة:

الواقع الداخلي للأمة الإسلامية- أيضاً- له أثر كبير جداً في إضعاف موقف الأمة، وفي أن تكون الشعوب في واقعها الداخلي أشبه ما تكون مكبلة ومقيدة عن أي تحرك جاد في مستوى المسؤولية، وفي مستوى المظلومية الكبرى للشعب الفلسطيني العزيز، وفي مستوى المسؤولية تجاه المقدسات بكل ما للمقدسات من رمزية ومكانة وأهمية كبيرة في الوجدان الإسلامي وفي المشروع الإسلامي الكبير.

الواقع الداخلي للشعوب العربية والإسلامية- في الأعم الأغلب- واقع ملؤه الظلم والمعاناة والشقاء، واقع يسودهُ حالة كبيرة من التفرق، حالة كبيرة من غياب الوعي، لا يوجد مشروع يبني الأمة بناءً سليماً صحيحاً، غياب الهدف في واقع الأمة، حكومات أقامت واقعها على الاستبداد والظلم، وبالتالي كان كل همها إضعاف شعوبها؛ لتكون هي القوية والأقدر على التحكم بشعوبها؛ لتمارس الاستبداد، وتمارس الظلم، وتستطيع أن تبقى في موقع الحكم، في موقع الدولة، في موقع المسؤولية.

٤- قصور النظرة تجاه الخطر الإسرائيلي:

في مقدمة ما نحتاج إليه النظرة الواعية، النظرة الواعية هي أولى متطلبات الموقف الصحيح السليم تجاه هذه القضية، وأهم مرتكز لها قراءة الواقع، متابعة الأحداث، المتابعة الصحيحة والعميقة والواقعية، والرجوع إلى القرآن الكريم فيما يقدّمه من هدىً ونور وبصائر، وفيما يرسمه من مواقف حكيمة وسليمة وصحيحة، عمقها هو حكمة الله- سبحانه وتعالى-، الخبير بعباده، الحكيم بعباده الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، ومع هذه الرؤيا التي يرسمها الله في القرآن الكريم من عمق حكمته، من رحمته، الموقف الإلهي الذي هو سند لتلك الرؤية القرآنية.

ممّا تعانيه شعوبنا المسلمة وشعبنا العربي الكبير تجاه قضية الصراع العربي الإسرائيلي، صراع الأمة الإسلامية مع العدو الإسرائيلي هو ضبابية الرؤية، ليس هناك متابعة جادة وإدراك واعٍ لحجم هذا الخطر، الخطر الإسرائيلي الأمريكي؛ لأن هناك تلازم، تلازم تام بين الخطر الأمريكي والإسرائيلي، أمريكا هي الداعم الأساس، الداعم الأكبر لإسرائيل، هي تمثل الأم والأب للكيان الإسرائيلي، توفر له كل أشكال الدعم على المستوى السياسي، على المستوى العسكري، على المستوى الاقتصادي، وهي تلعب دوراً كبيراً في الضغط على الحكومات العربية، وفي إرغامها أحياناً، وإقناعها أحياناً أخرى في تبنّي مواقف لمصلحة الإسرائيليين تخدم التوجه الإسرائيلي، تدجّين الشعوب العربية، وتهيئ المجال لإسرائيل للقيام بخطوات أكثر وأكثر في ظلم الشعب الفلسطيني، وفي السيطرة على الأرض، وفي بناء الجديد من المستوطنات، وفي بناء الكثير الكثير من المستوطنات.

الخطر الإسرائيلي الأمريكي يجب أن تكون النظرة إليه إلى أنه خطر على الأمة الإسلامية بكلها، وخطر على مقدساتها أجمع، ليس خطراً يقتصر على الواقع الفلسطيني، على الشعب الفلسطيني، الإسرائيليون يجعلون من المنطقة الفلسطينية، من الأرض الفلسطينية مرتكزاً يجثمون عليه؛ لينطلقوا من خلاله، ليصلوا بكل شرهم وفسادهم إلى المنطقة العربية بكلها، ويستحوذون على الواقع العربي بكله، يكونون هم الأكثر تأثيراً، والأبرز نفوذاً والأكثر سيطرة وتغلباً..، هذا واضح، وهذه النظرة الواعية التي يجب أن تكون قائمة لدينا جميعاً، ندرك من خلالها مسؤوليتنا في مواجهة هذا الخطر الذي هو خطر على أمتنا بكلها، خطر على شعوب

المنطقة بكلها، ليس- فقط- على الشعب الفلسطيني العزيز المظلوم، ليس- فقط- على الأقصى الشريف ثالث الحرمين، بل هو خطر على الحرمين الشريفين، على كل المقدسات، على الأمة بكلها، على شعوب المنطقة بكلها.

إدراك الأمة لهذا الخطر، الإدراك العميق سيكون عاملاً مساعداً على التحرك الجاد، خاصة أن الأمة تفقد الجدية في مواجهة هذا الخطر، وإلا فالمنطقة العربية بكلها تدرك أن إسرائيل عدو، وإن كان هناك سعي حثيث لتغييب هذا من الذهنية العربية تماماً،- أيضاً- يجب أن تكون النظرة الواعية إلى طبيعة التحرك الإسرائيلي الأمريكي إلى أنه تحرك واسع وشامل، ليس- فقط- التحرك الإسرائيلي والخطر الإسرائيلي، لا يتمثل- فقط- في احتلال فلسطين وفي تهديد بعض المقدسات، هو أكبر من هذا، مع أن المستوى كافٍ في أن تتحرك كل الأمة لمواجهته، وهو مع ذلك خطر واسع وشامل، يستهدف الأمة في كل مقومات نهوضها ونهضتها.

يتحرك في كل الاتجاهات وفي كل المسارات، يجب معرفة هذا التحرك بشكل كبير ومهم، والكثير يعرف؛ لكن لا تتوفر العوامل المعنوية للقيام بالمسؤولية، الكثير يعرف الخطر الإسرائيلي والأمريكي، الذي لا يقتصر- فقط- بمقدار ما يحتلونه من أرض، أو بمقدار حرصهم على التموقع والتمركز في منطقتنا العربية لأهميتها الجغرافية، لأهميتها الاقتصادية، فيما تختزنه في باطنها من ثروة هائلة من النفط وخيرات أخرى، وعلى ظاهرها كذلك.

المبحث الثاني: مجالات الصراع وطرق المواجهة

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ [النساء: ٤٤]، يتحدث عن اليهود أنهم يبيعون الكتاب، ويستبدلونه بالضلالة، وهذه في حد ذاتها من مثيرات الغرابة والعجب منهم؛ لأنهم أوتوا نصيباً من الكتاب، والمفترض أن يترك الكتاب أثره الطيب فيهم؛ لكنهم نفسيات أخرى؛ وتعاملوا مع الكتاب تعاملًا آخر حتى أصبحوا يشترون به ضلالًا، ومن يشتري ضلالاً فلن يصدر منه إلا ضلال: ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾، لن يعطوا الناس إلا ضلالًا، ويريدون أن يضل الناس في كل سبيل: ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾، سبيل الحق في مجال هدى الله، في المجال الثقافي، في سبيل العزة، سبيل النمو الاقتصادي، سبيل التطور، سبيل وحدة الكلمة، كل السبل الصحيحة، فيتجهون إلى ما هو ضلال وضياع.

﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾، عندما يقول كلمة، وتبدو أنها جميلة وجذابة أو عندما يعمل شيئاً يبدو وكأنه خدمة إنسانية؛ افهم- القضية مرتبطة بإيمان الإنسان بالله وثقته بأنه يعلمهم، ويعلم نفسياتهم وأهدافهم- إنهم يريدون أن تضل السبيل الصحيح، وكلمة: (السبيل) كلمة عامة؛ أي: سبيل الخير، سبيل الحق، في مجال التثقيف، في مجال التنمية الاقتصادية، في مجال بناء الأمة وتوحيدها: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾ [النساء: ٤٥].

وفي موضوع الضلال، القرآن الكريم قدّم لنا كيف يكون الضلال، انه عادةً يتقمص ثوب النصيحة والخير والحق، وهذا شيء واضح في القرآن، تحدث عنه أكثر من مرة، وهي قضية هامة: أن نعرف كيف يتم الضلال، حتى لا يوجد ارتياب واضطراب، عندما يقدمون مشروعاً معيناً أو كلامًا يبدو أنه كلام جميل، فهكذا الضلال يعمل، لا أحد من المضلين، سيقول: «أنا أريد أهلكك، أدمرك، أخدعك، أحتل بلادك»، بل سيقول: «خدمة إنسانية، وتعاون مع المجتمع، وتنمية المجتمع»، وأشياء من هذه، الله يقول: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾، إذاً؛ لنثق

بالله أنه أعلم بهم، وهو قدم ما يريدون، وهذا من أدق الأشياء أن يقدم ما يريدون عندما يقول: ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾، هذا تقرير شامل عن العدو؛ بمعنى أن كل تحركاته ستكون بأن يضيّع الأمة والناس، يجعل الأمة منحطة، أمة متلاشية متخلفة، لا تقوم لها قائمة.

هنا يقدِّم معلومات وافية عن اليهود، وفي الوقت نفسه يوجه الناس إلى أن يعتمدوا عليه، ويلتجؤوا إليه، وأن يهتدوا بهديه، وأن يتولّوه، وينتصروا به: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا (٤٥) مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ [النساء، ٤٥، ٤٦]، أن تأتي في هذا المقام هو للأهمية، وفي الوقت نفسه أن تعلم أنه ولي وناصر من الأعداء الذين هو يعلمهم، وهو ولي وناصر يكفيكهم؛ إذا سار الناس على هديه، وتولوه، وانتصروا به، واعتصموا به.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ [النساء، ٤٤]، و-أيضًا- من مظاهر إضلالهم في الجانب الاقتصادي أن يصبح الربا مستساغاً في أوساط المسلمين، ومستساغاً في التعامل بين تجار المسلمين وفي بنوكهم، ويصبح طبيعياً، وحتى بدون استنكار الكثير، مع أن الربا من أكبر الجرائم. الربا مرتبط بالجانب الاقتصادي هذا مما يؤكد أن الإسلام يهتم جداً فيما يتعلق بالجانب الاقتصادي للمسلمين. الربا أضراره كثيرة جداً في واقع الحياة بالنسبة للمسلمين يؤدي إلى تفكيك العلاقات فيما بينهم، جاء الإسلام ليقضي على الربا، حتى ورد في الحديث: «الدرهم من ربا أعظم عند الله من خمسة وثلاثين زنية، أهونها أن تزني بأمك عند الكعبة»؛ لأن الجانب الاقتصادي بالنسبة للمسلمين مهم في أن يستطيعوا أن يقفوا في مواجهة أعدائهم، ويقوموا بواجبهم وبمسؤوليتهم أمام الله من العمل على إعلاء كلمته ونصر دينه، ونشره في الأرض كلها.

ولأن القضية مع أهل الكتاب هي قضية مواجهة حقيقية في شتى ميادين الصراع عسكري، اقتصادي، سياسي، ثقافي، إعلامي؛ ولأن الآيات كلها تسير في إطار أو في سياق خلق وعي لدى المؤمنين، هدى من الله يسيرون عليه، حقائق تتكشف أمامهم؛ لتؤهلهم لأن يكونوا هم من يهاجم أولئك، من يضرب أولئك.

١- المجال الاقتصادي:

إن الأمة أصبحت في صراعها مع اليهود في صراع حضاري، لم يعد صراعاً عسكرياً- فقط-، أصبح صراع أمة، صراع حضارة؛ لذا لا بد لهذه الأمة أن تتجه نحو (الاكتفاء الذاتي)؛ لتعتمد على نفسها في مجال غذائها؛ فتهتم بالزراعة، تهتم بالتصنيع، في كل المجالات، تهتم بالتصنيع العسكري، تهتم بالتصنيع في مختلف الأشياء التي يحتاجها الناس؛ لتكون بمستوى المواجهة، تهتم أن تنشئ جيلاً يعرف كيف ينظر إلى الغرب، جيلاً يحمل العداء لأعدائها، يصبح بالعداء لأمريكا، بالعداء لإسرائيل، وتبني نفسها؛ لتكون بمستوى المواجهة.

إن مما يتحركون فيه ويمثل خطراً كبيراً على الأمة: استهداف الأمة في اقتصادها، هم لا يريدون لنا أي خير، لا يريدون لنا أي رخاء، أي تقدم، هم لا يريدون إلى أن نصل إلى مستوى أن نصنع لأنفسنا، أو أن نحقق الاكتفاء الذاتي في الاحتياجات الأساسية لحياتنا، وفي مقدمتها مجال الزراعة: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٠٥]، يستهدفون الأمة في اقتصادها بأشكال كثيرة، نهب الثروات، مَن هو أكبر مستفيد من النفط العربي؟ هم الأعداء. ما مدى استفادة الأمة العربية من نفطها؟ صفر، استفادة محدودة جداً. ما مدى استفادة الأمة العربية من كل ثرواتها؟ مَن الذي يفرض سياسات اقتصادية تضرب الأمة وتضعف الأمة، فلا يكون لها أي اقتصاد، ولا أي نمو اقتصادي حقيقي يجعلها في مستوى المسؤولية، في مستوى المواجهة، في مستوى مواجهة الأخطار والتحديات؟ يتحوّل الواقع داخل الأمة الإسلامية في الحال- الأعم الأغلب-، وفي كثير من الشعوب العربية بالنسبة للواقع الاقتصادي إلى واقع صعب جداً، والبعض من الدول العربية تعيش تحت خط الفقر، لا تستفيد الأمة العربية من أي ثروة من ثرواتها، هل هي أمة بدون ثروات؟ ليس هذا صحيحاً. مَن يتحدثون عن نقص حاد في الموارد الاقتصادية هم يكذبون على الشعوب، الأمة العربية غنية بمواردها، اليمن نفسه غني بموارده، يملك احتياطياً كبير من النفط والغاز، الغاز يمثل احتياطيًّا كبيرًا جداً في اليمن، الثروة البحرية نفسها الثروة السمكية؛ لكن أين تذهب معظم تلك الثروات؟ مَن الذي لديه إحصائية صحيحة ودقيقة عن مستوى الإنتاج النفطي؟ أين يذهب معظمه؟ أين تذهب معظم الأموال من تلك الموارد؟

الواقع أن الحال السائد هو أن الكثير من تلك الموارد تُنهب فيما يتوفر منها، لا تُستغل بالشكل الصحيح، لا توجد سياسيات اقتصادية سليمة وصحيحة لبناء اقتصاد وطني صحيح لا في اليمن، ولا في معظم الشعوب العربية، حتى الشعوب العربية التي فيها شيء من الرخاء الاقتصادي في حدود أنها أسواق، أسواق ضخمة؛ لكن هل هذا الرخاء الاقتصادي؛ لأننا أمة منتجة، منتجة اقتصاديًّا، مصنعون، مستفيدون من مواردنا، من خيرات أراضينا فيما في الباطن وفيما في الظاهر؟ ليس كذلك، سياسات اقتصادية سيئة، لا توجد أيادٍ أمينة تحفظ للشعوب تلك الثروة، ولا سياسات حكيمة، ولا يُراد لهم ذلك، ليس هناك لا إرادة ولا جدية في اعتماد سياسات اقتصادية سليمة تبني وضع الأمة الاقتصادي من الداخل، فتكون أمة منتجة مصنِّعة، محققة لنفسها الاكتفاء الذاتي على مستوى الزراعة، بل سياسات تزيد من إفقار الشعوب من إفقار الدول، سياسات قائمة على اعتماد القروض الربوية المرهقة والمكلفة، وتبديد تلك الأموال التي يحصلون عليها من خلال القروض في أشياء ليس لها عائد، لا تنتج، لا تفيد، ليس لها عائد اقتصادي على الشعب، هل هم يفترضون تلك الأموال الكثيرة والهائلة المرهقة للشعب- والتي هي ربوية-؟ هل هم ينفقونها ويفعلونها ويستغلونها فيما له عائد يسددها ويعود على لشعب بالكثير الكثير من الخير؟ أبداً؛ إنما يرهقون الشعب أكثر فأكثر.

وتعتمد السياسة الغربية التي توظف الجانب الحكومي للحكومات العربية؛ لتنفيذها، تعتمد تلك السياسات على إفقار الشعوب العربية، وتجويلها - في الحال الكثير - مع التخريب الأمني، مع إثارة الحروب إلى مخيمات لاجئين، ثم تعتمد على منظمات تقدم القليل القليل في مقابل الكثير الذي يُنهب من ثروات هذه الشعوب؛ يعني تُجوِّل الشعوب العربية والدول العربية إلى دول متسولة في البعض، وسوق في البعض الآخر، وهكذا.

الأمة عندما تضعف اقتصادياً، تضعف بالتالي في مواجهة أعدائها، ثم تُستغل حالة الفقر والظروف الصعبة داخل الشعوب العربية لشراء الناس، لشراء مواقفهم، على قاعدة: «جوِّع كلبك يتبعك»، يجوّلون الشعوب العربية، ينظرون إليها هكذا، أنها مورد، الشعوب نفسها ثروة بشرية تُستغل، يعمدون إلى استهدافها في قيمها، في أخلاقها، يضعفونها، يفقرونها، ثم يحاولون أن يستغلوا الكثير منها في سبيل الدفع بهم إلى مواقف تضربهم من الداخل، تضعفهم من الداخل، تشتتهم، تعمق حالة العداء فيما بينهم استغلالا، وهذا ما يريدونه.

أمة واسعة يريدون أن يستغلوا فيها كل شيء، الأرض، الثروة، الموقع الجغرافي، وحتى البشر يعتبرونهم مجرد ثروة تُستغل، ويريدون لهم حتى في المستقبل أن يجندوا الكثير منهم لمواجهة قوى، ومواجهة دول تناهض الهيمنة الأمريكية والإسرائيلية، والسياسات الأمريكية والإسرائيلية.

النظرة الصحيحة التي يجب أن تكون قائمة لدينا كمجتمع مسلم، كأمة عربية وكأمة مسلمة؛ أن نعرف أن أولئك يحملون حالة عداء شديد؛ مهما سوّقوا في وسائل إعلامهم أنهم أصدقاء، وأنهم يريدون إقامة علاقات طبيعية، أبداً. هم ماكرون، أما الواقع فهم يحملون حالة عداء وحالة عداء شديدة جداً: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢].

هذا بالنسبة للخير في هذا الجانب الاقتصادي في جانب ما نستهلكه في مجال الغذاء، الدواء كذلك معظم الأدوية من شركات أجنبية، واليهود معلوم بأنهم هم أصحاب رؤوس الأموال الكبيرة المسيطرة على قطاعات واسعة من الاقتصاد في أمريكا وفي دول الغرب، في أوربا وغيرها، يحملون عداوةً شديدةً لكم فهم لا يودون لكم أي خير، لأنهم أناس لا تعرفهم ولا بينك وبينهم معرفة، أنت لا تودهم، ولا تبغضهم، ولا تعاديهم، ولا تواليهم، وهم دائماً دائماً مستشعرون هذه العداوة تجاهكم.

الصرخة وحدها تنبع عن سخط شديد، ومن يرفعونها يستطيعون أن يضربوا أمريكا، يضربوها اقتصاديًّا قبل أن تضربهم عسكريًّا، والاقتصاد عند الأمريكيين مهم، يحسبون ألف حساب للدولار الواحد.

إن هؤلاء بإمكانهم أن يقاطعوا المنتجات الأمريكية، أو منتجات الشركات التي لها علاقة بالأمريكيين، وباليهود أو بالحكومة الأمريكية نفسها، وحينئذ سيرون كم سيخسرون؛ لأن من أصبح ممثلًا سخطًا ضد أمريكا وضد إسرائيل أليس هو من سيستجيب للمقاطعة الاقتصادية، والمقاطعة الاقتصادية منهكة.

من واجب العلماء أن يلحوا في هذا المجال؛ لأنه اتضح جليًّا أن الأمة لا تستطيع أن تدافع عن دينها، ولا تستطيع أن تدافع عن نفسها، وهي لا تزال فاقدة لقوتها الضروري الذي يعتمد

أساساً على الزراعة، وليس الاستيراد. أصبح شرطاً، وأصبح أساساً، وأصبح ضرورياً الاهتمام بجانب الزراعة في مجال نصر الإسلام أشد من حاجة المصلي إلى الماء ليتوضأ به. هل تصح الصلاة بدون طهارة؟ إذا لم يجد الماء يمكن أن يتيمم، فيصلي. ما دمنا مفتقدين تأمين غذائنا؛ فلا نستطيع أن نعمل شيئاً، ولو كانت كل الصحاري (قات)، ولو كانت كل الجبال (قات)، لا نستطيع أن نقف موقفاً واحداً ضد أعداء الله، أصبحت حاجتنا إلى الغذاء أشد من حاجة المسلمين إلى السلاح في ميدان وقفتنا ضد أعداء الله.

لا تستطيع أن تقف على قدميك، وتصرخ في وجه أعدائك، وأنت لا تملك قوتك الضروري، وإنما قوتك كله من عندهم، ولكن نحن نقول: إن اتخاذ المواقف هو في الوقت نفسه من مقدمات العودة إلى الله- سبحانه وتعالى-، أو بداية العودة إلى الله، لنعد إلى أنفسنا، فنراه سبحانه وتعالى يطلب منا ويأمرنا بأن نكون أنصاراً لدينه، وأن نعتصم جميعاً بحبله، وأن نكون أمة تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، تدعو إلى الخير، وتقوم بهذه المهمة في الناس جميعاً، فأملنا كبير في الله- سبحانه وتعالى- أن يعيد إلينا بركات السماء والأرض، فيستطيع الناس أن يعودوا إلى زراعة الحبوب، وزراعة مختلف الأصناف من الثمار التي هم بحاجة ماسة إليها؛ لأنها قوتهم الضرورية.

مثلاً نجد في موضوع: الربا، والربا من أكبر الجرائم، وأكبر الكبائر عند الله، ومن أكثر الممارسات التي يعملها كثير من الناس، ومن أكثرها ضراً على عباد الله، الربا، الربا الذي جعله اليهود يصل إلى كل بيت من بيوتنا، البنوك في البلدان العربية تتعامل بالربا، البنوك المركزية التي تنطلق منها عملات أي دولة عربية تتعامل بالربا، وكل عملة في جيبك مصبوغةٌ بالربا، وكل لقمة تأكلها الآن، وكل حاجة تستخدمها من إنتاج شركة معينة، أو تمويل تاجر معين مصبوغة بالربا، مصبوغةٌ بالربا.

والمعروف عن اليهود أنهم في تاريخهم التجاري والاقتصادي معروفون بالربا، وبالتعامل بالربا، لقد استطاعوا أن يوصلوا الربا إلى كل بيت، ناهيك عن كل قطرٍ من الأقطار العربية: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، للأسف هذا الربا مما هو منتشر في الدنيا بشكل رهيب، وداخل البلاد الإسلامية حتى أصبح ـ تقريباً ـ تعاملاً شبه طبيعي، وكأنه لا يمثل أي منكر من المنكرات، وكأنه ليس فيه أي ضر من الأضرار.

تأملوا جيدًا؛ لنرى الحرب التي يشنها الله على الناس؛ لأنهم استساغوا الربا، المسلمون أنفسهم استساغوا الربا، وهذا من آثار عمل اليهود، اليهود بخبثهم، اليهود هم المعروفون بالربا من مئات السنين؛ لكن بطريقتهم الخبيثة بالإضلال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ [النساء: ٤٤]؛ لكن هكذا بطريقتهم الخبيثة، حتى يصبح الربا مستساغاً في أوساط المسلمين، ومستساغاً في التعامل بين تجار المسلمين وفي بنوك أموال المسلمين، ويصبح طبيعيًّا، ولا حتى الاستنكار الكثير من جانب علمائنا، من جانبنا كطلاب علم،- أيضًا- لم يعد هناك قضية تدفعنا إلى الاهتمام أن نستنكرها، والربا شديد جدًا، الربا من أكبر الجرائم، أوليس شيئًا مرتبطًا بالجانب الاقتصادي؟ هذا مما يؤكد: أن الإسلام يهتم جدًا فيما يتعلق بالمسلمين بالجانب الاقتصادي لعباد الله، بالجانب الاقتصادي للمسلمين.

ثم أين البدائل؟ هل هناك في أموالنا، هل هناك من محافظات أخرى داخل بلادنا منتجات أخرى؟ نحن أصبحنا نحارب حتى في قوتنا..، مَن الذي أوصلنا إلى هذا؟ هم المرابون الذين ثقفهم اليهود، والذين استساغوا الربا على أيدي اليهود، ونحن قلنا أكثر من مرة أنه هكذا يعمل اليهود، يضلونا من حيث لا نشعر، يضربوننا من حيث لا نشعر، يفسدوننا من حيث لا نشعر، يدوسوننا بأقدامهم، ونحن لا نحس بشيء، هذا هو ما يحصل.

كيف لو بُعث رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله من جديد إلى هذه الحياة، ورأى أمته هذه المنتشرة في مختلف بقاع العالم تأكل ربا، وتتعامل بالربا..، كيف سيكون شعوره أمام هذه الأمة؟ سينظر هل ربما أن القرآن غير موجود، ربما هم لم يطلعوا على آية كهذه، ثم يرى أن القرآن- أيضًا- ما يزال داخل بيوت أعضاء المجالس الإدارية للبنوك، أو مجموعة من التجار أصحاب بنك يتعاملون بالربا، المصاحف داخل بيوتهم، وهم من يبنون- أيضًا- حجرات خاصة للصلاة في بعض البنوك، وفيها مجموعة من المصاحف داخل مبنى البنك، يحصل هذا في بعض البنوك.

أين نحن من آية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ

أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة، الآيتان ٢٧٨، ٢٧٩]، وقد أصبح الربا عندنا مستساغاً، وأصبح شيئًا مألوفاً لدينا..، هذا هو الترويض من قبل اليهود الذين يروضوننا شيئًا فشيئًا إلى أن يصبح كل فساد من جانبهم مستساغًا، ويلطموننا لطمة بعد لطمة، صغيرة، ثم أكبر منها ثم أكبر ثم أكبر حتى تصبح الركلة بالقدم مقبولة ومستساغة، خيثهم شديد.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [البقرة، الآيات ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩]، إذاً؛ أليست هذه ناحية عملية؟ هناك بين: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة، ٢٧٥]، حرم الربا، هل انتهت المسألة إلى هذه، أو أن هناك موقفاً عملياً؟ ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾ [البقرة، ٢٧٦]، هذه واحدة، إضافة إلى هذه: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [البقرة، ٢٧٩].

إذاً؛ فهناك حالة من الحرب قائمة فيما بينكم من جانب، والله- سبحانه وتعالى-، ورسوله من جانب آخر: ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، وبكل تأكيد عندما يكون الله هو حرب عليك، ورسوله حرب عليك، إنك أنت المهزوم والخاسر، حرب من جهة الله، وهي عندما يتأمل الإنسان واقع البشر الآن- فعلاً- تلمس أن هناك حرباً، حرباً إلهية على الناس؛ لأن تعاملهم في الغالب، في أكثر الدنيا هذه قائم على الربا! فتجد حالات من الغلاء الرهيب، حالات من الكساد التجاري عند الدول المصنِّعة، عند الدول الغنية! غلاء شديد، وكساد لكثير من التجارات، لكثير من الصناعات بشكل رهيب.

﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا﴾ وحرب الله إذا ما دخل في حرب مع الناس فإن له جنود السماوات والأرض يحاربك من كل جهة، من حيث تشعر ومن حيث لا تشعر، يحاربك في نفسك، يحاربك في داخل أسرتك، يحاربك في سيارتك، يحاربك في مضختك، يحاربك في مزرعتك، يحاربك داخل مصنعك، يحاربك في كل شيء، ألسنا نرى آثار الربا حتى فيما يتعلق بالتصنيع؟ ألم يهبط مستوى الإنتاج، مستوى الجودة؟ هبطت

مستوى الجودة في الإنتاج فأصبح ما في أسواقنا منتجات مما نسميها تقليد، مما كان قد لا يقبله الإنسان قبل زمان ولا بالمجان، غابت المنتجات الجيدة، وتدنت مواصفات المصنوعات في مختلف المجالات، والغلاء أصبح منتشرا في الدنيا كلها، غلاء منتشر، لم يفهموا ما هي أسبابه؟.

في [اليابان] نفسها التي هي من الدول المصنعة الكبرى، يقال إن الغلاء في [طوكيو] نفسها في العاصمة وصل ببعض البلدان الضعيفة أو الصغيرة أنها لم تستطع أن تستأجر لنفسها سفارات داخل طوكيو وإنما خارجها، غلاء شديد في كل بقعة في العالم. وعندنا أليس هناك غلاء؟ وكل سنة ترتفع الأسعار. لماذا؟ من أين جاء هذا؟ والمعيشة تتدنى، ألم نر الأشياء تصغر؟ ألم تصغر علب الحليب؟ تحول إلى قراطيس صغيرة، علب الشامبو. كثير من المنتجات صغرت، صغرت أليس كذلك؟ والصابون بدأ في قراطيس صغيرة وهكذا تصغر.

ونجد من مظاهر هذه الحرب فساداً تجارياً، غلاء أسعار بشكل رهيب، هبوطاً حتى في مواصفات التصنيع من أجل مواكبة القدرة الشرائية لدى المستهلكين، المنتجات الجيدة ألم تغب عن الأسواق؟ منتجات جيدة من الإلكترونيات وغيرها من الصناعات، والأقمشة، وكثير من الآليات.. ألم تغب عن الأسواق؟. لماذا؟. ألم تهبط الصناعات، وتهبط المواصفات؟. تهبط وكل عام ترى الصناعات تهبط قليلاً قليلاً في مواصفاتها، في جودتها، لماذا؟. نزولاً عند رغبة المشتري، أو تبعاً لقدرته الشرائية؟.

الربا شديد حتى ورد في الحديث ((**للدرهم من ربا أعظم عند الله من خمسة وثلاثين زنية أهونها أن تزني بأمك عند الكعبة**)) درهم واحد من ربا، لماذا؟ لأن الجانب الاقتصادي بالنسبة للمسلمين مهم في أن يستطيعوا أن يقفوا في مواجهة أعدائهم، في أن يستطيعوا أن يقوموا بواجبهم وبمسؤوليتهم أمام الله من العمل على إعلاء كلمته ونصر دينه، ونشر دينه في الأرض كلها.

الإنسان إذا كانت معيشته صعبة، المجتمع إذا كانت معيشته قلقة يكاد هذا هو ما يصرفه حتى أن يرجع هو نفسياً إلى الله، منشغل كيف يوفر لأهله القوت، كيف يوفر لأسرته حاجياتهم، ولا يفكر بأن يستمع إلى مواعظ. إلى أن يهتدي إلى أن يحضر إلى مجلس علم، أو يحضر إلى مدرسة يستفيد منها بل تأتي لتعظه وذهنه مشغول، ذهنه مشغول، تأتي الأمة في زمن كزماننا هذا فترى أعداءها يهددونها وترى الضربات داخلها هنا وهناك ثم تنظر إلى أنفسنا فإذا بنا لا نستطيع أن نقف على أقدامنا، والجانب الاقتصادي لنا منهار.

لأهمية المال في بناء الأمة وفي أن تنطلق الأمة في مواجهة أعدائها وأن تنطلق الأمة في القيام بمسؤوليتها، ولأثر الربا السيء فيما يتعلق بهذا الجانب الله قال: إنه سيحارب، هل يسمعها أصحاب البنوك؟ هل يسمعها التجار؟ هل يسمعها الناس جميعاً؟ هل يرون آثارها في أنفسهم وفي الحياة؟ آثار الحرب الإلهية؟ نحن نرى آثار الحرب الإلهية في كل شيء.

﴿فَأْذَنُوا﴾ إيذان أي: إعلام، ﴿بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾، أليست المعيشة كل عام تكون أصعب؟ والبركات كل عام أقل؟ والنفوس كل عام أشد تباينا؟ والقلوب أشد اكتظاماً وأشد ضيقاً؟ الصدور تضيق، النفوس تتباين، المعيشة تشتد، والمنتجات تتدنى، و(الحب) هذا نفسه الذي لا نحصل عليه إلا من الخارج نرى أنفسنا نرى الكثير لا يستطيع أن يشتري إلا نصف كيس وهو كل ما يملك داخل البيت، هل هناك احتياط من الحبوب داخل البيوت؟ لا.. بل ولا كيس واحد نصف كيس دقيق ثم ربع كيس ثم سيصل الناس إلى الكيلو وقد بدأ البيع بالكيلو للدقيق.

الربا هو ضرب الناس حتى ضرب الصناعات فأصبحنا بدل من أن كنا نتمتع بكثير من الصناعات الجيدة، ذات المواصفات الجيدة، في مختلف المجالات، ها نحن نغلب على أسواقنا منتجات مواصفاتها رديئة، ومتى ما رأينا قطعة جيدة (أصلية) من أي منتج، ورأينا سعرها مرتفعاً ألسنا نخرج من المعارض؟. ونقول: هذا سعره مرتفع، الحقيقة أنها أصلي لكن سعرها مرتفع، والآخر قال: جيدة لكنها غالية، والتاجر صاحب المحل في الأخير لا يستورد منها، صاحب المصنع في الأخير لا يعد ينتجها، يحاول أن ينتج إنتاجا آخر يتماشى مع حالة الناس.

فنحن في حرب مع الله، والله في حرب معنا بسبب المرابين، بسبب التجارة التي تقوم على الربا؛ لأن أولئك المرابين ليسوا ممن يتذكرون نعمة الله، وليسوا ممن ينطلقون في شكره؛ لأن من يتذكر بأن ما يتقلب فيه من أموال التجارة هو نعمة من الله عليه، سيحاول أن يبتعد عن المحرمات في التعامل، سيبتعد عن الربا.

مثال: البنك الدولي والقروض:

خدعة البنك الدولي والقروض: (خدعة الصهاينة في الاستحواذ على الذهب العالمي):

بعد الحرب العالمية الثانية تم تنظيم مؤتمر في الولايات المتحدة الأمريكية، تم فيه الاتفاق على معاهدة (بريتون وودز) الدولية عام ١٩٤٤م، وبموجب هذا المؤتمر، ومعاهدة (بريتون وودز)، تم إنشاء البنك الدولي وصندوق النقد الدولي.

صندوق النقد الدولي هو وكالة متخصصة من منظومة: (بريتون وودز) تابعة للأمم المتحدة، أنشئ للعمل على ما يسمى دعم الاقتصاد العالمي الجديد، وفي الواقع البنك الدولي يديره الأمريكان اليهود، بينما يدير صندوق النقد الدولي الأوروبيون اليهود، كما سيأتي بيانه في السطور القادمة.

بعد ثلاث سنوات في عام ١٩٤٧م؛ تم اعتماد الاتفاقية العامة للتعريفات الجمركية والتجارة المعروفة بـ (جات) بعد إجراء مفاوضات لتحرير التجارة، بهذا الترتيب قبلت الولايات المتحدة الأمريكية إدارة الاقتصاد العالمي بصفتها القوة العظمى الوحيدة على مستوى العالم التي صعدت بشكل قوي بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، وتراجع نفوذ بريطانيا، وعلينا العودة قليلاً إلى الخلف لمعرفة ما هي معاهدة (بريتون وودز)، وعلى ماذا يقوم النظام المالي الحالي بقيادة الدولة الحاكمة للعالم حالياً (أمريكا).

مؤتمر النقد الدولي (بريتون وودز) عام ١٩٤٤م؛ تم فيه سحب الذهب من التعامل المباشر من أيدي البشر، واستبدال الذهب بالأوراق النقدية، وقد تعهدت الولايات المتحدة الأمريكية في اتفاقية (بريتون وودز) أمام دول العالم بأن من يسلمها خمسة وثلاثين دولارًا، فيما بعد تسلمه تغطية الدولار من الذهب، وهي أوقية (أونصة) من الذهب؛ أي تم تحديد سعر الدولار على أن يكون (٣٥ دولاراً = أوقية من الذهب).

الدولار بعد هذه الاتفاقية صار يسمى: (عملة صعبة)! وصار العالم كله أفراداً ودولاً يثق بالدولار باعتباره عملة للتداول؛ لأنه مطمئن أن الولايات المتحدة ستسلمه ما يقابل ورق الدولار من الذهب عند الطلب، واستمر الوضع على هذا حتى خرج الرئيس نيكسون فجأة

على العالم، وصدم سكان الكرة الأرضية أفرادًا وشعوبًا وحكومات بأن الولايات المتحدة لن تسلم حاملي الدولار ما يقابله من ذهب، وأن الدولار سيُعوَّمُ؛ أي ينزل في السوق تحت المضاربة وسعر صرفه يحدده العرض والطلب، وحينها قالوا: تم إغلاق نافذة مبادلة أمريكا دولاراتها بما يقابلها من ذهب، وسميت هذه الحادثة الكبيرة عالميًا (صدمة نيكسون).

إن اتخاذ الرئيس نيكسون هذا القرار دون سابق إنذار للدول والأفراد التي استبدلت الذهب بالدولارات الورقية جعل من يستفيد من هذا القرار هم صناع القرار (اليهود) في أمريكا، الذين جمعوا الذهب من كل سكان العالم بموجب اتفاقية (بريتون وودز.)

وبهذا بقيت الأوراق النقدية مع سكان العالم، ولم يعد من الممكن استبدالها بالذهب، وبقي اليهود الذين يملكون الذهب هم الأغنى، والمتحكمون في الاقتصاد العالمي، بينما يستعبدون الشعوب والدول بأوراق يتحكمون في قيمتها النقدية صعودًا وهبوطًا.

هكذا صعدت أمريكا لتحكم العالم، وتحول النظام المالي العالمي من الذهب إلى أوراق نقدية يتحكم في قيمتها أرباب المال اليهود، ومنذ سبعينيات القرن العشرين سعت البنوك والمؤسسات المالية والنقدية الدولية، وبتشجيع من صندوق النقد والبنك الدولي، إلى البلدان النامية خارج نطاق أمريكا الشمالية وأوروبا الغربية، وأغرتها؛ لكي تقرضها بسخاء شديد؛ كي تمكنها من زيادة وارداتها، وسد العجز في موازين مدفوعاتها.

ومع هذا الإغراء بالاستدانة تصاعد حجم الديون المستحقة على هذه البلاد النامية بصورة دراماتيكية، ومع ارتفاع الديون ارتفع ما يجب سداده منها، حتى وصلت الفوائد الربوية الزائدة إلى أكثر من نصف ما يجب سداده سنوياً، وحين عجزت بعض الدول النامية عن السداد، كما عجزت مصر في الثمانينيات، تولى صندوق النقد والبنك الدولي مع منظمة التجارة والتنمية في الأمم المتحدة (الأونكتاد)؛ التوسط بين الدول المدينة والدائنين من أجل جدولة ديونها.

وبهذه الجدولة يتم توزيع أقساط الدين على عدد أكبر من السنوات، مع زيادة فائدة أخرى على الأقساط الجديدة، وتكون فائدة التأخير هذه أكبر من سعر الفائدة الأصلي الذي تم به الإقراض، وتدور الدائرة مرة أخرى.

وعندما يعجز البلد عن السداد عجزاً مطلقاً؛ تتدخل المنظمات الدولية- التابعة لأمريكا وإسرائيل-؛ لتتولى هي بنفسها تنظيم ماليته، وإصلاح نظامه الاقتصادي، فصندوق النقد الدولي يعني ببرامج التكيف وسياسات الإصلاح النقدية والمالية، والبنك الدولي يعني بدفع التنمية، وبالتالي تتدخل الدول الغربية في كافة شئون الدولة النامية الاقتصادية والتعليمية والسياسية والحكومية والثقافية.

وعندما نقرأ البروتوكول الحادي والعشرين من بروتوكولات صهيون نجده يقول: «ستغرق حكومات الأمميين بالديون عن طريق تشجيعها على الاقتراض على الرغم من أنها قد لا تكون في حاجة فعلية إلى الاقتراض، وذلك عن طريق استغلال فساد الإداريين والحاكمين الأمميين؛ لكي نجني ضعفي أو ثلاثة أضعاف القرض الأصلي، وعندما تظهر حقيقة الدين الكبير جداً، وتضطر الحكومة من أجل دفع فائدة هذا الدين إلى الالتجاء إلى قرض جديد، هو بدوره لا يلغي دين الدولة، بل يضيف إليه دين آخر».

وهناك شروط لصندوق النقد والبنك الدولي التي تفرض على البلد المدين تتلخص فيما يلي:

١- رفع الدعم عن السلع الأساسية والمشتقات النفطية- كأجراء للتكيف المالي-؛ ومعنى ذلك هو إيقاف الدعم الحكومي لأهم السلع التي يحتاجها الشعب مثل: القمح- الدقيق- الأرز- الحليب- والبترول- والديزل- و..إلخ)؛ ومعنى ذلك ارتفاع سعرها في السوق، وبالتالي يزداد الفقراء فقراً والأغنياء غناً؛ كون الفقراء هم الشريحة المستهلكة والأغنياء، وهم شريحة التجار الذين يتاجرون بهذه السلع، بل وتختفي بما يسمى (الطبقة المتوسطة)؛ كونها أصبحت فقيرة.

٢- أن ينفق القرض بنظر خبراء من البنك الدولي في- إطار شفافية العمليات الحكومية وإجراء التكيف المالي-، وهذا يعني أن يذهب كثير من القرض كرواتب للخبراء ونفقات مواصلات وإيجارات وشراء وسائل نقل و.... إلخ؛ أي أنه تدخل سافر في شؤون البلد المدين، ونهب كثير من أموال القرض في أشياء غير ضرورية، وبالطبع بتواطؤ من المسؤولين الكبار في الدولة المقترضة.

٣- ألّا ينفق القرض في الزراعة أو الصناعة؛ لأن اليهود يعرفون أهمية نمو الجانب الزراعي والصناعي في البلد؛ لذلك جعلوا من أهم أولوياتهم في ممارسة نشاطهم عبر البنك الدولي ألّا يحدث نمو اقتصادي حقيقي في البلد المدين أبداً.

٤- عودة تدفق الائتمان إلى القطاع العقاري، وإعادة هيكلة مؤسسات الدولة، والتوسع في الخصخصة، وكلها لها آثار كارثية على الدولة؛ لأنها تعيد هيكلة مؤسسات الدولة بما يجعلها أكثر ضعفاً وغير قادرة على النمو، وبالنسبة للخصخصة؛ فهي من أولى مقدمات تفلت مؤسسات الدولة من يد الحكومة، ودخول المؤسسات الخاصة في صفقات مباشرة مع البنك الدولي ومنظماته، وما يتبعه من فوائد.

٥- تشجيع الاستثمارات الأجنبية المباشرة؛ التي لا يكون عليها قيود من الدولة في تدخل سافر لمقدرات الدولة وإضعافها، وتقليص رقابتها الهامة في التركيز على ما يدخل إلى البلد، وما يتبعه من إقامة سوق تجارية للنقد الأجنبي يزيل سيطرة الدولة على سعر صرفه، وإلغاء القيود المفروضة على الواردات، وتشجيع الاستثمارات الأجنبية بإعفائها من الضرائب والرسوم الجمركية، وإمدادها بالأراضي ومصادر الطاقة والمواد الخام بأسعار زهيدة، والسماح لها بتحويل أرباحها إلى الخارج وتصفية أعمالها متى تشاء، وفي الغالب يكون للصندوق ممثل يقيم في الدولة المدينة، ويشترط الصندوق أن يكون مقره في البنك المركزي أو وزارة الخزانة؛ لكي يراقب عن قرب تطور الأحوال السياسية والاقتصادية داخل البلد المدين.

ولزيادة في توضيح ما ورد سابقًا يجب أن نفهم أن البلد المدين؛ إذا أذعن لهذه الشروط يمنحه صندوق النقد شهادة حسن سير وسلوك، يمكنه بها أن يعاود الاقتراض من البنوك الدولية والمؤسسات النقدية العالمية مرة أخرى!.

وهذه الشروط في حقيقتها ليست سوى وسائل لإنهاك البلد الذي وقع في شباك الاستدانة والقروض، واستنزاف لموارده وأسواقه، وعصف بصناعات أهله وتجارتهم، وبذر لبذور الاضطراب والفوضى والقلق الاجتماعي.

وانفتاح الاقتصاد من خلال إزالة القيود عن التجارة الخارجية يجعل منتجات الاستثمارات

الأجنبية تدخل البلد المدين بأسعار زهيدة مقارنة بالمنتجات المحلية عالية التكلفة، فبالتالي يتوجه الشعب في البلد المدين لشراء المنتج الأجنبي بديلاً عن المحلي، مما يؤدي مع الوقت إلى تدهور الصناعة المحلية، وإفلاسها، وتسريح العمال، وزيادة البطالة.. الخ، فإلغاء القيود على الواردات وتشجيع الاستثمارات الأجنبية ورؤوس أموالها هو يفتح حدود الدولة أمام غزو الشركات الاحتكارية؛ لتعصف بالصناعات والتجارة المحلية، وتحويل البلد المدين إلى سوق كبيرة؛ لتصريف ما تنتجه هذه الشركات عابرة القارات والقوميات ظاهراً، واليهودية حقيقة وباطناً؛ كونها لليهود بما كنزوه من أموال وثروات عبر القرون.

ومن الأمثلة على ذلك (جامايكا) بعد قبول شروط وقروض النقد الدولي فقدت أكبر أسواق محاصيلها بسبب المنافسة مع المنتجات الأجنبية، وأصبح عدد كبير من العمال عاطلين عن العمل؛ لأنهم غير قادرين على المنافسة مع الشركات الكبيرة، وتحويل البنوك والشركات التي غزت جحافلها البلاد أرباحها إلى الخارج، وتشفط أموال البلد إلى المركز الأم في الغرب الذي يحكم اليهود السيطرة عليه، ومقاليده الاقتصادية والنقدية في يدهم.

وتنشيط القطاع الخاص المحلي، وما يمنح من مزايا هدفه تكوين نخبة مالية داخل كل بلد، وعلى رأس كل مجتمع لا يربطها به سوى أنها تستنزف أمواله، فتتكون مجتمعات في البلاد المدينة هذه صورتها: قشرة من النخب الغنية على سطح البلد، تنفصل في قيمها وأخلاقها وفي عاداتها وسلوكها وفي أفكارها وطريقة حياتها عن السواد الأعظم من أهل البلد المدين، وترتبط في كل مجال من مجال حياتها بالشركات التي تحمل أسماء غربية، أمريكية وإنجليزية وفرنسية وألمانية وإيطالية.

وأما هذا السواد الأعظم من أهل البلد؛ فتزيدهم السياسات التي فرضها صندوق النقد فقراً وبطالة، وتزيدهم سخطاً على النخبة المترفة، وعلى الساسة الذين تكوّنت في ظلالهم هذه النخبة، فإذا وصلت دورة الديون والشروط وتوابعها إلى تمامها؛ تكون المؤسسات النقدية الدولية قد دفعت البلد وساسته ونخبه وسواده الأعظم في المسار الذي يتفاعل فيه الفساد السياسي والقلق الاجتماعي والفقر الاقتصادي مع ما يتراكم بسببه من سخط وغضب وتمرد، وهو المسار الذي يحتم قيام ثورة وسخط عام على الطبقة الحاكمة في البلد المدين، قصر الوقت أو طال.

إن المنظمة المسؤولة عن التنمية في كل العالم هي البنك الدولي، وهي الأكثر تعجرفًا، تتدخل في شؤون الدول الداخلية والخارجية بقوة لم يكن لها مثيل في التاريخ، تحدد شروط التنمية؛ لكنها لا تعتبر نفسها مسؤولة عن النتائج، تقوم منظمة البنك الدولي بإعداد التحاليل الممتازة، ولديها القدرة على التحدث عن مواضيع مهمة كالمشاركة الشعبية- خاصة المتعلقة بالمرأة، ومحاربة الشعوب للفقر، والحاجة إلى حماية البيئة تحت مسمى المنظمات الخيرية ومنظمات المجتمع المدني ومراكز الصحة التي تتوغل داخل البلد المستهدف، وتذهب أبعد من ذلك إلى المدافعة عن حقوق الإنسان، وتلك الخاصة بالأقليات وقائمة طويلة من الأنشطة، وتقوم بالضغط على الحكومات من أجل أن يحترموا تلك الحقوق، وهي قادرة على جعل أفكارها لماعة، مشيرة أنه كم هو مهم للتنمية أن تحترم أفكارها من قبل هذه الدولة أو تلك (على اعتبار أنهم يهتمون بالشعوب داخل البلد المدين)، كذلك يتم إنشاء مصانع غير مطابقة للمواصفات العالمية، ولا تلتزم بقوانين البيئة، وبسبب تحرير الإنتاج تقوم بتدمير البيئة، وتقوم الشركات بتلويث متعمد للبيئة وموارد الدولة، أكبر دعوى قضائية بيئية في العالم التي رفعت باسم ٣٠ ألف من الشعب الإكوادوري والأمازوني ضد شركة تكساكو، التي تملكها الآن شيفرون، فقد قامت الشركة بإلقاء مخلفات ضخمة أكثر بـ١٨ ضعفًا عن السابق.

وتمتد الخطورة إلى أن – تقريبًا – كل الشركات الاحتكارية عابرة القوميات والقارات أسسها اليهود وهم من يمتلكونها ويديرونها، فبالطبع تذهب المكاسب والأرباح مباشرة لجيوب اليهود .

أما عن صندوق النقد والبنك الدولي؛ فليست هذه وحدها هي المؤسسة اليهودية، بل كل المؤسسات الاقتصادية والنقدية والبنوك في العالم يهودية؛ لأن اليهود عبر التاريخ وفي كل عصوره هم سادة المال ومن كوّنوا البنوك، ويملكون أصولها، ومن وضعوا النظام النقدي العالمي، ومن يملكون الذهب، ومن احتكروا تجارات العالم وصناعاته، وأقاموا شركاتها، فالنظام الاحتياط الفيدرالي الأمريكي الذي يسيطر على الولايات المتحدة الأمريكية، وهو الحاكم الحقيقي لها، وكل مؤسساتها تدور حوله وحول سياساته، لا يتحكم فيه الشعب الأمريكي ولا الكونجرس، ويرأسه اليهودي بن شالوم برنانكي خلفًا لليهودي آلان جرينسبان، وهكذا يهودي خلفاً عن سلف في سلسلة متصلة إلى أول رئيس لنظام الاحتياط الفيدرالي اليهودي تشارلز هاملن.

والبنك المركزي الأوروبي الذي يحكم منطقة اليورو ويسيطر على الاقتصاد الأوروبي وحكوماته يرأسه الآن اليهودي جان كلود تريشيه خلفاً لأول رؤسائه اليهودي فيم دوزنبرج.

ومؤسسة صندوق النقد الدولي التي تشكل العمود الفقري لهيئة الأمم المتحدة، ترأسه الآن اليهودية كريستين لاجارد خلفاً لليهودي دومينيك ستراوس خلفاً لليهودي رودريجو دى ريتو خلفاً لليهودي هورست كولر خلفاً لليهودي ميشيل كميدسو، وهكذا في سلسلة متصلة إلى أن تصل إلى أول مدير للصندوق اليهودي كاميل جت.

والبنك الدولي يرأسه اليهودي روبرت زوليك خلفاً لليهودي بول وولفيتز خلفاً لليهودي جيمز وولفين، وهكذا إلى أن تصل إلى أول مدير للبنك الدولي اليهودي يوجين ماير.

وهكذا فإن كل أرباب المال وسادته والمتحكمين في الاقتصاد العالمي وملاك الذهب هم يهود سلفاً عن خلف، ولم يرد مرة واحدة شذوذ في القاعدة! وذلك تطبيقًا للمقولة الشهيرة لمائير روتشيلد : «دعوني أصدر وأتحكم في عملة بلد، ولن يهمني بعد ذلك أمر من يضع القوانين»، ومائير روتشيلد، من سلالة روتشيلد في بريطانيا إحدى أعرق السلالات الصهيونية المسيطرة على البنوك المركزية في العالم الصناعي، وهي السلالة التي سعت لعقد وعد بلفور عام ١٩١٧م، والوعد كان بين (ليونيل روتشيلد)، ووزير الخارجية البريطاني حينئذ (بلفور)، والوعد ينص على حق اليهود في العودة لفلسطين واحتلالها.

بعد تدمير عديد من الدول يعترف جون بيركنز أحد القتلة الاقتصاديين: نحن القتلة الاقتصاديين مسئولين عن خلق هذه الإمبراطورية العالمية الأولى من نوعها، ونحن نعمل بطرق مختلفة؛ لكن الطريقة الأكثر شيوعًا هي أن نحدد بلدا لديه موارد تثير لعاب شركاتنا مثل النفط وندبر قرض لهذا البلد من خلال صندوق النقد الدولي أو أي من المنظمات المالية التابعة لنا، ولكن المال لا يذهب بالفعل للبلد، وبدلًا من ذلك يذهب لشركاتنا لبناء المشاريع التحتية لهذا البلد: محطات توليد الكهرباء- المجمعات الصناعية- الموانئ..، أشياء تعود بالنفع على الطبقة الغنية في ذلك البلد، بالإضافة لشركاتنا بالطبع، ولكنها لا تساعد أغلبية الناس على الإطلاق.

ويترك ذلك البلد وعليه دين ضخم، لا يمكنه سداده، وهذا هو جزء من الخطة، ثم نأتي في

مرحلة، ونفرض قيود وشروطنا على الدولة، ونقول لهم: أنتم لا تستطيعون تسديد ديونكم، فاحتفظوا بها في مقابل إعطائنا النفط بسعر بخس لشركاتنا- اسمحوا لنا ببناء قاعدة عسكرية في بلدكم- أو أرسلوا قوات لمساعدتنا في أماكن كالعراق- أو صوتوا لصالحنا في تصويت الأمم المتحدة المقبل- أو خصخصة شركات الكهرباء والمياه المحلية، ويتم بيعها لشركاتنا الأمريكية أو شركات أخرى دولية، خصخصة الشركات المملوكة للدولة، وهذا يعني أن الأنظمة الاجتماعية في البلد المستهدف، يمكن أن تباع وتشترى من الشركات الأجنبية، وهذا كله ينمو ويتطور كالقطر، وهذه الطريقة الاعتيادية لعمل صندوق النقد الدولي.

الطريقة الثانية: عرض إعادة تمويل الدين مع دفع المزيد من الفائدة، وتطلب في المقابل الشروط: وهو ما يعني أن الدولة بالأساس عليها أن تبيع مواردها بما في ذلك العديد من الخدمات الاجتماعية وشركات المرافق بالإضافة للنظم الدراسية- نظم العقوبات- نظم التأمين، وأن يخضع كل ذلك إلى الشركات والمنظمات الأجنبية.

مما سبق يتضح أن الأمة بحاجة إلى تفعيل أدواتها؛ لمواجهة هذا النوع من الحرب الاقتصادية، وهناك عدة طرق لمواجهة هذا النوع من الحروب، وذلك باستخدام:

١- سلاح النفط:

من العجيب أن العرب يفهمون أن أمريكا أحوج إليهم من حاجتها لإسرائيل..، أليس ذلك معروفاً؟ هل البترول الذي تحتاج إليه أمريكا وبريطانيا وفرنسا وغيرها من دول الغرب من إسرائيل أم هو من البلدان العربية الأخرى؟ أمريكا وبريطانيا وفرنسا وغيرها بحاجة إلى العرب أحوج منها إلى إسرائيل.

أمريكا حاجتها إلى إسرائيل لا تساوي شيئاً بالنسبة لحاجتها إلى العرب، والعرب يفهمون أن أمريكا هي وراء إسرائيل، وبريطانيا هي التي تساند إسرائيل، أمريكا هي التي تساند إسرائيل، وفرنسا ودول الغرب جميعاً هي التي تساند إسرائيل.

فلماذا لا يفهمون بأن عليهم- إذا كانت أمريكا أحوج إلينا ودول الغرب أحوج إلينا كسوق استهلاكية، ويحتاجون إلى ثرواتنا البترولية وغيرها- أن يستخدموا هذا كوسيلة ضغط على أمريكا وبريطانيا وغيرها لأن تجعل إسرائيل تكف عما تقوم به على أقل تقدير؟! لا.

إسرائيل تضرب الآن السلطة الفلسطينية، تضرب الفلسطينيين، والعرب يعلنون وقوفهم مع أمريكا في قيادتها للتحالف ضد الإرهاب- كما يسمونه-.

أليس هذا من الأشياء الغريبة؟ أليس هذا مما يدل على أن مشكلة العرب ومشكلة المسلمين هي مشكلة داخلية؟. أنهم هم قد وصلوا إلى حالة سيئة، حالة سيئة لا يمكن للإنسان أن يتصور فظاعة هذه الحالة، لا يستطيعون أن يستخدموا حتى حاجة أمريكا لهم، والبترول بملايين البراميل أمريكا بحاجة إليه، وغيرها من دول الغرب.

ما حاجة أمريكا إلى إسرائيل؟ ما هو الذي تستفيده أمريكا من إسرائيل من الناحية الاقتصادية؟ لا شيء، لا شيء أبداً.

٢- مقاطعة الشركات الأجنبية:

لماذا لا يعمل المسلمون على مقاطعة الشركات الأجنبية؟. لماذا لا تتخذ الدول الإسلامية قراراً بقطع التعامل الاقتصادي مع أي شركة إسرائيلية، أو تدعم إسرائيل، أليس باستطاعتهم هذا؟.

وإذا كانوا يخافون من أي حصار اقتصادي على دولة ما لماذا لا يعملون على إقامة سوق إسلامية مشتركة؟ فالمسلمون لا بد لهم من أن يكونوا متمكنين من أن يملكوا قرارهم السياسي، لا بد أن يكون لهم سوق إسلامية مشتركة، بحيث يحصل تبادل اقتصادي فيما بين البلدان الإسلامية، ومع بلدان أخرى.

أيضاً هناك بلدان أخرى ليست مستعدة أن ترتبط اقتصادياً بأمريكا فيما لو حصل من الجانب العربي والإسلامي مقاطعة لأمريكا، أو لأي بلد تساند إسرائيل، هناك بلدان أخرى مستعدة للتعامل مع العرب والمسلمين، ستأخذ بتروهم، ستأخذ منتجاتهم، ستأخذ أشياء كثيرة وتتعامل معهم.

لم يتجه العرب أو المسلمون بأن يكون لهم عملة إسلامية موحدة المسلمون هم الذين أضاعوا أنفسهم؛ هم الذين عطلوا البلاد الإسلامية من أن تنتج الخيرات من داخلها، فيحصل أبناؤها على الاكتفاء الذاتي في أغذيتهم، وفي ملابسهم، وفي غيرها، هم الذين أوصلوا المسألة،

وطوروا القضية من صراع عسكري إلى صراع حضاري يحتاج إلى أن تنهض الأمة من جديد، وتبني نفسها من جديد، حتى تكون بمستوى المواجهة للغرب، والمواجهة لربيبة الغرب إسرائيل.

٣- السعي إلى الاكتفاء الذاتي

لماذا يصيح أولئك الزعماء- أحياناً-، ويظهرون أنفسهم كفرسان، وأنهم أعداء الدَّاء لإسرائيل، وهم يعرفون أنهم هم الذين أوصلوا هذه الأمة إلى درجة أنها لا تستطيع أن تقف أمام اليهود؟! لا يستطيع العرب الآن إطلاقاً أن يقفوا أمام اليهود إلا بأن يستأنفوا حياتهم من جديد، ولن تُستأنف حياتهم من جديد تحت الزعامات التي تحكمهم الآن؛ لأنهم هم الذين أهملوا كل الأراضي الزراعية.

تجد وزارة الزراعة في أي بلد عربي هي أحط الوزارات، وأقل الوزارات نشاطاً..، في اليمن نفسه كم من الأراضي في اليمن تصلح للزراعة، ونحن نستورد حتى (العدس)، وحتى الفاصوليا والقمح والذرة من أستراليا ومن الصين وغيرها؟ واليمن يكفي- لو زُرع- لليمن ولغير اليمن، لماذا يستورد اليمنيون كل شيء مما هو خاضع لهيمنة أمريكا وإسرائيل؟.

هل يمكن للعرب، أن يقاتلوا، وقد أذلهم زعماؤهم، وأوصلوهم إلى هذه الحالة؟ كانت المواجهة عسكرية قبل خمسين سنة، أما الآن؛ فقد أصبحت المواجهة حضارية.

٤- تعزيز الدور الشعبي والجماهيري:

نرى أن الضرورة القصوى للدور الشعبي الفاعل، وما يدلل على فاعليته، على أهميته، بعد أن نستوعب أنه لا يمكن الرهان على الحكومات العربية بما هي عليه، بتوجهاتها السياسية، بواقعها الاستبدادي القمعي، باعتمادها الاعتماد الكبير على الخارج، وبالذات على الأمريكيين الذين هم سند أساسي ورئيس للكيان الصهيوني الغاصب والمعادي.

الواقع الرسمي لا يمكن الرهان عليه نهائياً، الحكومات لا يمكن الاعتماد عليها، يجب أن تكون ميؤوسة منها، إلا إذا غيرت بواقع جديد، بحكومات جديدة تحمل في أولوياتها قضايا الأمة الكبرى، إذاً؛ ندرك ضرورة الدور الشعبي الفاعل المؤثر، ونرى شاهداً واضحاً على

فاعليته المقاومة الإسلامية في فلسطين، المقاومة الشعبية في فلسطين، المقاومة في لبنان شاهد حي وواضح على فاعلية الدور الشعبي في مواجهة هذا الخطر، نرى ما حققت المقاومة في فلسطين، ما حققت المقاومة في لبنان، ما أنجزته من إنجازات حقيقية في صراعها مع العدو الإسرائيلي، هذا شاهد واضح، شاهد حي على أهمية الدور الشعبي.

وللشعوب الحق في أن تتحرك، أولاً من واقع المسؤولية، هي تتحمل مسؤولية بحكم انتمائها للإسلام، وبحكم أنها متضررة، أنها تعاني من الخطر الإسرائيلي والأمريكي، تعاني من نتائجه، تعاني من ظلمه، تعاني من مساوئه وآثاره، فهي لها الحق، حق الدفاع عن النفس، حق مواجهة خطر حقيقي يهددها، يهدد وجودها، يهدد حقها في الحياة، حقها في الحياة الكريمة العزيزة، حقها في أن تكون شعوباً حرة، ثم بحكم انتمائها للإسلام الذي يفرض عليها مسؤولية مواجهة الظلم، مواجهة الفساد، مواجهة الطغيان، مواجهة الاستعباد والإذلال والهوان.

المقاومة في فلسطين والمقاومة في لبنان دليل حي وواضح وقائم على فاعلية دور الشعوب، وأنها إذا تحركت؛ ستنتصر، وستكون بعون الله، وبإذن الله موفقة في حسم هذه المشكلة، وفي إنهاء هذا الخطر، وفي دفع هذا الشر، وفي إزالة هذا الظلم، وفي إزالة هذا الفساد والطغيان، ما أنجزته المقاومة في فلسطين وفي لبنان بالرغم من الخذلان الكبير القائم على المستوى الرسمي وعلى المستوى الشعبي، وبالرغم من حجم التآمر والتواطؤ الرسمي لبعض الدول العربية عليها، التواطؤ مع العدو الإسرائيلي والتآمر مع الإسرائيليين على قمع تلك الحركات المقاومة والمجاهدة. ومن أمثلة ذلك مواجهة الحشد الشعبي في العراق لداعش والقاعدة رغم دعم أمريكا واسرائيل، ومواجهة الشعب اليمني والجيش واللجان الشعبية للتحالف العالمي ضده.

٢- المجال الثقافي:

من الوسائل التي يعتمدون عليها في ضرب الأمة؛ التزييف للفكر، التزييف للثقافة، التزييف للوعي، التزييف للإعلام، هذه قضية خطرة جداً جداً جداً، ووسيلة أساسية ورئيسية يضربون بها الأمة، من خلالها يتمكنون هم، أن يتحكموا في صناعة التصور، التفكير، الرؤية، وبالتالي طبيعة التفكير والموقف، الموقف في نهاية المطاف يدفعون هم فئات واسعة داخل

المجتمع الإسلامي إلى تبني مواقف هي تخدمهم، هي لمصلحتهم، فنكون نحن أمة نضرب أنفسنا، نعمل ما يضرنا، وما يخدم أعداءنا، تتحرك نحن بأنفسنا عملياً فيما يحقق سياسات تضربنا من الداخل، تضعفنا من الداخل، تحقق لأعدائنا الكثير والكثير من المكاسب.

هذه مسألة مهمة جداً من خلال وسائل الإعلام المقروءة، المسموعة، المرئية، من خلال اختراقهم للجامعات والمناهج الدراسية والمشاريع التعليمية، كل العوامل التي من خلالها يمكن أن يصنعوا توجه الأمة، هذا من أخطر ما يكون، أن يكونوا هم بكل ما يحملونه من عداء للأمة، بكل حقدهم، بكل الحالة العدوانية التي يعيشونها يحملونها تجاه الأمة ويمارسونها تجاه الأمة مَن يتحكمون في صناعة توجه الناس في مواقفهم، في رؤاهم، حالة خطيرة جداً لا أسوأ منها ولا أخطر منها؛ لأنهم بالتالي هم يدفعوننا من الداخل إلى أن نضرب أنفسنا، إلى أن نتحرك بالشكل الذي يفيدهم، يخدمهم، هذه واحدة من المجالات من الوسائل من الأساليب التي يركزون عليها.

﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٩]، الشيء نفسه الإضلال هو ما يحصل في الجانب الثقافي، في الجانب السياسي، في مختلف الأشياء اليهود وراء إضلال المسلمين.

قضية أن يبقى الإسلام هو المسيطر على مشاعر المسلمين، وأمجاده وعظماته، وأحداثه هي الأشياء التي يستوحي منها المسلمون ما يتعلق بحاضرهم..، حاولوا أن يصرفونا عن تاريخنا الإسلامي، وأن يعيدوا كل بلدٍ عربي إلى تاريخه الجاهلي.

من أين يحصل هذا؟ شد العرب إلى تاريخهم الجاهلي؟ هل عن طريق أفراد عاديين؟ أم عن طريق وزارات الثقافة في بلدانهم؟ وزارة الثقافة التي هي جزءٌ من الدولة في كل وطن عربي هي التي تهتم بأن تشد أبناء ذلك الوطن إلى تاريخهم الجاهلي.

يجعلون تعظيم أولياء الله، الحفاظ على معالم معينة على ولي، على إمام، على مولد للرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) على أي أثر إسلامي.. الاهتمام به، تعظيمه يعتبر بدعةً وشركاً! فليُقضَ على أي مَعْلم إسلامي، ولنَحُل بين المسلمين وبين أن يعظموا أي ولي من أوليائهم، أو معلم من معالمهم، أو علم من أعلام دينهم، من الأئمة والعلماء وغيرهم، مِن أين جاءت هذه الأشياء؟

أليست لإضلال الأمة، لتجريدها عن هويتها الدينية، عن هويتها الإسلامية: ﴿وَدَّتْ طَّائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾ [آل عمران، ٦٩].

هم يعرفون دور وأهمية الجانب الثقافي في صناعة الأمة؛ ولذلك يعملون على مسخنا ثقافياً من خلال إشرافهم المباشر على صياغة المناهج الدراسية في المدارس والجامعات والمعاهد، وحتى في المعسكرات، وأن يقدموا لنا البدائل المغلوطة التي تجعلنا أمة بلا مشروع، وبلا أهداف حقيقية، حتى في الجوانب العلمية يحرصون أن يعلمونا- فقط- كيف نستخدم منتجاتهم، أما أن نصنع أو نبدع؛ فلا، ولم يكتفوا بهذا، وإنما صنعوا لنا الفكر الوهابي التكفيري الذي يمسخ هوية الأمة، ويشغلها بالصراعات الداخلية أو يسخر الأمة بما تمتلكه من ثروات في خدمة أعدائها كما هو حاصل الآن.

يعملون على نشر الأخطاء الثقافية، ونشر المذاهب، وتعدد الطوائف يخدمها أيضاً! هم الذين صنعوا طوائف إسلامية خلال المائة سنة الماضية، والمائتي سنة الماضية، صنعوا طوائف جديدة كالوهابية، والبهائية، والقاديانية، جعلوها طوائف إسلامية، فهم يحاربون القرآن؛ لأنهم يعرفون أنه هو وحده الذي يستطيع أن يبني أمة واحدة، وهو الذي يستطيع أن يبني أمة قوية، وأن لغته اللغة العربية التي هي أساس من أسس فهمه يجب أن تُحارَب، ويجب أنْ تُقصى، وأنْ تعمم بدلاً منها اللغة الإنجليزية، وأن نترك الشباب يشعرون بإعجاب وبعظمة عندما يتعلمون اللغة الإنجليزية، إنها حرب شعواء ضد اللغة العربية؛ لأنها لغة القرآن الكريم، وأن الله- سبحانه وتعالى- قال: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء، ١٩٥]، ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف، ٢، طه، ١١٣، الزمر، ٢٨، فصلت، ٣، الشورى، ٧، الزخرف، ٣]، في سبع آيات تقريبا تحدث الله عن القرآن أنه عربي، وباللغة العربية، وبلسان العرب.

هناك فنون أخرى لا يتعرضون لها، فنون أخرى مما يقطع الكثير منا أوقاتهم، وهم منهمكون في دراستها لا يتعرَّضون لها، حتى وإن كانت باسم علوم إسلامية، حتى وإن قدمت في أوساطنا بأنها من آليات فهم القرآن الكريم، ومن آليات استنباط الأحكام الشرعية، لا يتعرَّضون لها، ويرون أنها تخدم القضية.

أمَّا القرآن الكريم، فهم يعلمون أنه كتاب يستطيع أن يصنع أمة واحدة، وأن من يلتفون

حوله لن يفترقوا، ولن يختلفوا، وسيكونون كما قال الله- معتصمين بحبل واحد عندما- قال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران، ١٠٣].

لذلك ركزوا حربهم على القرآن الكريم، وتتلخص طرق وأساليب مواجهة العدوان في الآتي:

أ- نشر ثقافة معرفة الله:

الخطاب القرآني يتجدد- دائمًا- يقول للناس: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد، ١٦]، ألم يأن؛ يعني: ما قدو وقت- بتعبيرنا نحن-، ما قدو وقت أن الناس تخشع قلوبهم لذكر الله، وما نزل من الحق من القرآن الكريم: ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد، ١٦]، تخويف من أن يصير الناس إلى ما صار إليه بنو إسرائيل، الذين طال عليهم الأمد، يسمعون مواعظ، ويقرؤون كتباً، ولكن ببرودة لا يتفاعلون معها، وتتكرر المواعظ وتتكرر النبوات، وهكذا، ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، حتى فسق أكثرهم، وحتى استبدل الله بهم غيرهم، وحتى جردهم من كل ما كان قد منحهم إياه: النبوة، وراثة الكتاب، الملك، الحكمة.

نحن المسلمون نتعرض لمثل هذه الحالة، فكتاب الله يتردد على مسامعنا كثيراً، والمواعظ تتردد على مسامعنا كثيراً، والعلماء بين أظهرنا يتحدثون معنا كثيراً، ولكن نتلقى الكلام، نتلقى آيات القرآن ببرودة. لا نتفاعل معها، أصبح تقريباً مجرد روتين استماع القرآن الكريم، واستماع المواعظ، وحضور المناسبات؛ لكن دون أن نرجع إلى أنفسنا، فنجعلها تتعامل مع كل ما تسمع بجدية، وتتفاعل معه بمصداقية، نتعامل ببرودة مع كل ما نسمع، ولم ننطلق بجد وصدق لنطبق، لنلتزم، لنثق؛ ستقسو قلوبنا- ونعوذ بالله من قسوة القلوب-، متى ما قست القلوب؛ يصبح هذا القرآن الكريم الذي لو أنزله الله على الجبال من الصخرات الصماء؛ لتصدعت من خشية الله؛ لكن القلب متى ما قسي يصبح أقسى من الحجارة، فلا يؤثر فيه شيء.

قلوبنا إذا لم نحاول أن نتعامل معها من منطلق الخوف أن تصل إلى هذه الحالة السيئة:

القسوة، فتصبح أقسى من الحجارة، فحينئذ لا ينفع فيك شيء، لا ينفع فيك كتاب الله، ولا ينفع فيك رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، ولا ينفع فيك أي عظة تمر بك في هذه الدنيا.

والمطلوب من القلوب هو أن تخشع لذكر الله، هو أن تلين، هو أن تصدِّق، أن تثق، أن تمتلئ بالخشية من الله، أن تمتلئ حباً لله، معرفة قوية بالله- سبحانه وتعالى-... متى ما صلح القلب صلح الإنسان بكله، وانطلق ليصلح الحياة بكلها، وانطلق بإيمان، بثقة، بإخلاص، بصدق، بتوجه حكيم في كل ما يريد الله- سبحانه وتعالى- منه.

من أين جاءت أزمة الثقة بالله حتى أصبحت وعوده تلك الوعود القاطعة المؤكدة، وكأنها وعود من لا يملك شيئاً؟! وكأنها وعود من لا علاقة لنا به، ولا علاقة له بنا... كيف نعمل؟ نعود إلى معرفة الله- سبحانه وتعالى-، الآيات التي نحصل من خلالها على معرفة لله بالشكل المطلوب هي آيات كثيرة جداً، جداً في القرآن الكريم، تلك الآيات التي تتحدث عن ألوهية الله، وملكه، وعظمته، تلك الآيات التي تتحدث عن عظيم نعمه علينا، تلك الآيات التي تتحدث بأن له ملك السموات والأرض، التي تتحدث بأنه مالك السموات والأرض وما بينهما، وهو من يملك اليوم الآخر، وبيده مصيرنا، هو من يملك الجنة، من يملك النار، هو من يعلم الغيب والشهادة، هو العزيز، هو الحكيم، هو السميع، هو البصير، هو الرؤوف، هو الرحيم. تلك الآيات التي تتحدث عنه سبحانه وتعالى بأنه جدير بأن يثق به عباده، وأن يخاف منه عباده، وأن يلتجئ إليه أولياؤه.

فمتى ما كان لله- سبحانه وتعالى- عظمة في نفوسنا، متى ما عرفنا من خلال هذه الآيات الكريمة ماذا يعني أنه ملكنا، وأننا عبيد له، ماذا يعني أنه ربنا، وأننا مربوبون له، ماذا يعني أنه رحيم، ماذا يعني أنه رحمن، ماذا يعني أنه جبار، أنه منتقم؟ ماذا يعني: أنه من يملك السموات والأرض وما بينهما؟ ماذا يعني أن له جنود السموات والأرض؟ ماذا يعني كل ما شرحه وفصله عن شؤون ملكه وتدبيره لعباده، ومخلوقاته؟ أن نعيها، أن نفهمها؛ لنعرف كيف ينبغي أن يكون التعامل في ما بيننا وبينه سبحانه وتعالى، بحيث لا تبقى الأشياء مجرد أسماء.

نحن نقرأ دائماً: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: الآيتان ١، ٢]، ألسنا نقول: رب العالمين؟ لكن لا نعرف ماذا يعني أنه رب العالمين، ما يترتب على هذا من

الأشياء بالنسبة لنا: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة، الآيات٣- ٥]، هكذا نصفه بأنه رحمن رحيم، وأنه ملك يوم الدين؛ لكن مجرد عبارات نقرؤها، ونقفز عليها، لا نحاول أن نفهم ماذا يعني أنه إذا كان هو رحمن، إذاً؛ فهو عندما ينزل القرآن الكريم، ويهدينا بالقرآن الكريم، فهو من منطلق أنه رحيم بنا..، إذاً؛ فكل ما في القرآن الكريم من توجيهات وإرشادات وهداية هي كلها رحمة بنا.

﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، إذا كان هو من له الملك وحده في يوم القيامة؛ فهو وحده من يجب أن نلتجئ إليه، ونرغب إليه، ونرغب فيه، ونخاف منه؛ لأنه يوم لا بد أن نحشر فيه إلى الله- سبحانه وتعالى-، فإذا لم يكن هناك أي مُلْكٍ، أي مشاركة لأي أطراف أخرى في ملك ذلك اليوم، وليس الملك إلا لله الواحد القهار، إذاً؛ فهو وحده الذي يجب أن نخاف منه؛ لأن أعظم نعيم هناك في الآخرة بيده، وأشد عذاب أليم هناك في الآخرة بيده، فهو من يملك الجنة، ومن يملك النار، فهو وحده الذي يمكن أن يمنحنا الجنة، وهو وحده الذي يمكن أن يوصلك إلى قعر جهنم. لمن الملك اليوم؟ لله الواحد القهار: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، نعبده ولا نعرف ماذا يعني أننا عبيد له! ماذا تعني عبوديتنا له! القرآن الكريم كرر هذا بشكل كبير جداً، تقرير عبوديتنا لله- سبحانه وتعالى-، وتقرير ملكه علينا، وألوهيته علينا.

ب- التحرك الدائم على أساس القرآن الكريم:

تأتي هذه الأحداث من خلال تحرك الأمريكيين، وتحرك الإسرائيليين، وتحرك دول الغرب هذه، مَن يتأملها بنظرة قرآنية؛ لا يمكن أن يحصل لديه إحباط، ولا يحصل لديه يأس، بل يمكن أن يرى هذه الفترة من أفضل وأحسن الفترات بالنسبة للإسلام، لمن يعرفون كيف يتحركون في سبيل الإسلام فعلاً، ومَن لا ينظرون نظرة قرآنية؛ يجدونها فترة مظلمة، وفترة رهيبة، هي- فعلاً- رهيبة وخطيرة؛ لكن لمن لا يتحركون على هدي القرآن، فهي خطيرة ورهيبة- فعلاً-، هنا في الدنيا وفي الآخرة، أما من يسيرون على هدي الله، وعلى هدي كتابه؛ فإنها من أفضل المراحل في تاريخ هذه الأمة، لمن يعملون في سبيل الله- فقط-، لمن يتحركون في سبيل الله، وعلى أساس كتابه، ولكن ما أسوأ حال من يعرضون عن كتاب الله، في مرحلة كهذه! وبدأت مؤشرات سوء الحال، وسوء المصير، عندما اتجه الأمريكيون للاستيلاء على صياغة المناهج، وإنزال المناهج التربوية، وحتى السيطرة على المساجد في معظم الدول العربية،

ثم لا تسمع كلمة، ولا تسمع أي ممانعة، ولا تسمع معارضة، هذه حالة خطيرة جداً على الناس، قلنا أكثر من مرة: من أسوأ ما في هذه بالنسبة للناس أننا جئنا من جديد نمكّن بني إسرائيل من كتابنا، ومن تثقيف أنفسنا، ومن تثقيف أولادنا؛ ليحرّفوا، وليخفوا الكثير منه، وهم من قد نزع الله من بين أيديهم كتبه، ووراثة كتبه، وأنبياءه، فهل نمكنهم نحن؟!.

هذا من أسوأ المواقف التي تدل على أن القرآن الكريم الذي يمجد الله نفسه، ويثني على نفسه بإنزاله إلينا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ [الكهف: ١]، وإذا بالمسلمين اليوم يريدون أن يسلّموا هذا الكتاب إلى بني إسرائيل، الذين قد حرّفوا التوراة، والإنجيل؛ ليخفوا منه ما يريدون، ويجعلونه قراطيس يبدونها، ويخفون كثيراً، ألسنا نسمع أخباراً بأنهم يريدون أن يخفوا آيات الجهاد، والآيات التي عن بني إسرائيل، وآيات أخرى؟ وهذا يعتبر من الكفر الرهيب، ومن الكفر الرهيب بهذه النعمة العظيمة التي أنعم الله بها على عباده: القرآن.

القرآن علوم واسعة، القرآن معارف عظيمة، القرآن أوسع من الحياة، أوسع مما يمكن أن يستوعبه ذهنك، مما يمكن أن تستوعبه أنت كإنسان في مداركك، القرآن واسع جداً، وعظيم جداً، هو ((بحر - كما قال الإمام علي - لا يُدرَك قعره)).

نحن إذا ما انطلقنا من الأساس عنوان ثقافتنا: أن نتثقف بالقرآن الكريم؛ سنجد أن القرآن الكريم هو هكذا، عندما نتعلمه ونتبعه يزكينا، يسمو بنا، يمنحنا الحكمة، يمنحنا القوة، يمنحنا كل القيم، كل القيم التي لما ضاعت، ضاعت الأمة بضياعها، كما هو حاصل الآن في وضع المسلمين، وفي وضع العرب بالذات، وشرف عظيم جداً لنا، ونتمنى أن نكون بمستوى أن نثقف الآخرين بالقرآن الكريم، وأن نتثقف بثقافة القرآن الكريم ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ يؤتيه من يشاء، فنحن نحاول أن نكون ممن يشاء الله أن يُؤتوا هذا الفضل العظيم.

ج- التمسك بالهوية الإيمانية:

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا

غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥) لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾، [البقرة، الآيتان ٢٨٥، ٢٨٦].

إن هذه الآية الكريمة، هي الهوية الإيمانية لأنبياء الله ورسله وللمؤمنين جميعاً، هي البطاقة الكاملة العناوين لأنبياء الله ورسله، والسائرين على طريقه من المؤمنين بهم، هي تقرير للمؤمنين أنه هكذا يجب أن يكون إيمانهم، هي تعريف بالمسيرة الإلهية لأنبياء الله ورسله والصالحين من عباده جيلاً بعد جيل.

شملت وبصورة موجزة المجالات الإيمانية الكاملة، بدءاً من الإيمان بالله- سبحانه وتعالى-، وهكذا تتصدر الآية الكريمة بالتقرير على الإيمان بالله، ثم تنتهي بالمواجهة لأعدائه، أنه إيمان على غير هذا النحو ليس إيماناً، إيمان لا يبدأ من الله، وينتهي بالمواجهة مع أعدائه، ليس هو إيمان الرسل والأنبياء والصالحين من عباد الله.

لقد جاءت هذه الآية بصيغ إخبارية في التقريرات الإيمانية؛ لتوحي لنا بأنه هكذا، هكذا يكون الإيمان، الإيمان الذي هو إيمان الأنبياء والرسل والصالحين من عباد الله، وكما كررنا أكثر من مرة: أن الإيمان، أن العقائد في الإسلام العظيم كلها عملية.. كلها عملية، إيمان يترك تأثيراً على النفس، ثم نفس تترك تأثيراً في واقع الحياة، ما عدا ذلك يعتبر إيماناً أجوفاً، لا يقدم ولا يؤخر، ولا ينفع لا في الدنيا ولا في الآخرة، وأول المؤمنين بهذا الإيمان هو الرسول محمد (صلوات الله عليه وعلى آله).

إن الآية هذه نزلت في القرآن الكريم الذي هو خطاب للناس جميعاً في هذه الأمة، والتي أولها الرسول محمد- صلوات الله وسلامه عليه-، هكذا إيمان، وأن نعرف بأنه هكذا كان إيمان الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)؛ يعني ذلك أنه بغير إيمان من هذا النوع لا نكون صادقين حتى في إيماننا بالرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، ولن نلتقي معه في الطريق الإيمانية، ولا في غاية تلك الطريق، لا في الدنيا ولا في الآخرة، أولم يقل الله له: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام، ١٥٩]، لست منهم في شيء، لا تلتقي مع محمد (صلوات الله عليه

وعلى آله، لا تلتقي الأمة مع رسولها (صلوات الله عليه وعلى آله) إلا في طريق إيمانية واحدة هي: هذه الطريق التي بدأ الخطوة عليها الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله).

هو (صلوات الله عليه وعلى آله) آمن بما أنزل إليه من ربه، وعندما آمن بما أنزل إليه من ربه، كانت مصاديق ذلك الإيمان كلها حركة، كلها حركة نشطة، كلها عمل، كلها استقامة وثبات، كلها إخلاص لله- سبحانه وتعالى-، وانقطاع إليه وثقة عظيمة به؛ لأن ما أنزل إليه هو أنزل إليه من ربه الذي أرسله، وأرسله إلى من؟! هل إلى نفسه، أم إلى البشرية كلها؟!

هل كان الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) يكتفي بأن يبلغ الآخرين، ويرشد الآخرين، ويعظ الآخرين، ويأمر وينهى أولئك الآخرين، ثم هو يقبع في زاوية من زوايا مسجده، أو يدعو على أولئك، أم أنه كان هو في مقدمة المؤمنين في كل الميادين؟

الإيمان بالرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) الذي يجب أن يترسخ في نفوس من يحملون العلم برسالته، يجب أن ينطلقوا هذا المنطلق الذي انطلق منه الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، وأن يتحركوا بحركته؛ لكن للأسف ما نشاهده عند الكثير ليس على هذا النحو الذي كان عليه الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، يجلسون في زوايا بيوتهم، أو في زوايا مساجدهم ويعظون الآخرين، أو يدعون للآخرين، وأحيانًا ينطلقون لمعارضة العاملين في سبيل الله، وهم يؤمنون بما أنزل إلى رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، هذا القرآن العظيم، ويؤمنون بالنبي محمد (صلوات الله عليه وعلى آله)؛ لأنه في الوقت الذي نرى فيه هذه الآيات هي تقرير للمؤمنين كيف يجب أن يكون إيمانهم، هي في نفس الوقت توضح لنا ما هو مقاييس صحيحة وصادقة، ننظر من خلالها إلى بعضنا بعض، ونقيّم على أساسها مواقف بعضنا بعض، فلا نتسمى باسم الإيمان، ولا نتسمى باسم أولياء الله، ولا نحمل اسم صالحين، إذا لم يكن إيماننا على هذا النحو.

وَالْمُؤْمِنُونَ، آمن الرسول، وكذلك المؤمنون: كُلٌّ، كل منهم: ﴿آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾، الرسول نفسه والمؤمنون كل منهم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، الإيمان بالله- سبحانه وتعالى-، هل- فقط- مجرد تصديق بأنه إلهنا؟ وأنه ربنا؟! أم أنه لا بد أن يكون إيمانًا واعيًا، إيمانًا عمليًا، إيمانا يبعث على التطبيق، إيمانًا يعزز الثقة في نفوسنا بالله- سبحانه وتعالى-، فيما وعد به أولياءه في الدنيا والآخرة، هو من قال سبحانه وتعالى في كثير من آيات

كتابه الكريم: أنه سيكون مع أوليائه المؤمنين، سيكون مع عباده الصالحين، سيكون مع عباده الصابرين، هو من طمأنهم على أنه سيكون معهم، فأي عذر لهم في أن يقعدوا عما أراد منهم أن يتحركوا فيه، عما أراد منهم أن يعملوا به، عما أوجب عليهم أن يدعو إليه.

الإيمان بالله، وكذلك الإيمان بملائكته، والإيمان بملائكة الله له قيمته الكبرى، له أثره الكبير عند من يعرف الملائكة، وعند من يعرف الدور الذي يقوم به الملائكة، الإيمان بالملائكة باعتبارهم جند من جند الله، الإيمان بالملائكة متى ما كنت في طريق؛ تصبح فيها جديراً بأن تحظى بوقوف الملائكة معك، فإنك قد ترى في ميادين المواجهة آلافاً من الملائكة، من جند الله ينطلقون وبكل إخلاص، وبكل نصيحة، وبما يملكون من خبرة عالية؛ لتثبيت قلوب المؤمنين، متى ما توجه الأمر الإلهي إليهم: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾[الأنفال، ١٢]، قد لا نشعر نحن بقيمة الإيمان بالملائكة، وقد لا يشعر كل إنسان قاعد، كل إنسان لا يحمل هم العمل في سبيل الله، لا يكون إيمانه بالملائكة إلا مجرد تصديق بأنهم عباد مكرمون، وأنهم كما حكى الله عنهم: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[التحريم، ٦].

لكن أولئك الذين ينطلقون في ميدان العمل في سبيل الله، سيعرفون أهمية الإيمان بملائكة الله- سبحانه وتعالى-، وقد تحدث القرآن عن دور للملائكة في بدر، وفي يوم الأحزاب، وفي أيام غيرها في حركة الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، أولئك الذين خرجوا وعددهم قد لا يزيد على نحو ثلاثمائة شخص إلا عددًا قليلًا، وعدهم الله بأنه سيعزز بجند من لديه يبلغ عددهم أضعاف أضعاف أولئك، هناك سيعرف الإنسان قيمة إيمانه بالملائكة، وسترى بأنه لست أنت وحدك في ميدان المواجهة، سترى تلك المجاميع الصغيرة من المؤمنين بأنها ليست وحدها هي في ميدان المواجهة، بل هناك آلاف من ملائكة الله- سبحانه وتعالى-، الذين ليسوا كمثلنا يقعدون، ويتثاقلون، ويعصون، ويتحيلون، ويتهربون، ويبحثون عن مبررات. لا..، هم من ينطلقون انطلاقة واحدة، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون.

فإيماننا بالملائكة هو إيماننا بجند من جنود الله، متى ما تصدر أمر إلهي نحوهم: انطلِقوا لتثبيت نفوس المؤمنين، فهم من سينطلقون بكل جدّ، وبكل إخلاص وبكل نصح، ينطلقون

ولديهم خبرة، ولديهم معرفة، فيكون لهم تأثيرهم الكبير في تثبيت نفوس المؤمنين، أو في أي عمل يأمرهم الله- سبحانه وتعالى- أن يقوموا به، إذاً؛ لا بد من إيماننا بملائكة الله.

يأتي- أيضاً- الإيمان بكتب الله، الكتب السابقة، إضافة إلى القرآن الكريم التوراة والإنجيل والزبور وغيرها كصحف إبراهيم، وغيرها من الكتب السماوية الإلهية، ما نعرفها، وما لا نعرف أسماءها. وَرُسُلِهِ، الإيمان بكتب الله ورسله السابقين له أثره- أيضاً- فيما يتعلق بنفوس العاملين في سبيل الله، حينما يرون أنفسهم بأنهم امتداد لخط إلهي واحد يتمثل في خط كتب الله ورسله، والسائرين على نهج كتبه ورسله جيلاً بعد جيل، وعصرًا بعد عصر، منذ أول نبي وأول كتاب إلى خاتم الأنبياء وخاتم الكتب القرآن الكريم، وسيدنا محمد- صلوات الله وسلامه عليه-.

هناك تشعر بطمأنينة أنك تمشي، وتسير في هذا الخط الذي رسمت لك غاياته، ونهايته في آيات القرآن الكريم، العاقبة التي يسير إليها أولياء الله، الجزاء العظيم الذي ينالونه في الدنيا وفي الآخرة، فترى نفسك لست وحيداً، الإيمان بكتب الله- أيضاً- هو إيمان بتدبير الله الدائم المستمر للسابقين من عباده والمتأخرين، بقيامه سبحانه وتعالى بهداية عباده السابقين والمتأخرين، وأنه لم يأتِ في عصر من العصور ليهمل عباده، ولم تقفل ملفات كتبه في أي زمن من الأزمنة، ولا عن أي جيل من الأجيال على امتداد التاريخ، إيمان بوحدة الرسالات، إيمان بوحدة الهدي الإلهي لعباده، هذا ما يتركه الإيمان بكتب الله في نفوس المؤمنين من أثر تركه قبل في نفس الرسول اصلوات الله عليه وعلى آله.

الإيمان من جانبنا برسل الله؛ يعني: إيمان بأن الله- سبحانه وتعالى- كما ذكرنا سابقًا فيما يتعلق بالكتب- لم يهمل عباده في أي فترة من فترات الأمة، لم يهملهم عن نبي من أنبيائه، أو عن ولي من أوليائه، ووارث من ورثة كتبه، يسير على نهج أي نبي من أنبيائه السابقين الذين تركوا كتبا في أممهم، الإيمان بالرسل كشخصيات مهمة، أشخاص مهمون، اصطفاهم الله، أكملهم الله، لم يكونوا أناساً عاديين، أنت حينئذ ستحس، وأنت تؤمن بأولئك العظماء- على امتداد التاريخ- تحس بافتخار، بعز، برفعة نفس، أن قدواتك على امتداد التاريخ، أن من أنت تسير على نهجهم وعلى طريقهم؛ هم أناس عظماء، اصطفاهم الله وأكملهم واختارهم؛ لأن يكونوا هم المبلغين لدينه، لهديه إلى عباده.

الإيمان بالرسل نحن في حاجة ماسة إليه على هذا النحو، فالقرآن الكريم عرض لنا عدداً كبيراً من الأنبياء والرسل، وشرح لنا كثيرًا من أحوالهم، وأورد كثيراً من نصوص دعواتهم، وأبان كثيراً من أساليب دعوتهم، وكشف لنا كثيراً عن خصائص نفسياتهم، فيما تحمله من جد، من اهتمام، من إخلاص، من نصح، من حرص على البشر لهدايتهم إلى صراط الله المستقيم.

الذي يقرأ أخبار أولئك الأنبياء ثم لا يلمس أنه أمام روحية واحدة، ونَفَس واحدة؟ تقرأ عن نوح، عن إدريس، عن إبراهيم، وهكذا، وهكذا إلى أن تصل إلى نبينا محمد (صلوات الله عليه وعلى آله)! إذا بك ترى نفسك أمام مجموعة واحدة، كلها على قلب رجل واحد، نظرتها إلى الحياة واحدة، اهتمامها بعباد الله واحد، تفانيها في ميدان العمل من أجل الله واحد، علاقتها بالله- سبحانه وتعالى-، منطلقها واحد؛ لنقول لأنفسنا نحن في هذه الأمة التي تفرقت وتمزقت بعد أن حذرها الله في كتابه الكريم، ونهاها عن التفرق والاختلاف، وأن لا تقع فيما وقعت فيه الأمة السابقة، أو جملة من الأمم السابقة قبلها: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران، ١٠٥].

نقول لأنفسنا: ما الذي فرقنا؟ هل هو دين الله؟ هل هو هدي الله؟ إن هدي الله استطاع أن يوحد، ويخلق روحية واحدة لمجاميع من أنبيائه ورسله وأوليائه على اختلاف عصورهم، على اختلاف فئاتهم، على اختلاف مجتمعاتهم، لنقول لأولئك الذين يشرّعون الاختلاف، ويؤصلون للفرقة: ليست هذه هي روحية الأنبياء، هذه ليست هي الروحية التي يمكن أن يخلقها هدي الله في نفوس الأمة، هذا مما يمكن أن نستفيده من خلال التعرف على أنبياء الله ورسله في القرآن الكريم، أساليبهم، ومن حركتهم، ومن أعمالهم ومن مواقفهم الدروس المهمة..، فإذا بنا نُعطِّل تلك الآيات الكثيرة، على الرغم من قول الله لنا في كتابه الكريم أن في قصص الأنبياء تثبيتا لفؤاد نبيه، رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) الذي نؤمن بأنه سيد الرسل، كيف نظرتنا إليه؟ ومن أين يمكن أن نتعرف على شخصيته بالشكل الذي تملأ نفوسنا حبًّا له وشعورًا بعظمته، وكمال نفسيته، وكمال شخصيته، وقدرته الهائلة، وذكائه الكبير؟ نتعرف عليه من خلال القرآن الكريم.

د- الموالاة والمعادة على أساس القرآن الكريم:

يقول الله سبحانه وتعالى ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة:٥٥] بعدها ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة:٥٦]

ويتجسد التولي لله سبحانه وتعالى بإيماننا به، بثقتنا به، بتوكلنا عليه، بالتزامنا بتعاليمه وطاعته، بتسليمنا لمنهجه، بإذعاننا لأمره، بمحبتنا له، بتولينا لأوليائه وعدائنا لأعدائه، تحقق لنا حينئذٍ هذه الصلة ولاية الله، حينما نتولاه وننضوي ونحتمي بهذه المظلة مظلة الولاية الإلهية؛ فنحظى بكل تلك الرعاية التي يرعى الله بها أولياءه في مختلف شؤون حياتهم، وصلتنا بالله التي تحقق لنا الولاء له والتولي له، هي كتابه ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم).

والتولي للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أن نعرف ارتباطنا بهذا الرسول أنه ولينا، له علينا ولاية، ولّاه الله علينا حينما قال: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦] هذا جانب من العلاقة به، علاقة الولاية، أنه ولينا له ولاية علينا أولى بنا حتى من أنفسنا، ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [المائدة: ٥٥] ولايته علينا بعد ولاية الله وهي امتداد لولاية الله العظيم.

هذه الولاية وهذه القيادة له علينا أيضاً تابعاً لها حق الطاعة وطاعته من طاعة الله ﴿مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤]، الرسول يمثل بالنسبة لنا القدوة الأول الذي به نقتدي - هذا ما يجب علينا - وبه نتأثر وعلى أساس تحركه نتحرك، هكذا علمنا الله في القرآن الكريم، وهكذا خاطبنا الله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ [الأحزاب:٢١] وهذا شيء للأسف، للأسف الشديد أضاعته الأمة، مسألة الاقتداء بالنبي، التأسي به، التأثر به، التحرك على أساس تحركه، والوقوف على أساس مواقفه أضاعت الأمة ذلك، وكان البديل ارتباطات أخرى، ارتباطات سيئة.

ومن مظاهر التولي للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) التولي لمن توليهم يمثل الامتداد الأصيل والنقي والتام للنهج المحمدي والموصل إليه من أعلام الهدى الذين يمثلون الامتداد للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

هـ- استشعار المسؤولية:

قول الله- سبحانه وتعالى-: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (١١٠) لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ (١١١) ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [آل عمران، الآيات ١١٠-١١٢]. من قول الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾، هنا يذكّر الله باستشعار المسؤولية الكبيرة على المسلمين، بدءاً من أولئك المسلمين الذين كانوا في أيام الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، يذكّرنا كما ذكرهم سابقاً بتلك المسؤولية الكبيرة، بأن عليهم مسؤولية كبيرة هي: أنهم أُخرجوا للناس، أُخرجت للناس؛ أي: أُظهرت لإصلاح الناس، لرد الناس إلى دين الله، لرفع الظلم عن الناس، لتعميم هذه الرسالة العظيمة في أوساط البشرية جميعاً.

مسؤولية كبيرة جداً، وهي في نفس الوقت تذكير بنعمة عظيمة هي: أنهم اختيروا، اختيروا أن تناط بهم هذه المسؤولية الكبيرة، فمن يعرفون قيمة الوسام الذي قلّدهم الله- سبحانه وتعالى- به، وسام شرف عظيم، أن يكونوا هم المؤهلين لأن يحملوا هذه الرسالة؛ ليلتفوا حول راية هذه الرسالة، فيتحركون في أوساط الأمة، لإصلاح العباد، وتطهير الأرض من الفساد، ليحوزوا شرف السبق، شرف أن تصلح الأمة على أيديهم، وأن تُطهَّر من فساد المفسدين على أيديهم.

أليس هذا شرف عظيم ونعمة كبرى؟ مسؤولية كبرى، ونعمة كبرى، وشرف عظيم، يدفع من يرى لهذا قيمته الكبيرة، يدفعه إلى أن ينطلق- فعلاً-، يدفع هذه الأمة إلى أن تنطلق- فعلاً-

في ميدان العمل وفق ما هداها الله- سبحانه وتعالى- إليه، في مجاهدة أهل الكتاب، من اليهود والنصارى، من يشكّلون أعظم خطر على البشرية؛ لأنهم كما قال الله عنهم: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ [المائدة، ٦٤].

في هذه التذكير بالنعمة والمسؤولية الكبرى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران، ١١٠]. أليس هذا وسام شرف عظيم جداً؟ أنتم من أنيط بكم حمل هذه الرسالة، إن تتحركوا فعلى أيديكم تطهر الأرض من فساد من يسعون في الأرض فساداً، وعلى أيديكم يتم إعلاء كلمة الله، على أيديكم يكون إصلاح عباد الله، فضيلة السبق فضيلة عظيمة. ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، مقارنة بالأمم الأخرى، في ذلك العصر، وفي هذا العصر، مسئوليتكم تتمثل في هذا، الاصطفاء لا يأتي لمجرد الاصطفاء؛ إنما يناط به مسؤولية كبرى، الاختيار لا يكون لمجرد الاختيار؛ إنما يناط به مسؤولية كبرى، مسؤوليتكم هي: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران، ١١٠]، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو إطار واسع، يشمل العمل في كل مجالات الحياة، في سبيل إعلاء كلمة الله، وتطهير الأرض من الفساد والمفسدين.

بنو إسرائيل هم فُضّلوا، ونعم كثيرة أعطاهم الله- سبحانه وتعالى-، وفضلهم بها على العالمين، ولكنهم عندما قصروا، عندما فرّطوا، عندما توانوا، عندما أصبح الكثير منهم فاسقين، كما قال الله: ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران، ١١٠]؛ أصبحوا في وضعية تؤهل غيرهم أن يستبدلوا عنهم.

نفس المسألة بالنسبة للعرب أنفسهم، عندما يفرّطون، عندما يتوانون، عندما يقصرون، فيكون المظهر العام، المظهر العام هو: التفريط، هو التقصير، هو الضلال، هو الفسق، يتعرضون لما تعرض له بنو إسرائيل من الاستبدال، فهذه سنة إلهية، يتعرّض العرب لما تعرّض له بنو إسرائيل من الاستبدال، ويكونون جديرين بأن تضرب عليهم الذلة والمسكنة، وأن يبوؤوا بغضب من الله، كما ضربت على بني إسرائيل؛ لأن القضية واحدة، كما كان بنو إسرائيل هم خير أمة أخرجت للناس في تاريخهم الطويل، كذلك العرب: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، وهذه هي مسؤوليتكم: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ

بِاللَّهِ﴾، فالتذكير بالمسؤولية، هو يذكّر- أيضاً- بخطورة التفريط فيها، ولا شيء أعظم من التفريط في المسؤولية، في قضية كبرى كهذه؛ لأنه تفريط في السبق، تفريط في فضيلة عظيمة، في شرف عظيم، تفريط في البشرية كلها، لو تحرك العرب، واستقاموا على الطريقة، وتمسكوا بالثقلين، كما أمرهم رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)؛ لكانوا هم من تصلح البشرية على أيديهم.

و- الاعتصام بحبل الله والثقة به:

عندما يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران١٠٣] فهو توجيه واضح يقول الله لنا فيه: اعتصموا بحبل الله، ولتكن اعتصاماتكم بحبل الله اعتصامة جماعية، لا بد من أن تتوحدوا، لا بد من أن تجتمع كلمتكم، تجتمع كلمتكم على أساس من هدى الله، وفي مجال الاعتصام بحبله الواحد، لاحظوا أنه لم يأت ليقول: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ﴾، ويدلّي حبلاً إلى مصر، وحبلاً إلى اليمن، وحبلاً إلى تونس، وحبلاً إلى الجزيرة، مثلما يأتي عندما تغرق سفينة في البحر، تأتي طائرات الهيلوكبتر، وكل طائرة تدلي حبلاً، أو تدلي عدة حبال، أو سلالم من الحبال؛ لتنقذ من يتعرض للغرق في البحر، الله له طريق واحد، هو الواحد الطريق إليه واحدة، السبيل إليه واحد، الحبل الذي إذا استمسكت به الأمة؛ سيرفعها من هوّة الضلال، وهوّة الذلة والمسكنة، يرفعها من حالة التعرض إلى أن تكون كافرة تستوجب غضبه وناره هو حبل واحد.

عندما يقول: ﴿بِحَبْلِ اللّهِ﴾ [آل عمران، ١٠٣]، تصوَّر كيف سيكون حبل الله، حبل لا يتسع لأيدينا، لأيدي الأمة أن تستمسك به؟ سيتسع، أو حبل دقيق عندما يتمسك فيه قليل من الناس سينقطع. لا..، هو يوحي لنا بأنه حبل، وحبل متين، حبل هو يتسع للأيدي كلها أن تمسك به، ومتى استمسكت به؛ فهو حبل لا يمكن أن ينقطع بها، فتعود إلى الهوة من جديد، سيرفعها نحو كمال الله، سيرفعها إلى الله، ورفعتها إلى الله هو أن ترتفع، فتحظى بنفحة من كماله، من عزته، من علمه، من جبروته، من قدرته، من حكمته، هو حبل وحيد في واقع الأمة، لم يقل: (ابحثوا عن أي حبل تستمسكون به أو تعتصمون به)، أنتم في حالة تستوجب عليكم أن تفكروا في أن تبحثوا عن أي شيء تتشبثون به؛ لكن ليس هناك إلا شيء واحد هو حبل الله، هو

حبل واحد، وليس هناك ما يمكن أن ينقذكم؛ إذا اعتصمتم به إلا حبل الله، كما قال ابن نوح: ﴿سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾ [هود، ٤٣]، في حالة الطوفان الذي اجتاح الأرض: ﴿سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾، يمنعني من الغرق: ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [هود، ٤٣]، ليس هناك ما يمكن أن يمنع من أمر الله، هو ظن بأن ذلك الجبل الشاهق سيعصمه من الغرق، لم يعصمه من الغرق، وأبوه يتحدث معه، فحال بينهما الموج، فكان من المغرقين.

خطاب للأمة بصيغة الجمع، هو خطاب للأمة سواء كان على مستوى الأمة الإسلامية يشملها هذا الخطاب، وخطاب لأي مجتمع أن المسألة- أيضاً- لا يُنجي منها إلا اعتصام جماعي؛ لأنه سيأتي في مقام الهداية نحو الحيلولة من أن نغرق في الضلال الذي يصل من جانب أهل الكتاب، وأن نصل إلى الكفر الذي يريدون أن يصلوا بنا إليه، سيأتي مهام جماعية فيما بعد، في الآية نفسها، فلم يأتِ الحديث ليقول: (وليعتصم كل واحد منكم بحبل الله).

أنتم في مواجهة، مواجهة مع أمة هي متوحدة، تتوحد، ونحن نراها تتوحد عالمياً، تتوحد كلها تحت قيادة أمريكا...، ألم تتوحد كلها تحت قيادة أمريكا؟ وتصادق على إعطاء أمريكا مقام القائد للتحالف الدولي العالمي ضد الإرهاب..، ما هذا الذي حصل؟ هم يتوحدون كدول، ثم تتوحد الدول فيما بينها في مواجهتنا، فهل من المعقول، ومن الممكن أن تنطلق أنت فردياً لتواجه هذه الأمم من أهل الكتاب الأمم الكافرة التي تريد أن تكون كافرًا؟ تنطلق لمواجهتها أنت لوحدك، وهذا لوحده، وآخر لوحده؟!. لا.. لا ينقذ من هذا الضلال، لا يخرج الأمة من هذا المأزق، لا تكون أي طائفة في مستوى أن تواجه إلا إذا اعتصم أفرادها بصورة جماعية بحبل الله، فحبل الله هو الذي سينقذهم، وحبل الله هو هدايته للناس، هدايته التي تأتي لعباده المتمثلة في كتابه، وفي رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله)، فيما يرسخه القرآن من انشداد روحي، وشعوري نحو الله- سبحانه وتعالى-، وتعلق كبير وانشداد كبير نحو رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله).

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران، ١٠٣]، يؤكد، عبارة: ﴿وَاعْتَصِمُوا﴾، فيها (واو الجماعة) الذي يوحي باعتصام الجميع، ثم: ﴿جَمِيعًا﴾ تأكيد من جديد: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران، ١٠٣] تأكيد من جديد بالنهي عن التفرق، ثلاث عبارات توحي بأهمية وحدة المسلمين،

وحدة أي أمة تتحرك في مواجهة أعداء الله، وحدة تقوم على أساس الاعتصام بحبله، اعتصام جماعي بحبله.

﴿وَاعْتَصِمُوا﴾ (واو الجماعة) يفيد اعتصام جماعي: ﴿بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾، أليست هذه ثلاث عبارات؟ هذا التأكيد من قبل الله- سبحانه وتعالى- بوحي، بل يدل بها لا غبار عليه أن هذه القضية لا بد منها لأي أمة في أن يتحقق لها الاعتصام بحبل الله؛ فتكون في مستوى أن يسود فيها دين الله، في مستوى أن تواجه أعداء الله، لا بد أن تكون متوحدة، ونحن نلمس آثار التفرق في حياتنا، كيف تضيع كثير من قيم الدين في حياتنا، ليس شيء من أسباب ضياعها إلا تفرقنا، تسود قيم فاسدة، يسود ضلال، يسود ظلم، تحدث ظواهر كثيرة من الفساد والظلم، وليس هناك سبب صريح في سيادتها في أوساط المجتمع إلا تفرقنا، أليس هذا واردًا وحاصلًا؟

ز- تقوى الله حق تقاته:

القضية بالغة الخطورة، وهامة جدًّا جدًّا عند الله- سبحانه وتعالى-، فيقول للناس، ويذكّرهم بإيمانهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران، ١٠٢]، يجب أن تخافوا من الله، من أن يحصل من جانبكم تقصير فيها، أن يحصل من جانبكم أي إهمال، وأي تقصير، وأي تفريط، والقضية مهمة جدًّا جدًّا، هو يقول لنا هكذا، يذكّرنا بأن نتقيه، فالقضية لديه مهمة، وبالغة الخطورة، وبقدر ما تكون مهمة لديه، وبالغة الخطورة أي أنه سيكون عقابه شديداً جدًّا على من فرّط وقصّر فيها، فيجب أن نتقيه أبلغ درجات التقوى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾، وأقصى ما يمكن، فالقضية خطيرة جدًّا، ومهمة جدًّا لديه، ولن يسمح لمن يقصر، ولن يسمح لمن يفرط، ولن يسمح لمن يهمل.

وهكذا تأتي عبارة: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ في القرآن الكريم في مقامات كثيرة، وفي مقدمة كل قضية مهمة؛ ليوحي للناس بأن المسألة مهمة لديه، فلينطلقوا من منطلق الحذر من الله من أن يقصروا في هذه القضية، سيضربهم هو، وسيكون عقابه شديداً عليهم، وسيكون غضبه شديداً عليهم، كما في قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال، ١]، وهكذا تأتي في

القرآن الكريم مكررة في معظم المقامات المهمة؛ لينطلق الناس من منطلق أن هذه قضية مهمة لدى الله- سبحانه وتعالى-، وهي في واقعها بالغة الخطورة؛ فأي تقصير من جانبنا نحوها؛ سيجعلنا عُرضة لسخط الله، ونعوذ بالله من سخطه.

فقوله سبحانه وتعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾؛ يعني: أنتم في مواجهة مع طرف يمكن أن يصل بكم إلى أن تكونوا كافرين، وأنا لا أريد أن تكونوا كافرين، وأن تكونوا كافرين؛ يعني: أن تصبحوا من أهل جهنم، وأن تتحولوا إلى أطراف تهملوا، فتصبحوا- فعلاً- في واقعكم كافرين؛ أي أن تضيِّعوا الرسالة التي حُمِّلْتُمُوها من جانب الله- سبحانه وتعالى-، أليس هذا الذي حصل بالنسبة للعرب؟ ألم يُذِلُّوا الإسلام بذلتهم؟ ألم يقهروا الإسلام بقهرهم؟ ألم يضيِّعوا كتاب الله بضياعهم؟ لأنهم فرَّطوا في الرسالة، فكانت القضية- فعلاً- بالغة الخطورة، إذاً؛ فانطلقوا من منطلق الحذر؛ لأن مسؤوليتكم كبيرة، وأن القضية خطيرة يجب أن تتقوا الله أبلغ درجات التقوى؛ أي أن تخافوه وتحذروه.

ح- اليقظة والحذر منهم:

اليهود أمة خطيرة جدًّا؛ معنى مجمل الموضوع: أمة خطيرة جدًّا أو طائفة من البشر الذين هم اليهود خطيرون جدًّا، ولا يزالون يعملون بهذه النفسية نفسها التي قدمناها لكم في هذه الآيات، بالنفسية نفسها وبالروحية نفسها، إذاً؛ فيجب أن تكونوا حذرين جدًّا، ودقيقين جداً في التعامل معهم، وتعطوا لكل قضية أهميتها في الصراع معهم.

هذه الآية تتحدث- كما يقولون- بأن اليهود كانوا يستخدمون كلمة: ﴿رَاعِنَا﴾ التي هي كلمة عربية؛ معناها العربي معروف: (أمهلنا أو أنظرنا)، يستخدمونها بمعنى سيئ لديهم، سيئ في النفوس بمعنى: شرير أو من الرعونة التي تعني: السفه والحماقة والطيش؛ أي كلمة معناها في داخل النفس، وليس في إطلاقها، ومعناها عند اليهودي سب للرسول اصلوات الله عليه وعلى اله»، إذاً؛ هنا قضية يهودية ما زالت في الأعماق داخل اليهودي، يحارب بها النبي، وهي ما زالت في داخله، لم تظهر على لسانه، ولم تتحرك بشكل موقف، وما زالت في الأعماق، يجب أن تكونوا دقيقين في التعامل مع هذه الطائفة، ليس- فقط- ما يبرز من اليهود، بل ما لا يزال في أعماق أنفسهم ونوايا لديهم.

﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ [البقرة، ١٠٤]، توقفوا عن استخدام هذه الكلمة تماماً، عندما يتوقف العرب عن استخدام تلك الكلمة بشكل عام- اتركوها نهائيًا-، ليقفل المجال على اليهودي، فلا يبقى بإمكانه أن يستخدمها، إذاً؛ ألم يكن هذا موقفاً أمام نوايا؟ وقدّم التوجيه به توجيهاً حاسماً بعده: ﴿وَاسْمَعُوا﴾ [البقرة، ١٠٤]، واسمعوا، ويكفيكم أن تسمعوا، وقد سمعتم كيف كان الذين لا يستجيبون لهدي الله، ولا يقيّمون الأشياء التي تقدّم إليهم، ولا تكونوا كبني إسرائيل تقولون: ما هي الفائدة؟ ماذا لها من فائدة؟ ما هي القيمة لهذه؟ (نحن لا نستخدمها خطأ)، اسمعوا، والتزموا، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة، ١٠٤]؛ أي للرافضين للكافرين اليهود أنفسهم الذين لا يزالون يستخدمون نوايا سيئة، وللرافضين منكم الذين لا يسمعون، اسمعوا: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، منكم ومنهم، هذه تعطي- مع أنها تبدو في الصورة قضية بسيطة-، ولكن تعطي منهجاً مهمًّا جدًّا في الصراع مع اليهود؛ أي هي ترسّخ عند المسلمين حالة على مستوى عالٍ من اليقظة والحذر والانتباه، واتخاذ موقف أمام أي شيء من اليهود، وإن كان لا يزال نية في أعماق أنفسهم.

٣- توجيه وترشيد المجال الإعلامي:

الجانب الإعلامي جانب مهم جدًا، خصوصًا في هذا العصر الذي بات الجانب الإعلامي فيه سلاحًا فعالًا جدًا، ويلعب دورًا أساسيًا ومؤثرًا، والأعداء يعتمدون عليه بشكل رئيسي جداً في النشاط التضليلي على كل المستويات وفي كل المجالات منها:

أ- الاستهداف للناس في الجانب الثقافي والفكري، من خلال قنوات فضائية تحمل عناوين دينية، ولكنها في حقيقتها تُلبس الحق بالباطل، وتبث السموم الثقافية والفكرية المنحرفة التي تمسخ هوية الإنسان، وتجرده حتى من فطرته الإنسانية.

ب-استهداف الأخلاق والقيم من خلال قنوات تبث الأفلام والمسلسلات والمقاطع الخليعة التي تستهدف القيم، وتنشر الفساد الأخلاقي، وتؤدي إلى تدنيس النفوس والذهاب بزكائها.

ج- تزييف الحقائق والوقائع والأحداث والتضليل السياسي، والترويج للباطل من خلال

قنوات إخبارية تستهدف تزييف وعي الناس أو تتويه الناس، وإبعادهم عن القضايا الكبرى التي يجب أن تكون هي محط اهتمامهم.

د- قنوات تستهدف الأطفال الصغار وبطريقة مركّزة، تستهدف فطرتهم السليمة التي فطرهم الله عليها، ويعملون جاهدين على مسخهم، وفسادهم، وتضليلهم، وتزييف وعيهم، وصناعة قناعات مغلوطة، وأفكار مغلوطة لديهم منذ الصغر.

١- من الذي يمول هذه القنوات المتنوعة؟:

عندما نتأمل نجد؛ بأن جهة واحدة هي من ترعى هذا النشاط المتعدد، وتمول هذه القنوات المتنوعة والمتعددة؛ إنها الأداة الأمريكية الإسرائيلية في المنطقة، المتمثل في النظام السعودي الذي يستهدف ضرب الأمة بمعولي هدم أحدهما: يلبس لباساً دينياً متشدداً، والآخر: انحلالي؛ خدمةً لأعداء الأمة من اليهود والنصارى، لماذا يرعى هذا وذاك؟ لأن المسألة كلها هي في اتجاه واحد، لهدف واحد، كلها عملية تضليل وإفساد بوسائل متعددة ومتنوعة.

٢- هذه القنوات تعمل في الاتجاه الذي تريده أمريكا:

لو تأتي إلى قنوات النفاق والتضليل التي يحركها المنافقون في الداخل والخارج؛ تجد أنهم يشتغلون وفق الاستراتيجية الأمريكية، ووفق المشروع الأمريكي، ووفق المؤامرات الأمريكية، وبما يخدمها، عندما تكون المؤامرات الأمريكية تعمل على إثارة العداوات تحت عناوين طائفية مذهبية، تشتغل تلك الوسائل الإعلامية عليها، عندما يكون التوجه الأمريكي والإسرائيلي إلى إفساد الشباب والشابات في المنطقة العربية والإسلامية، ينشطون في هذا الاتجاه، وعندما يكون هناك توجه إسرائيلي وأمريكي إلى المسخ الثقافي والفكري بدفع الناس إلى اعتناق الفكرة الوهابية الضالة والمنحرفة التي تجعل من الناس أمة مفككة مطوعة خادمة لأمريكا؛ يشتغلون في الاتجاه نفسه.

٣- كيف ولماذا يركز الأعداء على الجانب الإعلامي؟:

الأعداء يستخدمون الجانب الإعلامي في جوانب كثيرة هجومية ودفاعية بالنسبة لهم، ويركزون عليه تركيزًا كبيرًا، باعتباره الطريقة الرئيسية المعتمدة للتأثير على النفوس (للحرب

النفسية)، وبقية الأمور؛ إنما هي تبع لها، حتى الاستهداف العسكري للناس؛ إنما يلحق بالجوانب الأخرى، ولذلك الله- سبحانه وتعالى- فيما كشف به واقع أهل الباطل، واقع المضلين والمجرمين والمستكبرين؛ أن تركيزهم بالدرجة الأولى ينصبُّ إلى النشاط التضليلي: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾ [الصف: ٨]، بإذا؟ هل بطائراتهم، بمدافعهم، بدباباتهم، بصواريخهم، بقنابلهم؟ ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [الصف: ٨]، كذلك في آية أخرى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [التوبة: ٣٢]، نشاطهم في لبس الحق بالباطل، نشاطهم المتنوع، والذي له أشكال متعددة ووسائل- أيضًا- متعددة.

للأسف، فإن الكثير من الناس لا يتعاطى من خلال هذا الفهم تجاه الجانب الإعلامي، ولا ينظر إليه نظرةً واعيةً، على المستوى الإجمالي قبل الدخول في التفاصيل؛ كيف اعتماد الأعداء عليه؟ ماذا يريدون من خلاله؟ ماذا يسعون به؟ ولذلك نستطيع القول: بأن النشاط الإعلامي المعادي للأمة الإسلامية بأبواقه ذات الصوت العربي واللغة العربية والشكل العربي قنوات ووسائل إعلامية متنوعة ما بين قنوات فضائية، ما بين مواقع على الإنترنت في الشبكة العنكبوتية، ما بين مواقع التواصل الاجتماعي، ما بين الصحف الورقية إلى غير ذلك من الوسائل الإعلامية؛ نستطيع القول: أنهم أثروا في الواقع العربي والإسلامي على الكثير من الناس، ويؤثرون باستمرار سواء في نشر الفساد الأخلاقي بموادهم الفظيعة والقبيحة والتي تدمر الزكاء في النفوس، أو من خلال التضليل الثقافي والفكري، أو التضليل على المستوى السياسي، فزيفوا الحقائق على الكثير من المغفلين، وناقصي الوعي، وعديمي الفهم، وغير المحصنين ثقافيًا، واستطاعوا أن يؤثروا عليهم، ويصنعوا لديهم الكثير من القناعات، وهم يشتغلون على صناعة رأي عام مغلوط وباطل تجاه الكثير من القضايا.

٤- الموقف والمنهجية القرآنية تجاه قنوات التضليل:

فيما يتعلق بوسائل الإعلام المُضلَّة والمفسدة بكل أنواعها وأشكالها، ينبغي مقاطعتها على كل حال من الجميع، وإبعاد أسرنا وأولادنا عنها، ومن منطلق قول الله- سبحانه وتعالى-: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا

تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء، ١٤٠]، هذه الآية أشارت إلى آية سابقة: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام، ٦٨]، الآيتان المباركتان كلاهما حول موضوع واحد فيما ترى، وفيما تسمع من واقع أولئك الذين يعملون في الصد عن سبيل الله، استهزاء بهدى الله- سبحانه وتعالى-، وليس بالضرورة أن يكون الكلام من جانبهم كلامًا مباشرًا عن الآيات كآيات، عن القرآن كقرآن، ولكن في مضمون هذه الآيات، ما دلت عليه، ما أمرت به، ما وجهنا الله إليه، الاستهزاء بالأعمال التي أمرنا الله بها، ووجهنا إليها، السخرية منها، الصد عنها، الاساءة إليها، الكفر بها رفضًا أو جحودًا، كل أشكال النشاط العدائي أمام ما أمرنا الله به من أعمال، ومن مواقف هذا هو خوض في آيات الله، هذا هو استهزاء بآيات الله، هذا هو كفر بآيات الله، بشكل أو بآخر جحودًا أو رفضًا لآيات الله، والله- سبحانه وتعالى- قدّم منهجية هنا هي المقاطعة، فقال: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾، الآية الأخرى كذلك: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾، هذه هي مقاطعة، أنه لا تصغي، لا تجعل من نفسك سماعاً، ومسماعاً، ومذعناً، ومصغياً لأباطيلهم، لأكاذيبهم، لنشاطهم التضليلي هذا لا ينبغي أبداً.

تلك القنوات الكاذبة، تلك القنوات المضللة التي هي صوت ناعق بالزور والبهتان والباطل وسواس خناس، يجب أن ينظر الناس إليها بمستوى ما هي عليه من السوء، ينظرون إليها النظرة الصحيحة، فهي منابر للباطل، منابر للكذب، منابر للافتراءات، منابر للتضليل، يجب أن يحذر الناس منها، أن يتعمم هذا الوعي في الساحة بشكل كبير، وأن الإنسان بمقاطعتها يغلق نافذةً من نوافذ الشيطان التي يعتمد عليها في التضليل لعباد الله، والتأثير على عباد الله.

هذه المسألة في غاية الأهمية، ولمعرفة أنها في غاية الأهمية، ما الذي يقول الله عن ذلك؟ قال: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾، وهذا زاجر كبير جدًّا؛ يعني بعد النهي عن ذلك بقوله: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ﴾، لا تقعد مع أي قناة مع أي وسيلة إعلامية تخوض في الباطل ضد الحق، والحق هو

امتداد لآيات الله، الحق فيما فيه من عمل، الحق فيما تضمنه من مواقف، الجهاد في سبيل الله هو من الحق، الإساءة إلى الجهاد، وإلى المجاهدين، وإلى العمل الجهادي، خوض في آيات الله، استهزاء بآيات الله التي تضمنت الكثير من أوامر الله، النشاط الذي يستهدف العمل الجهادي في سبيل الله، والمواجهة للظالمين والمستكبرين والطغاة، هو خوض في آيات الله بالباطل وإساءة إلى هدى الله، وإساءة إلى الحق.

الله- سبحانه وتعالى- بعد أن نهى نهيًا، قال محذرًا ومشددًا على المسألة بما يدل على أهميتها الكبيرة: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾، ما أسوأ أن يكون الإنسان عند الله- سبحانه وتعالى- في حكمهم، مثل أولئك الظالمين، مثل أولئك الخائضين في آيات الله، الخائضين بالباطل ضد الحق، مثل أولئك الدجالين المفترين والباهتين والكذابين والمضللين، أن يكون الإنسان مثلهم هذه مسألة خطيرة جدًا وكارثية، وأمر يفترض أن يوحش الإنسان، وأن يقلق الإنسان، وأن يدفعك إلى الحذر وإلى اليقظة وإلى الحيطة، فالمسألة مهمة جدًا، ولنلحظ كيف أن النص القرآني ركز على المنافقين في الموضوع حتى عندما توعد فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾، أولاً: أن هذا يدعو إلى النفاق، البعض من الناس قد يتأثر، ولو تدريجيًا مع الوقت، ومع ضعف الارتباط بهدى الله، يتأثر حتى يصبح في يوم من الأيام من المنافقين، يدخل النفاق فكرةً، يدخل رؤيةً، يدخل تصورًا مغلوطًا، يدخل فهمًا مغلوطًا، يدخل تأثرًا متدرجًا، أو أن يكون الإنسان في يوم من الأيام تأثر بالمنافقين، تغيرت نظرته إليهم، وأصبحت نظرةً لصالحهم، نظرةَ المنخدع بهم، المتأثر بما يقولون، المتقبل منهم، المتفاعل معهم، وبالتالي يكون معهم مع الكافرين والمنافقين، والكافرون والمنافقون شيء واحد، ولهذا سيجمعهم الله في جهنم جميعاً.

٥- مواقع التواصل الاجتماعي وآثارها الخطيرة:

من المعلوم المتيقن أن ابتكار مواقع التواصل الاجتماعي، هو اختراع أمريكي، ومنشأ أمريكي بهدف (استخباراتي)، وهناك كتب ومقالات وأقوال ونصوص وأدلة تثبت أنها لهدف استخباراتي، لدى الأمريكي هدف واسع، لا يقتصر على الجانب العسكري- فقط-، بل هو استهداف شامل لكل شيء؛ استهداف للأخلاق وللوعي، ولكل عوامل القوة والصلاح، وكل

ما من شأنه أن يبني الأمة، وأن يصنع لديها عوامل المنعة في مواجهة العدوان، فهم يعملون من خلالها على صناعة توجهات تلهي الناس عن قضاياهم الحقيقية ومسؤولياتهم الكبيرة.

يفترض أن نكون على وعي عالٍ، وفهم صحيح وحكمة في التصرف فيما نقول، وفيما نكتب، وفيما نقدّم، وفي تقديم ما ينبغي أن نقدمه على مستوى مواقع التواصل الاجتماعي؛ لأنه عندما تفقد هذه الحكمة وينقص أو ينعدم الوعي اللازم تجاه هذه المسألة؛ يصبح التعاطي مع هذه المواقع خطير جدًا، البعض يضيعون الكثير من أوقاتهم، وهم عاكفون على (الفيس بوك) بشكل مستمر، هذه قضية خطيرة، مضيعة للوقت من جانب، وقد تكون متاهة للإنسان من جانب آخر.

نحن أمة قرآنية، ومسيرة قرآنية، ومواقفنا وأعمالنا وأقوالنا وتصرفاتنا ينبغي أن تكون موزونة بميزان القرآن؛ لنكون حكماء، الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠]، والكتابة هي ستلحق بالقول.

الله- سبحانه وتعالى- في سورة من أهم السور في القرآن، وهي من هدايا الله لنا في كتابه الكريم، ومن نعمه علينا (سورة الناس): بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس، الآيات ١- ٦]، هذه السورة فيها التجاء قوي إلى الله، التجاء كبير، التجاء بتضرع: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ﴾، هذا التجاء بتضرع إلى الله- سبحانه وتعالى- من موقع ربوبيته، وألوهيته وملكه، أنت يا رب، وأنت الرب، وأنت الإله، وأنت الملك ألتجئ إليك، أفر إليك، أحتمي بك من شر الوسواس الخناس الذي يزرع في صدري حالة الانحراف إلى ما هو عصيان لك، ولاحظوا هذه السورة من أهم السور التي تصنع عندنا وعياً؛ لأنها تعلمنا مسألتين مهمتين جداً:

المسألة الأولى: هي الالتجاء إلى الله، والاعتصام به، ليحمينا من شر هذا الغزو الذي يغزو صدورنا، هذا التأثير الذي يصل إلى أنفسنا، فينحرف بنا نحو المعصية أو الضلال أو الإغواء، وهذه مسألة مهمة في الالتجاء إلى الله في ذلك؛ لنأخذ حذرنا- أيضًا- لأنه يعلمنا أن هناك

مصدرين لهذا الوسواس؛ لأنه علمنا أن نقول: ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾، أين هو هذا الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس، يغزوهم إلى قلوبهم، يغزو مشاعرهم، يصنع في قلوبهم التوجهات والميول والدوافع الشيطانية؟ الله يقول: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾، لاحظوا- يا إخوة-: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾، هناك موسوسون من الناس، وليس- فقط- من الجِنة: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾، هناك مصادر خطيرة للوسوسة من الناس أنفسهم، هناك موسوسون كُثر، ولاسيما في زمننا هذا.

اليوم امتلك الموسوسون في صدور الناس، ما لم يكن موجودًا لدى شياطين الإنس والجن في كل ما مضى من التاريخ- ربما- اليوم البشرية أكثر حاجة، وأمس حاجة على الوعي بخطورة هذه المسألة، خطورة الموسوسين، والمعرفة بالموسوسين لتجنبهم، والحذر منهم، ليس أن تقول: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾، ثم أنت الذي يبقى متطلعاً إليهم، مصغياً لهم، مستمعاً لهم في ليلك ونهارك، اليوم- يا أيها الإخوة، ويا أيتها الأخوات-، والله، ينطبق على كثير من وسائل الإعلام، ينطبق عليها هذا التوصيف القرآني، وسائل إعلام موسوسة في صدور الناس، من الناس: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾، اليوم بالتأكيد ليس هناك قنوات إعلامية من الجن؛ لكن من الناس، هو هنا حذرنا من الجِنة والناس، اسمعوا، وعوا: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾.

اليوم الموسوسون في صدور الناس، يمتلكون قنوات إعلامية ما كان منها مخصصًا للتضليل السياسي والإعلامي والفكري والثقافي، وما كان منها مخصصًا للإغواء، ونشر المفاسد الأخلاقية، اليوم لم تعانِ البشرية في كل ما قد مضى من تاريخها مثل ما تعاني اليوم من النشاط الهائل؛ لنشر المفاسد الأخلاقية، قنوات تنشر هذه القنوات مشاهد خليعة؛ لنشر المفاسد الأخلاقية؛ وتدمير القيم الأخلاقية، العراء والجرائم، تنشر اليوم في قنوات كثيرة جداً؛ يجب الحذر من مشاهدة هكذا قنوات، أو أي وسائل أخرى في الإنترنت، الإنترنت اليوم فيه الكثير، والكثير من الوسائل، من المواقع والصفحات المخصصة أو التي لها هذا النشاط: تنشر مفاسد أخلاقية، وتغوي في الجانب الأخلاقي، فتدنس النفوس، وتنتشر المفاسد والزنا والجرائم الأخلاقية إلى مناطق كثيرة من العالم، إلى أشخاص كثيرين كانوا- قبل أن يتورطوا،

وأن يصغوا، وأن يرتبطوا بوسائل إعلامية من هذا النوع- كانوا نزيهين، كانوا شريفين، كانوا طاهرين، كانوا محافظين على أنفسهم من الدنس، ومحافظين على أعراضهم وشرفهم من الدنس، ولكن كان الذي جرهم إلى فساد أخلاقي هو متابعة قنوات فضائية نشرت مشاهد مغرية فاسدة مفسدة أو في الإنترنت مواقع على الإنترنت.

الشباب اليوم والشابات يجب أن يكونوا حذرين جدًا منها، أن يحموا أنفسهم منها من البداية، لا تذهب لتدخل إلى موقع في الإنترنت، فتطلع إليه، فيوسوس في صدرك، فيغويك، ويضرب فيك القيمة المعنوية الأخلاقية، وزكاء النفس، شرف النفس، طهارة النفس، فيغويك ومع هذا نشاط كبير للتواصل والتعارف وبشكل أعمى وبشكل غير منضبط، ينشط- مثلاً- في مواقع التواصل الاجتماعي، ينشط الكثير من الشياطين، الذين هم هذا العمل، وهذا الشغل يعمل على الإيقاع بالآخرين، إما شيطان يحاول أن يوقع بالكثير من الفتيات، يوقعهم في الفساد الأخلاقي، أو شيطانة توقع بالكثير من الشباب في الفساد الأخلاقي، فتبدأ بالمراسلة التي فيها المراودة والوسوسة والتزيين للمعصية، والإغراء بالمعصية حتى الإيقاع في المعصية، هذه اليوم واحدة من أفظع الآفات المنتشرة والخطيرة جداً على الشباب والشابات وعلى الرجال والنساء جميعًا، ويجب الحذر منها بشكل كبير والاحتماء منها، والحذر منذ البداية منها، فالذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس اليوم يمتلك الوسائل التي تساعده على ذلك بأكثر من ما قد مضى في تاريخ البشرية.

لذلك لا بد من الحذر من الانجرار وراء القنوات التي تعمل على تزييف وعي الناس وصرفهم عن أولوياتهم وقضاياهم الكبرى، وكذلك الحذر من الوسائل الإعلامية التي تعمل على مسخ الهوية الدينية الأصيلة التي شهد لهم الرسول- صلى الله عليه وعلى آله- بها في قوله: «الإيمان يمان والحكمة يمانية»، والحذر من الوسائل الإعلامية التي تعمل على استهداف الناس في أخلاقهم وقيمهم، وتعمل على أن يفقد الإنسان أخلاقه وحياءه؛ لأن من أهم ما يركز عليه الأعداء، العمل على انعدام الحياء على المستوى الأخلاقي- خصوصاً- مع الاختلاط في التواصل، والتراسل في مواقع التواصل الاجتماعي بين الرجال والنساء، وهذه ثغرة خطيرة يستغلها الشيطان، والله- سبحانه وتعالى- يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [النور: ٢١].

والحمد لله، فقد منَّ الله علينا بقنوات يمنية أصيلة وصادقة، تعبر عن هوية وقيم وأخلاق أمتنا العربية والإسلامية، وخصوصاً قيم وأخلاق هذا الشعب العظيم، يمن الإيمان والحكمة، وتعمل على تقديم الوعي والبصيرة، ونشر القيم والأخلاق والفضيلة، فينبغي أن نتابعها، ونحرص عليها، فلسنا بحاجة إلى القنوات التي أنشأها أعداؤنا في إطار حربهم الإعلامية القذرة علينا، وعلى أبناء أمتنا.

ومن الطرق التي يتم بها مواجهة الغزو الإعلامي ما يلي:

١- ترسيخ حالة العداء لليهود والنصارى:

حالة العداء لليهود عندما قال سبحانه وتعالى- عن اليهود-: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢]، يريد منا أن نربي أنفسنا، وأن نربي أولادنا على أن يحملوا عداوة لأعداء الله لليهود والنصارى، أن يحملوا عداوة، العداوة في الإسلام إيجابية ومهمة، العداوة إيجابية ومهمة، إذا كنت تحمل عداء لأمريكا وإسرائيل، إذا كان الزعماء يحملون عداء، والمسلمون يحملون عداء حقيقياً؛ فإنهم سيعدون العدة؛ ليكونوا بمستوى المواجهة، أما إذا لم يكن هناك عداء حقيقياً؛ فإنهم لن يعدوا أي شيء، ولن يكون لديهم أي مانع من أن يتعاملوا مع اليهود والنصارى على أعلى مستوى، حتى إلى درجة الاتفاقيات للدفاع المشترك، الاتفاقيات الاقتصادية وغيرها؛ لأنه ليس هناك أي عداء.

أنت إذا لم تُكِنّ عداء لهذا أو لهذا؛ لا تُعِد نفسك بمستوى المواجهة، فعندما قال الله- سبحانه وتعالى-: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، ألم يرسخ في نفوسنا أن أولئك أعداء، يريد منا أن نحمل هذه الكلمة، وأن نرسخ الشعور بالعداء؛ لأن ذلك هو الذي سيحملنا على إعداد القوة، وعندما تتجه الأمة لإعداد القوة، ستعد نفسها للمواجهة في مختلف المجالات، في المجالات الاقتصادية، وفي مجال التجارة، في مجال التصنيع في مجال الزراعة، في مختلف المجالات.

٢- خلق رأي عام عالمي مضاد لإسرائيل:

في المجال الإعلامي وحده، كم يملك العرب من محطات التلفزيون والقنوات الفضائية؟! هل استطاعوا أن يخلقوا رأياً عالمياً مضاداً لإسرائيل؟ لا. معروف عن اليهود والنصارى أنهم متباغضون فيما بينهم، وأن النصارى يتهمون اليهود بقتل المسيح، وأن النصارى حملوا العداء لليهود- كما نعاديهم نحن- فترة طويلة من الزمن، هل استطاع مثقفو هذه الأمة العربية، هل استطاع الإعلام العربي أن يغذي العداء داخل النصارى لليهود أو أن يصنع رأياً عالمياً مضاداً لإسرائيل أو أن يصنع رأياً عالمياً متعاطفاً مع فلسطين؟ أو حتى أن يصنع رأياً عالمياً عربياً يحمل عقدة العداء لإسرائيل؟ لم يحصل كل ذلك!.

وهم في الوقت نفسه يقولون أن اليهود هم الذين يصنعون الرأي العالمي داخل بلدان أوروبا وأمريكا وآسيا وغيرها، هم الذين يصنعون الرأي العام العالمي داخل تلك البلدان، أين جاءت أموال العرب؟ أين جاءت محطاتهم التلفزيونية؟ أين جاءت قنواتهم الفضائية؟ أين صحفهم؟ أين الصحفيون؟ المئات من الصحفيين منهم؟ أين مراكزهم الإسلامية؟ أين؟ وأين؟ كلهم عجزوا أمام اليهود.

٣- ترسيخ المسؤولية الدينية:

الله- سبحانه وتعالى- قال في كتابه الكريم: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران، ١١٠]، في هذه الآية المباركة حدد الله لنا طبيعة مسؤوليتنا، وعلى هذا التفصيل الواضح والدقيق، يستهل هذه المسؤولية بهذه العبارة المهمة: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾، الله يريد لنا كأمةٍ مسلمةٍ مؤمنةٍ أن نكون خير الأمم، خير أمة، وخيريتنا هذه هي عائدة إلى طبيعة القيم والمبادئ والمشروع الرسالي الإلهي الذي نتحرك على ضوئه، ونتحرك من واقعه، ونتبناه، ونطبقه في واقع حياتنا، ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾، الله أراد لكم أن تكونوا بين كل الأمم على الأرض الأمة الخيِّرة التي تتحرك بمشروع هو قائم على الخير، فيما يتحرك الآخرون بشرهم، ﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، فلديكم مسؤولية عالمية تتحركون بها، فأنتم كأمة خيِّرة، تحمل الخير في مشروعها، تقيم الخير في واقعها، تتحرك في العالمين

بمسؤولية عالمية، ولديها كل المؤهلات والمستلزمات المطلوبة؛ لتكون في مستوى هذه المسؤولية: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾، أمةً فاعلةً، أمةً قويةً، أمةً مؤثرةً تنطلق، وهي آمِرة، آمِرة تأمر، وتدعو، وتسعى إلى إقامة المعروف، المعروف بدائرته الواسعة جداً الذي يشمل كل ما فيه خير وصلاح للبشرية، يشمل أشياء كثيرة ومهمة جداً في مقدمتها العدل، العدل وإقامة العدل.

المعروف: دائرة واسعة في الإسلام، فيه كل ما هو خير، ويتطابق مع المبادئ والتعاليم الإلهية، ويتطابق مع الفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها، فيما يعرفونه بفطرتهم، فيما ينسجم مع الفطرة، فيما ينسجم مع التعاليم الإلهية: ﴿وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾، أمة فاعلة ومؤثرة، فهي تسعى إلى إقامة المعروف، تأمر به، تسعى لأن يكون هو السائد في الحياة، هو القائم في الحياة، تسعى لنشره في العالم، وفي نفس الوقت أمة لها موقف من المنكر، لا تقبل به، لا تذعن له، لا ترضى به، بل تنهى عنه، تسعى لإزالته، تعمِد إلى تطهير واقع الحياة منه.

والمنكر- أيضاً-: دائرة واسعة، كل ما فيه شر وسوء وضر ومساوئ في واقع الحياة، يشمل أشياء كثيرة في مقدمتها الظلم، ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾، ثم أنتم تنطلقون من خلال العمق الإيماني، مؤمنون بالله ومرتبطون به، بالمشروع الإيماني بكله، في مبادئه في قيمه في أخلاقه، فتتحركون هكذا، وبإيمانكم الذي هو صلة ما بينكم وبين الله- سبحانه وتعالى-.

وعندما أراد الله لنا أن نكون هكذا، أمةً لها مشروع كبير وعظيم ومهم ومؤثر وفاعل وإيجابي في واقع الحياة، أمةً تترك أثراً إيجابياً بطبيعة مشروعها، أمةً تتحرك، وهي تحمل مسؤولية كبيرة وعظيمة ومشرفة، أعطانا الله كل المقومات اللازمة؛ لنكون بمستوى هذه المسؤولية، سواءً على المستوى المعنوي أو على المستوى المادي، فعلى المستوى المعنوي هناك في الواقع الإيماني، في القيم، في التعاليم، في المشروع كل ما يؤهلنا لنكون بمستوى هذه المسؤولية، فالإيمان بالله- سبحانه وتعالى- بما فيه من قيم منها العزة ومنها الإباء، ومنها النفسية الخيّرة التي تحب الخير، وتألف الخير، وتنشد الخير، والعزة والإباء، الحالة التي تجعل عند الإنسان نفوراً من الباطل، استياءً من الظلم، لا يقبل بالإذلال، لا يقبل بالضيم، لا يقبل بالهوان، عنده روح العزة ومشاعر العزة ومنعة العزة، وعنده الإباء، وغيرها من القيم التي تجعلنا من الناحية النفسية والتربوية مؤهلين؛ لأن نكون أمة تنهى عن المنكر، فهي تكره المنكر، لا تقبل به، ولا تقبل بكل

ما يترتب عليه، بكل ما يعتمد عليه المنكر من وسائل وأساليب؛ ليثبت نفسه، ويفرض وجوده في واقع الحياة.

إضافة إلى التعاليم، ارتباطنا بالإسلام بما فيه من تعاليم وأوامر من الله- سبحانه وتعالى-، أوامر تجعلنا نرفض المنكر، نعمل على إزالته، نواجهه، لا نقبل به؛ ليسود في الحياة، ويهيمن على الحياة، ندرك من خلالها سوأه وضرره في الحياة، آثاره السلبية والمدمرة في واقع الحياة، نعرف من خلال تلك التعاليم واجباتنا ومسؤولياتنا، ثم المشروع الأساسي لرسالة الله في واقع الحياة، وهو إقامة العدل، وهذه قضية أساسية ورئيسية في رسالات الله- سبحانه وتعالى-، وبشكل عام: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]، فالقيم الإيمانية والتعاليم في المشروع الرسالي الإلهي، وطبيعة، طبيعة المشروع نفسه كلها تجعل ارتباطنا الإيماني يوفر لنا كل العوامل المعنوية التي تدفعنا إلى القيام بالمسؤولية.

إضافةً إلى المقومات الأخرى المادية بالنسبة للأمة الإسلامية، سواء من حيث الثروة البشرية، الأمة المسلمة، أمة كبيرة، واتسعت أعدادها بشكل كبير، وأصبحت تُمثل شعوب متعددة وأمة كبيرة، أو المادية، ما أعد الله لهذه الأمة من مقومات مادية تحتاج إليها في بناء واقعها؛ لتكون أمةً قويةً مقتدرةً، تتوفر لها المتطلبات المادية للقيام بمسؤولياتها، أكبر مخزون من النفط على الأرض متوفر في هذه المنطقة، منطقة هذه الأمة، الخيرات الكبيرة والكثيرة في باطن الأرض وفي ظاهرها التي عندما تُستغل استغلالاً صحيحاً وبأيادٍ أمينة ستكون كافية بالقدر الذي تحتاج إليه الأمة في واقع حياتها وفي واقع مسؤوليتها.

إضافة إلى أهمية الموقع الجغرافي، المسلمون والعرب بالذات لهم أهم موقع جغرافي، له أهمية كبيرة جداً في أن يكونوا مؤثرين على المسرح العالمي وفي الواقع الدولي، وإضافة إلى ذلك كله العون الإلهي، الله- جل شأنه- عندما حمَّلنا مسؤولية، لم يتركها عبئًا علينا، بل ليكون معنا؛ ليؤيدنا عندما نتحرك بالقيم العظيمة، بالأخلاق، بالمشروع الإلهي المقدس لإقامة الخير، بالمعروف وللمعروف، وللنهي عن المنكر بدائرته الواسعة والسيئة، ونتحرك بهكذا قيم وأخلاق ومبادئ في مواجهة الشر، في مواجهة الفساد، في مواجهة الباطل، في مواجهة الظلم،

حينها يكون الله، يكون الله- سبحانه وتعالى- معنا، ينصرنا، يؤيدنا، وهو وعد بهذا وعداً مؤكداً في آيات كثيرة من كتابه الكريم، منها قوله تعالى: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد، ٧].

إذاً؛ نحن كأمة مسلمة، ليس دورنا في الحياة- فقط- أن نقتصر على البعض من العبادات، مثل الصلاة والصيام والزكاة والحج، ثم نكتفي بهذا، هذه العبادات هي عون لنا، وهي دائرة تربوية متكاملة، تعيننا؛ لنكون في مستوى القيام بمسؤولية أساسية وكبيرة حمَّلنا الله إياها، مسؤولية نتحرك في واقع الحياة بالمشروع الإلهي الذي هو إقامة العدل في الحياة، الأمر بالمعروف في دائرته الواسعة، النهي عن المنكر في دائرته الواسعة، مواجهة الظلم، الفساد، الشر، الطغيان، العمل على أن نتحرك بهذه الرسالة على مستوى العالم، دور عالمي، دور كبير، دور مشرّف.

فما الذي حصل في واقع الأمة الإسلامية؟ فرطت في مسؤوليتها، وقعدت عن القيام بهذه المسؤولية؛ لتكون أمة الخير، تتحرك بالخير في العالمين، فماذا كانت النتيجة؟ تحرك أهل الشر بشرهم وعلى المستوى العالمي؛ لينشروا الشر، ويتحركون بالشر، بالنزعة الاستعمارية، بالتسلط، بالاستحواذ على خيرات الأرض، بالاستعباد للناس، فتحركوا بشرهم على المستوى العالمي وأصبحوا قوة عالمية، أصبحوا بما هم عليه من شر، بما يحملونه من شر، الشر في نواياهم، الشر في ممارساتهم، الشر في طبيعة المشروع الذي يتحركون به، أصبحوا هم قوةً عالميةً، تتحرك بهذا الشر وتعممه في الأرض، وتمارسه في الأرض، ويعاني منه أهل الأرض في شتى بقاع الدنيا.

وتحركوا بهذا الشر كقوة في ظل قعود الأمة الإسلامية، القعود الذي أضعفها، القعود الذي أذلها، القعود الذي أتاح للآخرين الذين تحركوا بشرهم أن يكونوا هم في موقع القوة، يبنون واقعهم؛ ليكونوا قوة، ويستمرون في بناء واقعهم؛ ليكونوا أكثر قوة؛ ليكونوا أكثر اقتداراً في الهيمنة والتسلط والقهر والاستعباد والتسلط على الشعوب، والاستحواذ على خيراتها، ونهب ثرواتها ومقدراتها، وممارسة القتل والسجن والتضييق على الناس بكل ما يتضمنه الشر من ممارسات وسلوك.

تحركوا هم بمنكرهم، بمنكرهم ليس- فقط- على المستوى العالمي وفي واقع شعوبهم، بل

اخترقوا ساحتنا الإسلامية الداخلية، واقع الأمة الإسلامية، اخترقوه هم سواء بشرهم أو بمنكرهم بفسادهم بباطلهم، وأصبح واقع الشعوب الإسلامية والشعوب العربية- في الأعم الأغلب- ساحةً مفتوحةً لأولئك الأشرار، وأصبحوا هم نافذون فيه، متسلطون فيه، أصبحوا هم آمرون، وأصبحوا هم ناهون، وأصبحوا هم مسيطرون، متحكمون وعلى كل المستويات، أتوا إلى منطقتنا الإسلامية بكل شرهم، على المستوى العسكري يحتلون، يفرضون لهم وجوداً عسكرياً بشكل احتلال، بشكل قواعد، ويستغلون هذا التواجد العسكري؛ لممارسة الضغط والقمع، وفرض ما يريدونه من سياسات، ثم هم يتحكمون في واقعنا، فيفرضون منكرهم، ويمارسون شرهم، يقتلون، يدمرون، ينهبون الثروة، يفرضون علينا في واقع حياتنا في كل شؤوننا، على المستوى السياسي يفرضون، وهم مسيطرون على القرار السياسي للحكومات داخل المنطقة العربية والعالم الإسلامي إلا القليل منها يفرضون ما يشاؤون من سياسات، وسياساتهم كلها تزيد الأمة ضعفاً، تذل الأمة، ترهن الأمة، تضرب الأمة، كل سياساتهم تتجه في اتجاه إضعاف الأمة أكثر، إذلالها، تفريقها، تجويعها، إفقارها، التنكيل بها، الأذى لها، يستهدفون الأمة على كل المستويات.

٣. أن يكون التحرك في سبيل الله:

بعد أن قال الله سبحانه وتعالى لنا: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٤]. ضرب لنا مثلاً رائعاً من بني إسرائيل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٦]. من يأتي لاحتلال أرضك يجب أن تتوجه لقتاله في سبيل الله، وأن تتوجه في سبيل الله، ارفع بنيتك، وارفع برأسك إلى الله لا تنزل تحت تقول: [من أجل الوطن، من أجل تربة الوطن] هذه نكسة، هذه النكسة خطيرة، انتكس العرب عندما نكسوا نواياهم [إلى تحت]، فالإنسان يرفع بنيته إلى الله، يرفع بمقصده إلى الله، ويتوجه إلى الله ليرفعه.

هذه القضية معروفة عند بني إسرائيل، فهم يحاربوننا وعندهم معرفة بالسنن الإلهية، يجب أن نكون حذرين، ونكون واعين، من أين جاءت لنا الوطنية، والقومية من أين؟ من عندهم صدروها من أجل ننكس رؤوسنا (إلى تحت) لينكسونا إلى تحت. أليس العرب في الأخير انتهوا

إلى أن دسوا رؤوسهم في التراب، لأنهم يقولون: (وطنية، وطنية، من أجل الوطن، وتربة الوطن) إلى أن دسوا رؤوسهم في الوطن، يعني: في التربة! يأتي العدو يدوسهم وقد دسوا رؤوسهم، لكن يرفع الناس رؤوسهم إلى الله، تحمى أوطانهم فعلاً، وتصان أوطانهم.

بنو إسرائيل فاهمون في ثقافتهم هذه، أي: الآية تحكي بأنه في تلك المرحلة فاهمين بأنه يجب أن يتوجهوا ليقاتلوا في سبيل الله، مع أن الدافع لديهم هو ماذا؟ أنهم قد أخرجوا من ديارهم، وأبنائهم، أليس هذا الدفاع الذي يسمى الدفاع عن وطن؟ انتقام من عدو أخرجنا من ديارنا، وأبنائنا. أليس دفاعاً عن وطن؟ لكن لو قالوا: وطن، نقاتل من أجل الوطن، لن يجوب النبي عليهم، ولن يحصل لهم شيء. معنى هذا أنها قضية مؤكدة لديهم أنه في الوقت الذي هم يحسون فيه بأنهم مضطهدون، ومقهورون من جانب عدو أخرجهم من ديارهم، وأبنائهم، عليهم أن ينطلقوا في سبيل الله.

هذه العبارة لا تجد لها في القرآن الكريم موقع على الإطلاق إلا مرة واحدة خوطب بها من؟ خوطب بها منافقون، لم يخاطب بها مؤمنون: ﴿قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا﴾ [آل عمران: ١٦٧] إذا ما زال عندكم حرص على أعراضكم، وعلى بيوتكم، وعلى ممتلكاتكم ﴿أَوِ ادْفَعُوا﴾ ! ﴿قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لَاتَّبَعْنَاكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧] ما خوطب بها المؤمنون أبداً. المؤمنون يوجهون دائماً، المسلمون بشكل عام أن يتحركوا في سبيل الله وليعرفوا أنها لا تتحرر أوطانهم أبداً بعناوين أخرى إلا إذا انطلقوا في سبيل الله، أين البلد الذي قد تحرر من بداية الاستعمار الأول إلى الآن؟ هناك بلد تحرر فعلاً بما تعنيه الكلمة وأصبح مستقلاً؟ لا.

بعد الاستعمار الأول خرج المحتل وأبقى أقدامه، أبقى عملاءه، وبعده ماذا؟ يأتي ضغوط أمريكية، واحتلال ونفوذ أمريكي في كل المجالات، ولم يعد من يحكم الناس إلا عبارة عن أشخاص عاملين مع السفير الأمريكي. يعني: طول الفترة هذه ما تحرر الناس من المحتل أبداً؛ لأنه ما رفع هذا الشعار الهام، ما توجهوا هذا التوجه الهام: ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

ثم انظر أهمية أن يتوجه الناس هذا التوجه: في سبيل الله، عندما قال هنا في الأخير: ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾ [البقرة: ٢٤٦] ربما عندما ترون القتال أن لا

تقاتلوا! ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾ [البقرة: ٢٤٦] أليسوا هنا يذكرون الدافع إلى أن يقاتلوا: أنهم يريدون أن تحرر أوطانهم، وأن يتقدموا من عدوهم؟ لكن وفاهين كلهم، الملأ منهم، على ما نقول: وجهاؤهم، وكبارهم الذين توجهوا إلى نبيهم وقالوا يبعث لهم ملكاً. رأينا من يتشدقون بالوطنية بأنهم أول من يبيع الأوطان.

فهم ينطلقون يجاهدون في سبيل الله، من أجل الله، وفي الطريق التي رسمها للمجاهدين، يوجد سبل كثيرة تحمل عنوان: الجهاد في سبيل الله، ـ كما يعمل التكفيريون ـ وهي سبل عوجاء، صنعها أعداء الأمة لضرب الأمة وتدميرها تحت عناوين زائفة، أما كلمة: جهاد في سبيل الله فهي طريق رسمها هو للمجاهدين من أجله أن يسيروا عليها في جهادهم، تحت قيادة قرآنية ومنهجية قرآنية وتكون ثمرة هذا الجهاد عزة وحرية وكرامة للأمة .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين

***

قائمة المحتويات

الفصل الأول:

التشخيص القرآني لأهل الكتاب..... ٧

المبحث الأول: اليهود من خلال القرآن الكريم ٨

١- من هم أهل الكتاب؟ ٩

٢- تنوّع حديث القرآن الكريم عن أهل الكتاب: ٩

المبحث الثاني: بعض مواصفات بني إسرائيل في القرآن الكريم ١١

١. الكفر بكتب الله وأنبيائه وقتلهم الأنبياء: ١١

٢. تحريف كلام الله: ١٢

٣. استحلال المحرمات باسم الدين: ١٤

٤-نقضهم للعهود والمواثيق: ١٥

شواهد حية في تاريخنا المعاصر عن نقض اليهود للعهود والمواثيق: ١٦

المبحث الثالث: عرض القرآن الكريم للنفسية اليهودية ٢١

١. لا يودون الخير للمسلمين: ٢٢

٢. عداوتهم للمؤمنين: ٢٤

أ) شدة بغضهم وحقدهم على المؤمنين: ٢٤

ب. عدم رضاهم عن المؤمنين: ٢٧

٣. قسوة القلوب: ٢٨

ومن الأمثلة على قسوة قلوبهم: ٢٩

مذبحة صبرا وشاتيلا : ٢٩

٤. الحسد: ٣١

أ. نعمة القرآن والرسول: ٣١

ب. نعمة الإسلام: ٣٢

٥. يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل: ٣٤

٦- التستر والتغطية على كفرهم: ٣٦

٧- الجرأة على الله: ٣٧

المبحث الرابع: نقاط الضعف عند اليهود ٣٨

أ. الذلة والمسكنة: ٣٨

ب. يُوَلُّونَكُمُ الْأَدْبَارَ عند القتال: ٣٩

جـ. لا يقاتلون إلا من وراء جدر: ٤٠

صور أرضية وجوية لجدار الفصل العنصري: ٤١

د. خوفهم الشديد من الموت: ٤٣

هـ. حرصهم الشديد على الحياة: ٤٤

و. ألقى الله بينهم العداوة والبغضاء : ٤٥

ز - والله مخرج ما كنتم تكتمون: ٤٧
بعض العقوبات التي عاقب الله بها بني إسرائيل بسبب عصيانهم: ٤٧
أ. جعل الله قلوبهم قاسية: ٤٧
ب. حرمهم الله من بعض الطيبات: ٤٨

الفصل الثاني:

طرق اليهود وأساليبهم في استهداف الأمة ٤٩

المبحث الأول : الخداع والتضليل والتلبيس ٥٠

١- سياسة التطويع: ٥٠
٢- الخداع للناس بالمساعدات: ٥١
٤. لبس الحق بالباطل: ٥٢
- قدرتهم على التأثير: ٥٣
٥. الصد عن سبيل الله: ٥٦
٦- فصل الأمة عن هويتها الايمانية: ٥٧
خطورة الانسلاخ عن الهوية ٥٨
أهمية التمسك بالهوية الإيمانية: ٥٩
اليهود يحرفون أثر الهوية الإيمانية ٦١
دور الهوية في بناء الأمة ٦٢
وعندما يفقد الناس الهوية سيأتون إلينا ليقولوا تعلموا: ٦٦
٧- فصل الأمة عن تاريخها وأعلامها: ٦٧
أ- فصل الأمة عن أعلامها وتدمير معالمها: ٦٧
ب- صنع رموز وهمية للأمة: ٦٩
٨. نشر الفساد الأخلاقي: ٦٩
أ- اليهود يستهدفون المرأة تحت عنوان المشاركة للرجل ٧٠
ب- اليهود يريدون أن تكون المرأة وسيلة لإفساد المجتمع: ٧٢
ج- ينبغي أن تتأسى بأنبياء بني إسرائيل وليس بالمفسدين منهم: ٧٤

المبحث الثاني: مغالطاتهم الثقافية ٧٦

١- تقديم الدين باسم قوميتهم (يهودية، نصرانية): ٧٦
٢ - أكذوبة الأرض المقدسة: ٨٠
٣- نشر المذهبية والطائفية: ٨٠

المبحث الثالث: اللوبي الصهيوني يقود أخطر مؤامرة على أمتنا ٨٢

١- واقع الأمة: ٨٢
٢- العدوّ الأول للأمة: ٨٥
٣- مكامن خطورة اللوبي الصهيوني: ٨٦
٤- أدوات العدو من داخل الأمة: ٨٨
٥- سلاح مواجهة المخاطر: ٩٠

الفصل الثالث:

نشوء الكيان الإسرائيلي في قلب الأمة..... ٩٣

المبحث الأول: (فلسطين والتآمر اليهودي والبريطاني الأمريكي)..... ٩٤

(أشكال التآمر الصهيوني على فلسطين)..... ٩٤

- عقد المؤتمر الصهيوني الأول عام ١٨٩٧م:..... ٩٤
- السعي للحصول على تأييد ألمانيا:..... ٩٤
- السعي للحصول على موافقة السلطان العثماني عبد الحميد الثاني عام ١٩٠٠م:..... ٩٤
- السعي للحصول على تأييد بريطانيا:..... ٩٥
- السعي للحصول على تأييد القوى الاستعمارية الأخرى لوعد بلفور:..... ٩٥

سياسات الاستعمار البريطاني في فلسطين:..... ٩٥

(احتلال فلسطين)..... ٩٦

المبحث الثاني: عوامل نشوء الكيان الإسرائيلي..... ٩٨

اليهود تحركوا من نقطة الصفر:..... ٩٨

بريطانيا ودورها القذر في نشوء الكيان الصهيوني:..... ٩٩

اليهود حرصوا على أن يكون لهم حافز ودافع يوحدهم:..... ١٠٠

اليهود حافظوا على هويتهم:..... ١٠٠

اليهود حملوا لنا العداء الشديد:..... ١٠١

كيف هي المناهج الإسرائيلية؟..... ١٠٢

في المقابل كيف كان واقع العرب؟..... ١٠٣

المبحث الثالث: ما بعد نشأة الكيان الإسرائيلي..... ١٠٤

لماذا تمكن اليهود أن يفعلوا بنا هكذا؟..... ١٠٤

أبرز المواقف تجاه العدو الإسرائيلي..... ١٠٥

الاتجاه الأول: هو الاتجاه المعادي لإسرائيل، والداعم للقضية الفلسطينية:..... ١٠٥

الاتجاه الثاني: الموالي لإسرائيل وأمريكا:..... ١٠٦

ما هي مسؤوليتنا اليوم؟..... ١١٠

فلسطين هي المتراس المتقدم للأمة:..... ١١٠

لا بد أن يترجم هذا العداء إلى مواقف صريحة:..... ١١١

الروابط بين بعض الأنظمة العربية وبين الكيان الإسرائيلي:..... ١١٢

لقد تحركوا في ثلاثة مسارات:..... ١١٣

القضية الفلسطينية ومسؤولية الأمة:..... ١١٤

العدو يحرص على إفقاد الأمة الشعور بالمسؤولية:..... ١١٥

يعمل على ترويض الأمة على الصمت والسكوت:..... ١١٦

أهم الدروس والعبر التي يجب أن نستفيدها..... ١١٦

الفصل الرابع:

أسباب ضعف الأمة ومجالات الصراع مع العدو الإسرائيلي..... ١١٩

المبحث الأول: أسباب ضعف الأمة في مواجهة العدو الإسرائيلي..... ١٢٠

١- التولي لليهود والنصارى من قبل أغلب الأنظمة..... ١٢٠

٢- الموقف الرسمي للأنظمة:..... ١٢٣

٣- الواقع الداخلي للأمة:..... ١٢٤

٤- قصور النظرة تجاه الخطر الإسرائيلي..... ١٢٥

المبحث الثاني: مجالات الصراع وطرق المواجهة..... ١٢٧

١- المجال الاقتصادي:..... ١٢٩

مثال: البنك الدولي والقروض:..... ١٣٧

خدعة البنك الدولي والقروض: (خدعة السهلة في الاستحواذ على الذهب العالمي):..... ١٣٧

١- سلاح النفط:..... ١٤٤

٢- مقاطعة الشركات الأجنبية:..... ١٤٥

٣- السعي إلى الاكتفاء الذاتي..... ١٤٦

٤- تعزيز الدور الشعبي والجماهيري:..... ١٤٦

٢- المجال الثقافي:..... ١٤٧

أ- نشر ثقافة معرفة الله:..... ١٥٠

ب- التحرك الدائم على أساس القرآن الكريم:..... ١٥٢

ج- التمسك بالهوية الإيمانية:..... ١٥٣

د- الموالاة والمعاداة على أساس القرآن الكريم:..... ١٥٩

هـ- استشعار المسؤولية:..... ١٦٠

و- الاعتصام بحبل الله والثقة به:..... ١٦٢

ز- تقوى الله حق تقاته:..... ١٦٤

ح- اليقظة والحذر منهم:..... ١٦٥

٣- توجيه وترشيد المجال الإعلامي:..... ١٦٦

١- من الذي يمول هذه القنوات المتنوعة؟:..... ١٦٧

٢- هذه القنوات تعمل في الاتجاه الذي تريده أمريكا:..... ١٦٧

٣- كيف ولماذا يركز الأعداء على الجانب الإعلامي؟:..... ١٦٧

٤- الموقف والمنهجية القرآنية تجاه قنوات التضليل:..... ١٦٨

٥- مواقع التواصل الاجتماعي وآثارها الخطيرة:..... ١٧٠

ومن الطرق التي يتم بها مواجهة الغزو الإعلامي ما يلي:..... ١٧٤

١- ترسيخ حالة العداء لليهود والنصارى:..... ١٧٤

٢- خلق رأي عام عالمي معاد لإسرائيل:..... ١٧٥

٣- ترسيخ المسؤولية الدينية:..... ١٧٥

٣- أن يكون التحرك في سبيل الله:..... ١٧٩

قائمة المحتويات..... ١٨٢

قائمة المراجع..... ١٨٦

قائمة المراجع

١. القرآن الكريم.
٢. محمد خليفة التونسي، الخطر اليهودي (برتوكولات حكماء صهيون)، الطبعة الرابعة، ١٩٦١م، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
٣. ديفيد بن غوريون، يوميات الحرب ١٩٤٧-١٩٤٩م، ترجمة سمير جبور، مراجعة صبري جريس، مؤسسة الدراسات الفلسطينية.
٤. د. عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، ١٩٩٩م.
٥. د. بهاء الأمير، اليهود والماسون في ثورات العرب، مكتبة النافذة، ٢٠١٤م. (مرجع البنك الدولي)
٦. جون بيركينز، اعترافات قاتل اقتصادي، ترجمة د. بسام أبو غزالة، دار ورد للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٤م،
٧. د عبد الحي يحيى زلوم، نذر العولمة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٠م. (مرجع البنك الدولي)
٨. آمنون كابليوك، تحقيق حول مجزرة صبرا وشاتيلا، ١٩٨٢م، ترجمة محمد علي اليوسفي، منشورات المكتب العربي للترجمة في باريس، ١٩٨٣م.
٩. بيان نويهض الحوت، صبرا وشاتيلا سبتمبر ١٩٨٢م، مؤسسة الدراسات الفلسطينية.
١٠. ثروت الخرباوي، سر المعبد (الأسرار الخفية لجماعة الأخوان المسلمين)، دار نهضة مصر للنشر، الطبعة التاسعة، ٢٠١٣م.
١١. ويليام كارل، اليهود وراء كل جريمة، تحقيق: خير الله الطفاح، ١٩٨٢م.
١٢. عبد الكريم سلام المذحجي، اليمن وأطماع الخارج- كما تعرضه الوثائق البريطانية والأمريكية من عام ١٩٠٠ – ١٩٣٠م، ترجمة عبد الكريم سلام المذحجي، منشورات وزارة الثقافة صندوق التراث والتنمية الثقافية، ٢٠١٧م.